

# عَبْدَ الْقَمَالِ

تفكيرك متلازمة الطموح والهيمنة



بقلم  
د. سعد جبر  
٢٠٢٦

# عبد المال

"تفكيرك متلازمة الطموح والهيمنة"

## حلول لطموح البشر وهيمنة المال

### مقدمة عن الفكرة

فكرة الكتاب حول "عبد المال" تأتي في توقيت بالغ الأهمية، حيث تتفاقم ظاهرة التعلق بالمال وتقديمه على كل شيء في مجتمعاتنا المعاصرة. المال في الإسلام نعمة عظيمة ووسيلة للحياة، لكنه يصبح فتنة ومحنة حين يُتخذ غاية في ذاته، فيُستعبد له القلب وتُبدل من أجله كل ما حرم الله.

سورة الهمزة التي ذكرتها تشكل محوراً أساسياً في هذا الموضوع، قال تعالى: "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ \* الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ \* يَخْسِبُ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ \* كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ" (الهمزة: 1-4). هذه الآيات ترسم صورة واضحة لشخصية "جامع المال" الذي أعماه حب المال عن كل شيء، فظن أن ماله سيخلده، ثم تأتي الصدمة بـ"الحطمة" التي تحطم كل ما يلقي فيها.

# مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،  
أما بعد:

## لماذا هذا الكتاب؟

في زمنٍ صارت فيه القيم تُوزن بالعملات، والمكانة تُقاس بالثروات، والأخلاق تُضحى بها على مذبح الأرباح؛ يبرز سؤال ملحٌ يطرق قلوب المفكرين والمصلحين: **إلى متى نظل عبداً للمال؟**

نحن نعيش عصرًا لم يعد فيه المال مجرد وسيلة للحياة، بل تحول إلى غاية كبرى تُسفك من أجلها الدماء، وتُقطع فيها الأرحام، وتُستباح فيها الحرمات. أصبحنا نرى بأم أعيننا نماذج بشرية فاقت في عبوديتها للمال ما عرفه التاريخ من عبادة الأصنام والأوثان. إنها ظاهرة "عبد المال" التي تحدث عنها النبي صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنًا حين قال: **"تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ..."**

وهذا الكتاب الذي بين يديك -عزيزي القارئ- هو محاولة جادة لتشريح هذه الظاهرة من جذورها، وتقديم رؤية إسلامية متكاملة لفهم شخصية "عبد المال"؛ من هو؟ وما مواصفاته؟ وكيف تحول المال في قلبه من نعمة إلى نقمة؟ وما مصيره في الدنيا والآخرة؟ والأهم: كيف نحمي أنفسنا وأبناءنا ومجتمعاتنا من الوقوع في هذه العبودية الخفية؟

## لماذا اخترنا اسم "عبد المال"؟

الاسم ليس مجرد عنوان عابر، بل هو حمل لرسالة قوية: المال يمكن أن يُعبد من دون الله، وإن لم يكن صاحبه يركع له أو يسجد. فعبدية المال تكون بالطاعة له، والانقياد لأوامره، وتقديم رضاه على رضا الله ورسوله، والخوف من فقدته أكثر من الخوف من غضب الجبار. إنه استعباد للقلب قبل استعباد الجوارح، ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم متبعي المال بأنهم "عبيد" له.

## كيف يقرأ هذا الكتاب؟

صُمم هذا الكتاب ليسير مع القارئ خطوة بخطوة في رحلة استكشافية من التأسيس إلى التطبيق:

- **الأبواب الأولى والثاني والثالث والرابع** تقدم الإطار النظري الشرعي: مفهوم المال في الإسلام، تعريف "عبد المال"، رؤية القرآن والسنة لهذه الشخصية.

- **الباب الخامس** يأخذ القارئ في جولة تاريخية مع نماذج شهيرة من عبادة المال، وفي مقدمتهم قارون الذي جعله الله عبرة للعالمين.
- **الباب السادس** يرسم مصير "عبد المال" بدءًا من تعاسته في الدنيا، مرورًا بسكرات الموت، وصولًا إلى الحطمة في الآخرة.
- **الباب السابع** ينتقل للعصر الحاضر، محاولًا الإجابة: هل تحولت عبادة المال إلى ظاهرة عالمية؟ وما دور الإعلام والتفاوت الطبقي في تغذيتها؟
- **الباب الثامن** يقدم خريطة طريق عملية للمجتمع (فردًا، أسرة، مؤسسات، حكومات) للتعامل مع الظاهرة وعلاجها.
- **الباب التاسع** هو الخلاصة: كيف نتحرر نحن - كأفراد - من عبودية المال، ونصبح من "مالكي المال" لا من "عبيده".

### السمات التي تميز هذا الكتاب

1. **التأصيل الشرعي المتقن**: لن تجد في هذا الكتاب اجتهادات مرسلة أو آراء عاطفية؛ كل ما فيه مبني على القرآن والسنة وفهم السلف الصالح.
2. **المنهج التطبيقي**: الكتاب ليس مجرد تأملات نظرية، بل يقدم خطوات عملية وتمارين سلوكية في نهاية كل باب تقريبًا.
3. **الموازنة بين التحذير والعلاج**: لا يكتفي الكتاب بتحذير القارئ من خطر عبودية المال، بل يفتح له أبواب الأمل ويقدم له طرق الخلاص.
4. **الربط بين القديم والحديث**: يربط الكتاب بين النصوص الكلاسيكية وواقعنا المعاصر، ليؤكد أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.
5. **اللغة الواضحة المؤثرة**: مع الحرص على الدقة العلمية، جاء الأسلوب سلسًا جذابًا يصل إلى القلب قبل العقل.

### دعوة مفتوحة للقارئ

أيها القارئ الكريم: هذا الكتاب ليس مجرد صفحات تطويها بيدك، بل هو مرآة تعرضها على نفسك، فتنظر: هل أنا من عبادة المال؟ هل يجيش قلبي حبًا للدرهم والدينار حتى ينسيني ذكر الله وحقوق الناس؟ هل أصبح مالي هو ميزان حبي وبغضي ورضاي وسخطي؟

إن كنت تجيب بنعم أو حتى بنعم مشروطة... فتوقف قليلاً. فهذه الصفحات تحمل بين طياتها دواءً شافيًا لمن أراد الشفاء، ونورًا هاديًا لمن ابتغى الهداية.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، حاجرًا بيننا وبين أن نكون من عبادة المال، وأن يرزقنا القوة في الإيمان، والغنى في النفس، والثبات على الحق حتى نلقاه.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل

# فهرست الموضوعات

## الباب الأول: المال في الإسلام – النعمة والفتنة

- الفصل الأول: المال في القرآن والسنة – بين المدح والذم
- الفصل الثاني: حب المال – الجبلة الإنسانية والحكم الشرعي
- الفصل الثالث: متى يتحول المال من نعمة إلى فتنة؟

## الباب الثاني: من هو "عبد المال"؟

- الفصل الأول: تعريف "عبد المال" – بين الحقيقة والمجاز
- الفصل الثاني: مواصفات "عبد المال" (نفسياً، سلوكياً، شرعياً)
- الفصل الثالث: الفرق بين "عبد المال" و"مالك المال" (تطبيقات عملية)
- الفصل الرابع: نماذج معاصرة لـ"عبد المال" (مع تغيير الأسماء حفاظاً على الخصوصية)

## الباب الثالث: "عبد المال" في القرآن الكريم

- الفصل الأول: تفسير سورة الهمة – دراسة تحليلية متعمقة
- الفصل الثاني: قارون – من عابد إلى "عبد المال" (تحول الشخصية وأسباب السقوط)
- الفصل الثالث: إلهاء المال في سورة التكاثر: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ"
- الفصل الرابع: آيات أخرى عن جمع المال وكثره

## الباب الرابع: "عبد المال" في السنة النبوية

- الفصل الأول: شرح حديث "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم"
- الفصل الثاني: فتنة المال – أحاديث التحذير والندارة

- الفصل الثالث: صفات عبيد المال من خلال السنة
- الفصل الرابع: الدعاء على "عبد المال" – بين الدعاء عليهم والتبرؤ من حالهم

### الباب الخامس: نماذج تاريخية لـ"عبد المال"

- الفصل الأول: قارون – أستاذ عبّاد المال
- الفصل الثاني: نماذج من شعراء الجاهلية الذين ألتهتهم أموالهم
- الفصل الثالث: التاجر البخيل الذي قتله بخله (قصة ابن الجوزي في صيد الخاطر)

### الباب السادس: مصير "عبد المال"

- الفصل الأول: المصير في الدنيا (التعاسة، قسوة القلب، ضياع العلاقات، العذاب النفسي)
- الفصل الثاني: المصير عند الموت (الحسرة والندامة)
- الفصل الثالث: المصير في البرزخ
- الفصل الرابع: المصير في الآخرة – الحطمة، نار الله الموقدة، والعذاب الأليم

### الباب السابع: "عبد المال" ظاهرة عصرية

- الفصل الأول: تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال – كيف تطور الشرك؟
- الفصل الثاني: الإعلام وعبادة المال – دور وسائل الإعلام في تعزيز ثقافة المادية
- الفصل الثالث: التفاوت الطبقي والفقر كمحركات لعبادة المال
- الفصل الرابع: المقارنة بين المجتمعات – الشرق والغرب في ميزان عبادة المال

### الباب الثامن: كيف نتعامل مع "عبد المال"؟

- الفصل الأول: دور الفرد في تصحيح علاقته بالمال (علاج حب المال عملياً)
- الفصل الثاني: دور الأسرة – تربية النشء على القيم الصحيحة تجاه المال
- الفصل الثالث: دور المجتمع والمؤسسات – محاربة الفساد وتفعيل الزكاة
- الفصل الرابع: دور الحكومات – الأنظمة المالية العادلة كبديل عن الاستغلال

• الفصل الخامس: دور الدعوة والإعلام – بناء الوعي المجتمعي

الباب التاسع: الخلاصة – كيف لا نكون "عبيدًا للمال"؟

• الفصل الأول: المال في اليد لا في القلب – وصية الإسلام الخالدة

• الفصل الثاني: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف (مع توضيح معنى القوة الحقيقية)

• الفصل الثالث: الوسطية في المال – لا إفراط ولا تفريط

• الفصل الرابع: رسالة إلى "عبد المال" – كيف تتحرر من عبوديتك؟

• الفصل الخامس: الغنى الحقيقي – غنى النفس والقناعة

الخاتمة والتوصيات

المراجع والمصادر

# الباب الأول

## المال في الإسلام.. النعمة والفتنة

### تمهيد الباب

المال في الإسلام ليس مجرد عملة نقدية تُتداول بين الناس، بل هو أداة حياة وقوام معاش، به تُقام المصالح وتُسدُّ الحاجات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ" رواه الحاكم. غير أن هذه النعمة العظيمة تحمل في طياتها خطرًا عظيمًا حين تنقلب على صاحبها فتصير فتنة تُبعده عن الله وعن طاعته.

وفي هذا الباب، سنتأصّل لفهم حقيقة المال في الإسلام من خلال ثلاث زوايا: الأولى نستعرض فيها نظرة القرآن والسنة إلى المال بين المدح والذم، والثانية نتناول فيها حب المال باعتباره جبلة إنسانية ونتعرّف على حكم الشرع فيه، والثالثة نحدد فيها اللحظة التي يتحول فيها المال من نعمة إلى فتنة، ليكون القارئ على بصير من أمره قبل أن يقع فيما وقع فيه كثيرون ممن جعلهم المال من عبيده.

نسأل الله أن يجعل هذا الباب نورًا يهدي إلى الصراط المستقيم، وأن يرزقنا فهم مقاصده، والعمل بما فيه، إنه سميع مجيب.

### الفصل الأول

#### المال في القرآن والسنة – بين المدح والذم

#### مدخل تمهيدي: بين القراءتين

إذا أمعنا النظر في نصوص الوحيين – الكتاب والسنة – وجدناها تُقدّم رؤية متوازنة للمال، لا تدمّه في ذاته ولا تُطلق له العنان بلا ضوابط. فهي من جهة تمدح المال الصالح وتُبشّر صاحبه بالخير إن أحسن استخدامه، ومن جهة أخرى تُحذّر منه أشدّ التحذير حين يكون عائقًا عن ذكر الله أو وسيلة إلى الحرام.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في سياق هذه الموازنة: "فمن اختار ماله وولده على ما عند الله، فقد خسر خسارًا عظيمًا". هذه القراءة المتوازنة هي ما سنفضّله في هذا الفصل، مستعرضين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

التي تتحدث عن المال، مصنِّفين إيَّاهما بين ما جاء في مقام المدح وما جاء في مقام الذم، لِنُخْرَجِ أَخِيْرًا بِقَاعِدَةٍ كَلِيَةٍ تُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَالِ الْمَحْمُودِ وَالْمَالِ الْمَذْمُومِ.

ولنبداً أولاً بالجانِبِ المُشْرِقِ مِنَ الصُّورَةِ، فنرى كيف يمدح القرآن الكريم المالَ وأصحابه.

### أولاً: المال في مقام المدح والثناء

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

افتتح الله -عز وجل- الحديث عن المال في آيات كثيرة من كتابه بوصفه "زينة"، والزينة ما يُتَجَمَّلُ به ويتزين. قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: 46]. قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "أي هما مما يتزين به الناس في الحياة الدنيا، وهو من زينة الدنيا وزهرتها." وقال الإمام الطبري في "جامع البيان": "المال والبنون من متاع الدنيا الذي يفتتن به الناس، ويعجبون به، ولكنه لا ينفع عند الله."

فهذه الآية تضع المال في موضعه الطبيعي: زينة تُجَمَّلُ الحياة الدنيا، ولكنها ليست الغاية النهائية للإنسان.

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغَى ﴾

ومن رحمته بعباده أنه سبحانه يغني من يشاء، وجعل الإغناء من جملة نعمه التي يُمْتُّ بها على عباده. قال تعالى ممتناً على نبيه بهذه النعمة: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغَى ﴾ [الضحى: 8]. فهذه نعمة عظيمة يُثني الله بها على نفسه، فدلَّ ذلك على أن المال بذاته نعمة لا نقمة.

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾

قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: 14]. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: "اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه."

فالزينة هنا مذكورة في سياقها الطبيعي، ثم يردفها الله بقوله "وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ" ليبقر في النفوس أن الخير الحقيقي ليس في هذه الزينة، بل فيما عند الله.

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ بين المدح والذم

ثم تأتي آية عظيمة تجمع المعنى في كلمة جامعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: 15]. فالله سبحانه لم يقل إن المال شرٌّ محض، بل جعله فتنة، أي اختباراً وابتلاءً. قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: 28].

وهذا الاختبار قد ينجح فيه الإنسان فيجعل ماله سبباً لسعادته في الدنيا والآخرة، وقد يفشل فيه فيصير المال عليه وبالاً.

**ثانياً: أحاديث المال في المدح والثناء**

﴿ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ ﴾

روى الحاكم بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ". وهذا الحديث يُبَيِّنُ أن المال ليس مذموماً في ذاته، بل هو "نِعْمٌ" إذا اجتمع مع الصلاح في الدين. فالرجل الصالح الذي يتاجر في الحلال وينفق في الخير ويراعي حدود الله في ماله، فهذا المال نعمة يُشكَّرُ عليها.

﴿ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ﴾

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذا المال خضرة حلوة. فمن أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو." فشبّه النبي صلى الله عليه وسلم المال بالثمرة الناضجة التي تسر الناظرين وتطيب للأكلين، ولكنها إذا أسيء استعمالها صارت وبألاً.

ووجه التشبيه: أن المال مطلوب للنفس كشهوة، فمن حملة الله عليه فليأخذه بحقه بأن يتجنب الكسب الحرام، وليضعه في حقه بأن يزيه وينفقه في وجوه البر، فحينئذ يكون عوناً ونعمة.

**ثالثاً: المال في مقام الذم والتحذير**

وبعد أن رأينا المال في موضع المدح والثناء والنعمة، ننتقل إلى الجانب الآخر حيث يتحول المال إلى نقمة إذا أسيء استعماله، فيذمه القرآن والسنة ويحذران منه.

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: 55، 85]. أي لا تظن أن كثرتها دليل على رضا الله، بل هي استدراج وإملاء يُعذَّبون به في الدنيا بتحصيلها من الحرام ثم يخرجون من الدنيا كافرين.

﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

وهذه الآية أعظم ما ورد في ذم المال إذا لم يخرج حقه. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۗ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [التوبة: 34-35].

والكنز المحرّم باتفاق جمهور الفقهاء: هو المال الذي لا تؤدَّى زكاته. فإذا أدَّى الإنسان ما يجب في ماله، فليس بكنز، سواء كان مدفوناً تحت الأرض أو بارزاً ظاهراً.

﴿ يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ عَرَضُ الْآخِرَةِ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 188]. فهذه الآية تُحَرِّمُ أكل المال بالباطل، من غصبٍ وريشًا وسرقة وريًا، وكل طريق غير مشروع.

### رابعًا: أحاديث المال في الذم والتحذير

﴿ وَيْلٌ لِّعَبْدِ الدِّينَارِ وَعَبْدِ الدَّرْهِمِ ﴾

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْقَطِيفَةِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". وهذا الحديث من أوضح الأدلة على أن المال إذا سيطر على القلب صار صاحبه عبدًا له، وعلاقته به هي معيار رضاه وسخطه.

﴿ لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَأَبْتَعِيَ نَالِيًا ﴾

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَأَبْتَعِيَ نَالِيًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". وفي رواية أخرى: "لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ". وهذا الحديث يُصَوِّرُ لنا حقيقة النفس البشرية في حب المال: كلما ازدادت ثروة الإنسان ازداد شغفه بالمزيد، فهي شهوة لا تكتفي ولا تنتهي ولا تُشبع الإنسان أبدًا.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه فيما روي عنه: "كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾". ومعنى ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون أن طلب الدنيا وتكاثرها قد صار مثل القرآن في شدة الانشغال به، حتى أنزل الله الآية لتنبه إلى الخطر.

﴿ قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَن دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ ﴾

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَن دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ". وفي هذا دليل على أن أصحاب المال وإن دخلوا الجنة بعد الحساب، فإن هناك محبسًا يمنعهم لدخولها حتى يناقشوا حسابهم، بخلاف المساكين الذين يدخلون الجنة قبلهم.

### خامسًا: التلخيص والخلاصة – القاعدة العامة في المال بين المدح والذم

بعد استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن المال في مقام المدح والثناء من جهة، وفي مقام الذم والتحذير من جهة أخرى، نخرج بقاعدة كلية تلخص نظرة الإسلام إلى المال:

المال في الإسلام "نِعْمَةٌ" إذا استعمل في الخير وأُدي حَقُّه، و"نِقْمَةٌ" إذا استعمل في الشر وحُبس حَقُّه.

ويمكن تفصيل هذه القاعدة في النقاط التالية:

**أولًا: المال يمدح إذا اجتمعت فيه ثلاثة شروط:**

1. اكتسب من الحلال.

2. أُدِّيت فيه حقوق الله (الزكاة، الصدقات).

3. صُرف في وجوه الخير والبر.

فإذا تحققت هذه الشروط كان المال "نِعَمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح"، وكان المعونة التي يحسن بها المسلم أمر دينه ودنياه.

### ثانيًا: المال يُدَمَّ إذا تخلف أحد هذه الشروط:

1. اكتسب من حرام (ربًا، رشًا، سرقة، غصبًا).

2. جُمع وكُنز وأمسكت زكاته.

3. صُرف في المعاصي والآثام.

فإذا وقع ذلك كان المال سببًا للهلاك في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: المال في ذاته ليس ممدوحًا ولا مذمومًا، وإنما الممدوح والمذموم هو طريقة استخدامه. لذا قال الفقهاء: "الوسائل لها أحكام المقاصد"، فمن اتخذ المال وسيلة إلى الله كان محمودًا، ومن اتخذها غاية في نفسه كان مذمومًا.

### رابعًا: الحذر من المال يكون في حالتين:

1. حال الكسب: أن يكتسب من حلال فيفتن صاحبه بالحرص الشديد، فينسى الغاية التي خلق من أجلها.

2. حال الإنفاق: أن يبخل به فيمنع الحقوق، أو يسرف فيه فيضيع المال في غير موضعه.

### خامسًا: علامات المال المحمود:

• أن يُقَرَّب صاحبه من الله.

• أن يُشعره بالطمأنينة والرضا.

• أن يجعله متواضعًا لله، رحيماً بالناس.

• أن يدخل السرور على عياله وأقاربه.

### علامات المال المذموم:

• أن يُبعد صاحبه عن الله وعن عبادته.

• أن يُشعره بالقنوط واليأس إذا نقص أو فُقد.

- أن يجعله متكبرًا على الناس جبارًا معتدًا.
- أن يُفسد في الأرض ويُعطل العبادات.

## الفصل الثاني

### حب المال – الجبلة الإنسانية والحكم الشرعي

#### مدخل تمهيدي: فطرة أم شيطنة؟

قبل أن نناقش حكم حب المال في الشريعة الإسلامية، لا بد أن ننطلق من حقيقة قرآنية ثابتة: حب المال جبلة إنسانية وفطرة خَلَقَ اللهُ عليها بني آدم. ليس حب المال بدعة أو عيبًا في ذاته، بل هو مما زُيِّن للناس وزُيِّنَتْ به الحياة الدنيا. ولكن الخطر كل الخطر يقع عندما يتحول هذا الحب الطبيعي إلى هوس يُعمي القلب ويُضلل البصيرة، فيصبح الدين والآخرة تبعًا للدنيا والمال.

عن هذه القضية سنتحدث في هذا الفصل: عن حقيقة حب المال، وعن حال الإنسان مع المال في القرآن، وعن الأحاديث التي تتحدث عن هذا الموضوع، ثم عن الحكم الشرعي الذي يفرق بين حب المال المحمود وحب المال المذموم، مبينين ضوابطه وحدوده، وما قاله العلماء والسلف فيه.

#### أولاً: حب المال – الجبلة الإنسانية في القرآن

إن النفوس البشرية مَجْبُولَةٌ على حب المال، وهذه حقيقة أقرّها القرآن صراحة في أكثر من آية. قال تعالى: ﴿ وَتَجِبُونَ أَمْالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: 20]. و"جَمًّا" صفة للمبالغة في الكثرة، أي حبًا شديدًا متراكمًا. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: 8]، والخير هنا المراد به المال كما قال المفسرون.

وهذا الحب ليس عيبًا في الإنسان، بل هو جزء من تركيبته التي خلقه الله عليها، فلا يُلام الإنسان على أنه خُلِقَ بهذه الصفة، ولكن يُلام على كيف يستخدمها، وإلى أي مدى يسمح لها بالسيطرة على قلبه وعقله.

قال العلماء في تفسير هذه الآيات: "فإن النفوس جُبلت على حب المال"، وهذا الجُبلة من حكمة الله تعالى لتقوم مصالح العباد، فالمال وسيلة للحياة، ولولا حب الإنسان للمال لما سعى في تحصيله، ولتوقفت عمارة الأرض ومصالح الناس.

وهذا ما يُسمّى في لسان الشرع "الجبلة الإنسانية" أو "الفطرة". فالله خلق الإنسان على حب المال، كما خلقه على حب الخلود وحب البقاء وحب الولد. ولكن الإنسان مكلف بأن يضبط هذه الغرائز والشهوات بما يرضي الله، لا أن يُطلق لها العنان فتسيطر عليه.

#### ثانيًا: حب المال في ضوء السنة النبوية

وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تتحدث عن حب المال وعلاقته بالإيمان والطاعة.

**أولاً: حديث "الشح أهلك من كان قبلكم"**

في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ؛ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمْرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا." فالشح هنا هو البخل المفرط الذي يتعدى إلى الظلم والقطيعة، وهذا هو حب المال المذموم.

**ثانياً: حديث "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم"**

وعن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدِ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرْفِ"، قال الترمذي: حديث حسن. ففي هذا تشبيهه بليغ: فحرص الإنسان على المال والشرف يفسد دينه كما تُفسد الذئب الجائعة الغنم.

**ثالثاً: حديث "خصلتان لا يجتمعان في مؤمن"**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ" (رواه الترمذي). وهذا يبيّن أن البخل الذي ينبع من حب المال المفرط ينافي الإيمان الصحيح.

**رابعاً: حديث "يتبع الميّت ثلاثة"**

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ." وهذا الحديث يذكر العبد بحقيقة المال حين الموت: فالذي سهر لأجله وحرص عليه وتعب في جمعه سيرجع عنه ويتركه لأهله وورثته، ولا يبقى معه إلا عمله الصالح أو الطالح.

**ثالثاً: التفصيل الشرعي - متى يُدّم حب المال؟**

بعد أن تقرّر أن حب المال جبلة إنسانية لا يُلام عليها الإنسان من حيث وجودها في قلبه، جاءت نصوص الوحيين والشريعة لتضبط هذا الحب بضوابط محددة.

قال أهل العلم في هذا المقام: "حب المال لا حرج فيه، إذا اكتسب الإنسان المال من الحلال، وقام بحق الله تعالى فيه من الزكاة، ونحوها، والإنفاق في وجوه الخير. لكن حب المال يكون مذمومًا إذا حمل صاحبه على اكتسابه من الحرام، وإذا شغله عن طاعة الله تعالى، واكتنزه الإنسان ولم يؤدّ فيه حق الله تعالى."

وقال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى: "أما حكم الإسلام في ذلك: فالذي يعاقب الرجل عليه الحب الذي يستلزم المعاصي، فإنه يستلزم الظلم، والكذب، والفواحش، ولا ريب أن الحرص على المال والرياسة يوجب هذا."

ونخلص من ذلك إلى أن حب المال المذموم هو الذي يُوصِل صاحبه إلى إحدى ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يجعله يطلب المال من الحرام. فإذا كان الإنسان يحب المال حبًا شديدًا لدرجة أنه يتجاوز حدود الله في الكسب، فهذا هو حب المال المذموم.

الحالة الثانية: أن يشغله المال عن طاعة الله. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: 9]. فالذي يترك الصلاة أو يضيع العبادات بسبب اشتغاله بجمع المال أو الحفاظ عليه، هذا من حب المال المذموم.

الحالة الثالثة: أن يمنع الحقوق الواجبة في المال (الزكاة، الصدقات، النفقات). فالذي يجمع المال ويمنع حق الله فيه، فهذا هو الذي يسمى عند الشارع "الكنز المذموم".

وأما مجرد الحب الذي في القلب إذا كان صاحبه يفعل ما أمره الله به ويترك ما نهى الله عنه، ويخاف مقام ربه، وينهى النفس عن الهوى، فإن الله لا يعاقبه على مثل هذا، إذا لم يكن معه عمل.

### رابعاً: أقوال السلف والعلماء في حب المال

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وإني ما أراهما إلا مهلكيكم". وهذا تحذير من أثر المال إذا استعبد القلب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أُتِيَ بِمَالٍ فَوُضِعَ فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَهَمَلَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يَبْكِيكَ، فَوَاللَّهِ إِنْ هَذَا لَمِنْ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ"، فَقَالَ عُمَرُ: "إِنْ هَذَا وَاللَّهِ مَا أَعْطِيهِ قَوْمٌ إِلَّا أَلْقَى بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ". فهذا قول صحابي جليل يبين أن كثرة المال إذا لم يُصاحبها تقوى ومراقبة لله قد تسبب الفرقة والعداوة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا بن آدم، اعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك". وهذا تلخيص بليغ لحقيقة الإنسان مع المال: هو مجرد خازن يجمعه لغيره.

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه: "أَيُّمَا مَالٍ جُمِعَ مِنْ غَيْرِ حَلٍّ جُعِلَتْ عَاقِبَتُهُ الْفَقْرَ".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "والله ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله". فمن جعل الدرهم عزيزاً في قلبه وضيع الله شأنه، ومن جعل الله عزيزاً في قلبه هان عليه الدرهم.

قال ابن القيم - رحمه الله - في هذه القضية كلمته المشهورة: "فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر، ومتى كان في قلبك ضررك ولو لم يكن في يدك منه شيء" مدارج السالكين (1/463) وهذا هو الفارق الجوهرى بين المؤمن الحق وغيره: المؤمن يمسك المال بيده لا في قلبه، فيستعمله عند الحاجة ولا يتعلق به تعلق العبيد.

فإن قيل: كيف نوفق بين هذا وبين أن المال محبوب للنفس فطرةً وجبلةً؟ قلنا: الحب الفطري لا يُلام عليه العبد ما دام تحت سلطان الشرع، أي ما دام العبد يضبط حرصه في الكسب وفي الإنفاق، ويغلب حب الله على حب المال كلما تعارضا. فأما إذا غلب حب المال على حب الله، فهنا يصير حب المال مذموماً بل شرراً أصغر قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 165]. فالمسلم الحقيقي الذي آمن بالله أشد حُباً لله من حب المال والولد وغيرهما.

## الفصل الثالث

### متى يتحول المال من نعمة إلى فتنة؟

#### تمهيد: لحظة التحول

بعد أن تقرر في الفصلين السابقين أن المال نعمة عظيمة يمدحه القرآن والسنة في أحوال، ويذمّانه في أحوال أخرى، وأن حب المال جبلة إنسانية لا تلام في أصلها، يبرز سؤال جوهري: متى بالضبط يتحول هذا المال من نعمة ترفل فيها العبد إلى فتنة تزلزل قدميه؟

إن التحول لا يحدث بغتة، بل هو عملية تراكمية بطيئة، كالمرض الذي يتسلل إلى الجسد دون أن يشعر به صاحبه حتى يستحکم. وقد عبّر القرآن عن هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: 15]. فجعل المال "فتنة" أي اختبارًا وابتلاءً، والابتلاء لا يكون إلا إذا كان الشيء يحتمل الخير والشر معًا.

وفي هذا الفصل، سنتتبع مسار التحول هذا خطوة بخطوة: بدءًا من العلامات الأولى الخفيفة التي تنبئ بسوء العاقبة، مرورًا بالأسباب التي تسرع بالتحول، وصولًا إلى المرحلة التي ينقلب فيها المال نعمةً على صاحبه، ثم نختم بعرض النتائج والآثار المترتبة على ذلك في الدنيا والآخرة.

#### أولاً: العلامات الأولى للتحول – الإنذار المبكر

هناك علامات أولية، قد تخفى على كثير من الناس، تشير إلى أن المال بدأ يتحول من نعمة إلى فتنة. وهي بمثابة "الإنذار المبكر" الذي ينبغي للمسلم أن يتنبه له قبل فوات الأوان.

#### العلامة الأولى: أن يصبح المال أكبر همّ الإنسان

روى الترمذي وابن ماجه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ، فَرَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن).

فإذا كان المال هو الشاغل الأكبر للإنسان – يفكر فيه عند استيقاظه، وعند نومه، وفي صلواته، وفي مجلسه – فهذه أول علامة على أن المال بدأ يستعبده. وقد قال ابن القيم رحمه الله في "الفوائد": "متى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو أكثر، ومتى كان في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء."

#### العلامة الثانية: أن يرتبط رضاه وسخطه بالعطاء المادي

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنَّ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". وهذه العلامة تظهر في سلوكيات صغيرة: أن يغضب الزوج على زوجته لأنها أنفقت دون علمه، أو أن يضيق صدره إذا تأخر راتبه، أو أن يسخط على الله إذا نقص ماله. فهذا الربط بين العطاء المادي والرضا النفسي من أمارات بدء الفتنة.

### العلامة الثالثة: عدم الاكتفاء أبدًا – شهوة المال التي لا تشبع

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". وهذا الحديث يصور حقيقة نفسية: الإنسان مهما أوتي من المال يظل طامعًا في المزيد. فإذا وجد الإنسان نفسه لا يشبع من جمع المال، وكلما جمع أكثر ازداد حرصًا على المزيد، فهذه علامة على أن المال صار فتنة في قلبه.

### العلامة الرابعة: أن يشغله المال عن طاعة الله

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: 9]. "الإلهام" هو الشغل والصدود. فإذا كان الرجل في تجارته أو عمله يترك الصلاة، أو يؤخرها عن وقتها، أو يصلبها بغير خشوع لانشغال باله بتجارته، فهذا من علامات فتنة المال. قال السعدي رحمه الله في تفسيرها: "أي لا تشغلكم الأموال والأولاد عن أداء الفرائض، والقيام بالواجبات، فإن الاشتغال بها عن ذلك من علامات الشقاوة."

### ثانيًا: أسباب التحول – كيف يتحول المال من نعمة إلى فتنة؟

بعد أن تعرفنا على العلامات المبكرة، ننتقل إلى الأسباب الجذرية التي تسبب هذا التحول. وهي أسباب شرعية ونفسية واجتماعية تتفاعل مع بعضها لتحول المال من نعمة إلى نقمة.

### السبب الأول: الغفلة عن حقيقة المال – أنه اختبار وابتلاء

إذا نسي الإنسان أن المال اختبار من الله، ظن أنه أوتيته لكرامته عند الله، أو لذكائه وحذقه. قال تعالى حكاية عن قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: 78]. أي ظن أن ماله جاء بسبب علمه ومعرفته، لا ابتلاء من الله. وهذا الظن هو الذي يقوده إلى الطغيان. قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلَىٰ ﴾ [العلق: 6-7]. فمجرد رؤية الإنسان نفسه غنيًا قد تدفعه إلى الطغيان إذا غفل عن أن هذا الغنى ابتلاء وامتحان.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يعني: إن الإنسان إذا استغنى وله مال ودنيا، فإنه يطغى ويتجبر ويتكبر."

### السبب الثاني: عدم التمييز بين الحلال والحرام في الكسب

من أعظم أسباب تحول المال إلى فتنة أن يجمع الإنسان المال من أي مصدر، حلالاً كان أم حراماً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ" (رواه البخاري). قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": "هذا من علامات الساعة، حيث يكثر المال وتتشابه المكاسب، فلا يبالي الرجل بما أخذ المال من حل أو حرم."

فعندما يبدأ الإنسان في تبرير الكسب الحرام (كالربا، والرشوة، والغش، والتجارة بالمحرمات) من أجل جمع المال، فهذا دليل على أن المال قد استحوذ على قلبه، وصار فتنة له.

### السبب الثالث: منع حقوق الله الواجبة في المال

وهو ألا يؤدي الإنسان زكاة ماله، ولا ينفق على أقاربه المحتاجين، ولا يتصدق على الفقراء والمساكين. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: 34]. قال جمهور المفسرين: "الكنز المحرم هو المال الذي لم تؤد زكاته". فإذا منع الإنسان الزكاة، فقد تحول ماله إلى كنز يُعذب به يوم القيامة.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَا مِنْ صَاحِبٍ كُنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبْهَتُهُ". وهذا وعيد شديد لمن منع حق الله في ماله.

### السبب الرابع: الإسراف والتبذير في إنفاق المال في المعاصي

تحول المال إلى فتنة لا يكون فقط بمنع الحقوق، بل أيضاً بصرفه في المعاصي والآثام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبْتَدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الإسراء: 27]. والتبذير هو الإنفاق في غير طاعة الله، كإنفاق المال على الخمر والميسر والفواحش والحرام.

فالمال الذي يصرفه الإنسان في المعاصي يصير وبلاً عليه في الدنيا والآخرة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن). فمن صرف نعمة المال في غير طاعة الله، فقد كفر بالنعمة واستحق العقاب.

### ثالثاً: مراحل التحول - من النعمة إلى النعمة

يتحول المال من نعمة إلى نعمة عبر مراحل متدرجة، يمكن تلخيصها في أربع مراحل:

#### المرحلة الأولى: مرحلة الاغترار بالمال

في هذه المرحلة، يبدأ الإنسان في الاغترار بماله، فيظن أنه قد أمن من الفقر ومن الحاجة. قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعٍ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى ﴾ [العلق: 6-7]. قال ابن عاشور في "التحرير والتنوير": "الاستغناء هو أن يرى نفسه غنياً، فينسى أنه كان فقيراً، ويظن أنه لن يفتقر أبداً". وهذه بداية الانزلاق.

**المرحلة الثانية: مرحلة الكبر والتكبر على الناس**

مع زيادة المال، ينتقل الإنسان إلى مرحلة الكبر، فيظن نفسه أفضل من غيره، ويتكبر على الفقراء والمساكين. قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ [القصص: 76]. والبغي هو الظلم والتعدي والكبر. وقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ". فإذا أوصل المال صاحبه إلى الكبر، فقد صار نقمة.

**المرحلة الثالثة: مرحلة إيثار المال على كل شيء**

في هذه المرحلة، يقدم المال على الدين، وعلى الأهل، وعلى المبادئ. فبييع دينه بدنياه غيره. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 207]، وهؤلاء هم المؤمنون، ولكن في المقابل هناك من يبيع آخرته بدنياه غيره. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: تُحِبُّ الْمَالَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْمَالَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ" رواه أحمد، بسند حسن).

**المرحلة الرابعة: مرحلة عبودية المال المطلقة**

وهي المرحلة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ"، ففي هذه المرحلة يصبح المال هو الإله الذي يُعبد من دون الله – وإن كان العبد لا يقر بذلك بلسانه، لكنه يعبده بفعله: فيطيعه في الحرام، ويخاف فقده أكثر من خوفه من الله، ويرضى برضاه ويغضب لغضبه. وهذه عبودية مجازية، لكنها تصل بالعبد إلى حضيض الانحطاط الأخلاقي والديني.

**رابعًا: متى يصبح المال فتنة محققة؟ – معايير التحديد**

بعد استعراض العلامات والأسباب والمراحل، يمكننا وضع معايير محددة لمعرفة متى يتحقق أن المال صار فتنة على صاحبه. وهذه المعايير مستفادة من كلام العلماء المحققين:

**المعيار الأول: أن يمنع صاحبه من طاعة الله**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى": "فَمَتَى كَانَ الْمَالُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّهُ فِتْنَةٌ لَهُ". فإذا كان الرجل يستطيع أن يؤدي فريضة الحج وهو غني ولكنه لا يؤديها، أو يمنعه ماله من أداء الزكاة، أو يشغله عن صلاة الجماعة، فهذا مال صار فتنة.

**المعيار الثاني: أن يكون سببًا في اكتساب الحرام**

قال ابن حجر الهيتمي في "الزواجر عن اقتراف الكبائر": "من علامات فتنة المال أن يحمل صاحبه على ارتكاب المحرمات لجمع المال أو الحفاظ عليه". فإذا كان الإنسان يغش، أو يراي، أو يرتشي، أو يظلم العمال، فهذا دليل على فتنة المال.

**المعيار الثالث: أن يصرف في الحرام**

إذا كان المال يصرف في شراء الخمر، أو في أماكن الفواحش، أو في المعازف والمحرمات، فهذا مال فتنه. قال القرطبي في "تفسيره": "المال نعمة إذا أنفق في طاعة الله، ونقمة إذا أنفق في معصيته."

**المعيار الرابع: أن يجمع بدون حق ويمنع عن مستحقه**

وهو ما ذكره الله في سورة الهمزة: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ \* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: 2-3]. قال ابن كثير: "أي جمع المال وأحصاه وعدده، ومنعه عن حقوق الله الواجبة فيه". فهذا مال فتنه بلا شك.

**المعيار الخامس: أن يحبب الدنيا إلى صاحبه حتى ينساها الآخرة**

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: 16-17]. فإذا كان المال سببًا في إثارة الدنيا على الآخرة، وتقديم العاجل على الآجل، فقد صار فتنه. قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان": "إثارة الدنيا على الآخرة من أعظم الفتن، وأكثرها سببًا للمال."

**خامسًا: آثار تحول المال إلى فتنه - في الدنيا والآخرة**

عندما يتحقق أن المال صار فتنه على صاحبه، تترتب عليه آثار وخيمة، منها ما يكون في الدنيا، ومنها ما يكون في الآخرة.

**أولًا: الآثار الدنيوية:**

1. ضياع الطمأنينة النفسية: يعيش صاحب المال الذي صار فتنه في قلق دائم على ماله، يخاف من خسارته، ومن سرقة، ومن تقلبات السوق. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَىٰ﴾، والطغيان يؤدي إلى القلق لا إلى الطمأنينة.
2. قسوة القلب: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَكْثَرُ مَنْ يُدْخِلُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ: الْفَرْجُ وَالْقَمَمُ، وَأَكْثَرُ مَنْ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ التَّقْوَىٰ وَحُسْنُ الْخُلُقِ" (رواه الترمذي). وكثرة المال مع عدم التقوى تقسي القلب، كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: 13]، ومن أسباب القسوة حب المال والدنيا.
3. فساد العلاقات الأسرية والاجتماعية: قد يقطع الرحم من أجل المال، ويخاصم إخوته على الميراث، ويهجر جاره بسبب خلاف على المال. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" (رواه مسلم). وحب المال هو السبب الأكبر للتحاسد والتباغض.

**ثانيًا: الآثار الأخروية:**

1. الحساب العسير يوم القيامة: سيُسأل صاحب المال عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق. روى الترمذي عن أبي هريرة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِي يَوْمٍ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عَمَلِهِ فِي يَوْمٍ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ،"

وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح). فمن كان ماله فتنة، فيما أن يكون اكتسبه من حرام فيعاقب، أو منعه حقه فيعاقب، أو أنفقه في حرام فيعاقب.

2. عذاب الكنز: قال تعالى عن الذين يكنزون الذهب والفضة: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [التوبة: 35]. وهذا عذاب عاجل في البرزخ أو يوم القيامة.

3. الحجز عن الجنة: روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ". قال النووي في شرح مسلم: "أي أصحاب الغنى والثروة محبوسون للحساب، وأما المساكين فيدخلون الجنة بغير حساب". وهذا لا يعني أن الأغنياء لا يدخلون الجنة، لكنهم يحبسون للمناقشة والحساب، وقد يعذبون إن كان مالهم فتنة عليهم.

4. الندامة والحسرة: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27]. وهذه الندامة تشمل كل من آثر الدنيا على الآخرة، ومنهم من جعله ماله فتنة.

### خاتمة الفصل: بين النعمة والنقمة – وقفة مع النفس

بعد هذا الاستعراض التفصيلي، يتبين أن المال ليس نعمة مطلقة ولا نقمة مطلقة، بل هو مادة قابلة للتحويل. والنعمة تتحول إلى نقمة متى فقد العبد ضوابط الشرع في تعامله مع المال في ثلاث مراحل: مرحلة الكسب، ومرحلة الحفظ، ومرحلة الإنفاق.

إن الوقاية خير من العلاج. فالمسلم العاقل لا ينتظر حتى يتحول ماله إلى فتنة فيصعب علاجه، بل يتفقد نفسه بين الحين والآخر، ويسأل نفسه أسئلة صادقة:

- هل مالي يشغلني عن طاعة الله؟
- هل أحرص على المال من أي مصدر كان؟
- هل أمنع حق الله في مالي؟
- هل أنا راضٍ عن الله إذا قل مالي، وساخط إذا كثر؟
- هل أقدم المال على ديني وأخلاقي؟

فإذا وجد في نفسه شيئاً من هذه العلامات، فليسرع إلى التوبة وتصحيح المسار، قبل أن يصير ماله فتنة تُرديه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]. والشح هو البخل والحرص الشديد على المال، فمن وقى شح نفسه فقد فاز. ونسأل الله أن يقينا شح أنفسنا، وأن يجعل المال في أيدينا لا في قلوبنا، وأن يوفقنا لشكره وحسن عبادته.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

# الباب الثاني

## من هو "عبد المال"؟

### تمهيد الباب

بعد أن أسسنا في الباب الأول لفهم المال في الإسلام، ورأينا كيف يكون نعمةً محمودةً في أحوال ونقمةً مذمومةً في أخرى، وكيف يتحول من نعمة إلى فتنة متى فقد العبد ضوابط الشرع، ننتقل في هذا الباب إلى الحديث عن الشخصية المحورية التي يعالجها هذا الكتاب: شخصية "عبد المال".

فمن هو هذا الإنسان الذي أطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصف "عبد الدينار وعبد الدرهم"؟ هل المقصود بالعبادة هنا العبادة الحقيقية التي تخرج من الملة؟ أم أن الأمر مجازٌ بلاغيٌّ يُراد به شدة التعلق والانقياد للمال؟ وما الفرق بين "عبد المال" و"مالك المال"؟ وما هي المواصفات النفسية والسلوكية والشرعية التي تميز هذه الشخصية؟

هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عنها في فصول هذا الباب، مبتدئين في هذا الفصل الأول بتعريف "عبد المال" وتوضيح العلاقة بين الحقيقة والمجاز في هذا الوصف، تمهيدًا للتعمق في مواصفاته والتفريق بينه وبين مالك المال في الفصول التالية.

نسأل الله أن يبصرنا بحقيقة أنفسنا، وأن يجنبنا صفة "عبودية المال" التي ذمها شرعه، وأن يجعلنا من مالكي المال لا من عباده.

### الفصل الأول

#### تعريف "عبد المال" – بين الحقيقة والمجاز

#### تمهيد: لماذا هذا التفريق؟

قد يتساءل القارئ: لماذا نُعنى بالتفريق بين الحقيقة والمجاز في تعريف "عبد المال"؟ أليس المعنى واضحًا في أن المقصود به شديد التعلق بالمال؟ بلى، ولكن من المهم -بل الضروري- أن نكون دقيقين في هذا التفريق، لأن الخلط بين الحقيقة والمجاز في هذا الباب قد يؤدي إلى نتائج خطيرة؛ فمن يظن أن "عبد المال" يُقصد به

العبادة الحقيقية للدرهم والدينار يظن أن صاحبه قد خرج من الملة، وهذا حكم عظيم يترتب عليه تكفير المسلمين بغير حق. ومن ناحية أخرى، من يهمل الجانب المجازي ولا يدرك خطورة وصف النبي صلى الله عليه وسلم للأغنياء بهذا الوصف قد يستهين بفتنة المال ويظنها أمرًا هينًا.

لذا كان لزامًا أن نشرح هذا التفريق بشيء من التفصيل، بالاعتماد على ما قرره علماء اللغة والأصول وشرح الحديث، لنضع القارئ على بينة من أمره.

### أولاً: التمهيد اللغوي – معنى "العبد" في اللغة والشرع

المعنى اللغوي:

لفظة "العبد" في اللغة العربية تدور حول معنى الخضوع والذلة والانقياد. والعبد في أصل اللغة هو الإنسان الذي يملكه غيره، ويخضع له ويذل لأمره. والجمع: عبيد وعبيد، وأصلها من العبودية بمعنى الطاعة والامتثال مع الذل والخضوع. يقال: عبده إذا أطاعه خاضعًا له.

المعنى الشرعي:

أما في الشرع، ف"العبادة" هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. والعبودية لله سبحانه هي الغاية التي خلق الإنسان من أجلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]. وهذه العبادة لا تصلح إلا لله وحده، قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: 36].

وهنا يبرز سؤال: كيف أطلق النبي صلى الله عليه وسلم وصف "العبد" على بعض الناس بالنسبة للدينار والدرهم؟ أي عبادة حقيقية بمعنى العبادة الشرعية؟ أم أن الأمر مختلف؟

والجواب: المقصود بالعبادة هنا ليست العبادة بالمعنى الشرعي الأصلي، وإنما هي عبادة مجازية تعني شدة التعلق والانقياد والطاعة للمال. وهذا ما يسمى في علم البلاغة "الاستعارة" أو "المجاز اللغوي".

### ثانياً: الحقيقة والمجاز في اللغة

تعريف الحقيقة في الاصطلاح:

الحقيقة في اصطلاح البلاغيين والأصوليين هي "اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب"، أي أن يُستعمل اللفظ في معناه الأصلي الذي وُضع له لغة. فمثلاً، لفظ "الأسد" إذا أُطلق على الحيوان المفترس المعروف، فهذا استعمال حقيقي.

تعريف المجاز:

أما المجاز فهو "اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لقريظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي". أي أن يُستعمل اللفظ في معنى غير معناه الأصلي، مع وجود قرينة تدل على أن المراد غير المعنى الحقيقي. والمجاز نوع من أنواع البلاغة التي تثري اللغة وتجعلها أكثر قدرة على التعبير عن المعاني الدقيقة.

فمثلاً: قول الشاعر "رأيت أسدًا في الميدان يُقاتل"، والمراد به رجل شجاع، فهذا استعمال مجازي. فالأسد هنا لم يُرَدَّ به الحيوان المفترس حقيقة، وإنما أُطلق على الرجل الشجاع مجازاً، مع وجود قرينة تدل على أن المراد غير المعنى الحقيقي.

### ثالثاً: "عبد المال" بين الحقيقة الشرعية والمجاز البلاغي

**أولاً:** هل هي عبادة حقيقة بالمعنى الشرعي؟

لا يمكن أن يكون وصف "عبد المال" بمعنى العبادة الحقيقية الشرعية بأي حال من الأحوال، وذلك للأسباب التالية:

1. أن العبادة الحقيقية تستلزم الإلهية: فالعبد لا يكون عبداً حقيقة إلا إذا كان هناك معبود يُعبد. والمال ليس إلهًا، ولا يتخذ إلهًا من دون الله عند عامة المسلمين. فمن عبد المال حقيقة واتخذ إلهًا من دون الله فقد أشرك بالله شرًا أكبر، وهذا خارج عن الواقع العام للمسلمين، وإنما هو حال الكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام.
2. أن المال جماد لا يستحق العبادة: والعبادة لا تصلح إلا لمن له صفات الألوهية. والمال ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة، فلا يصلح أن يكون معبودًا.
3. أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس بـ"عبد الدينار وعبد الدرهم" ليس معناه تكفيرهم: لو كان المقصود هو العبادة الحقيقية لكان معناه أن هؤلاء كفار مشركون، وهذا لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة أو المسلمين. فالنبي عليه الصلاة والسلام وصف بعض الناس بهذه الصفة وهم في عداد المسلمين، فدل ذلك على أن المراد غير الحقيقة.

### ثانيًا: القول الفصل – إنها عبادة مجازية

ومما سبق يتضح بجلاء أن وصف "عبد المال" إنما هو من باب المجاز اللغوي، وليس من باب الحقيقة الشرعية. وقد صرح بذلك شراح الحديث والمحققون من العلماء.

فقد قال شراح الحديث في تفسير حديث "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم": "المقصود بعبد الدينار، وعبد الدرهم: محبُّه الذي يسعى في جمعه، وإطلاق العبد عليه طريقه الاستعارة والإضافة لأدنى ملابسة".

فشرح الحديث يبينون أن هذا الوصف إنما هو على سبيل الاستعارة والمجاز، لا على سبيل الحقيقة. فـ"العبودية" هنا للدينار والدرهم هي من باب "أدنى ملابسة"، أي أن مجرد شدة التعلق والحرص الشديد على

جمع المال جعل النبي صلى الله عليه وسلم يُطلق على صاحبه وصف العبد، لا لأنه يعبده حقيقة، بل لأنه أشبه بالعبد في انقياده وطاعته وخضوعه للمال.

وجاء في "عمدة القاري شرح البخاري" للإمام العيني شرحًا لهذا الحديث: "قوله: (عبد الدينار)، مجاز عن حرصه عليه، وتحمل الذلة لأجله، أي: طلب ذلك قد استعبده وصار عمله كله في طلبهما، كالعبادة لهما."

فهذا النص من أعلى مراجع شرح البخاري (عمدة القاري) يوضح لنا أن "عبد الدينار" هو وصف مجازي يُقصد به شدة الحرص على المال، وتحمل الذل والمشقة من أجله، حتى صار عمله كله في طلب المال وكأنه يعبد.

ويقول ابن تيمية رحمه الله في "العبودية" في وصف حال من عبد المال: "وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه: (إن أعطي رضي، وإن منع سخط). وبالنظر إلى أن ابن تيمية قد تناول مفهوم العبودية بتوسع في كتابه، فإنه لم يقصد هنا العبادة الحقيقية التي تخرج من الملة، وإنما العبودية بمعنى التعلق والانقياد. ولا يخفى أن العبودية للمال هي نوع من العبودية التي تُذهب كمال العبودية لله، بل جعل ابن تيمية التفاضل في هذا الباب هو تفاضل في حقيقة الإيمان. وهذا التفريق دقيق: فمن كان قلبه معلقًا بالمال، منقادًا له في حرصه، فهو في درجة من درجات النقص في إيمانه، ولكنه لم يخرج من الملة إلا إن جعل المال نداءً لله في محبته أو خضوعه.

#### رابعًا: أقوال العلماء في التفسير المجازي لـ"عبد المال"

وقد تواترت أقوال العلماء على أن هذا الوصف إنما هو من باب المجاز والاستعارة، وليس من باب الحقيقة، وأن المقصود به الحرص الشديد والتعلق الزائد بالمال، لا العبادة الشرعية الحقيقية.

**أولاً:** قول أئمة شرح الحديث:

كما أسلفنا، جاء في "الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري": "المقصود بعبد الدينار، وعبد الدرهم: محبته الذي يسعى في جمعه، وإطلاق العبد عليه طريقه الاستعارة والإضافة لأدنى ملابسة."

وجاء في "عمدة القاري شرح البخاري": "قوله: (عبد الدينار)، مجاز عن حرصه عليه، وتحمل الذلة لأجله، أي: طلب ذلك قد استعبده وصار عمله كله في طلبهما، كالعبادة لهما."

فهذان النصان يوضحان أن الشراح يقررون أن وصف "عبد الدينار" هو من باب المجاز، وأنه يُراد به:

- المعنى الأول: شدة الحرص على المال.
- المعنى الثاني: تحمل الذلة والمشقة في سبيل جمع المال.
- المعنى الثالث: أن صاحب هذا الوصف صار عمله كله في طلب المال، كأنه يعبد.

**ثانيًا:** تطبيقات عملية على المجاز

لنضرب مثلاً تطبيقياً يوضح الفرق بين الحقيقة والمجاز في هذا المقام:

- القول بالحقيقة: لو قلت عن شخص إنه "عبد المال" بمعنى أنه يعبد حقيقته من دون الله، فهذا يعني أنه أشرك بالله شركاً أكبر، وأنه ليس بمسلم.
  - القول بالمجاز: أما لو قلت عن شخص إنه "عبد المال" بمعنى أنه شديد الحرص على جمعه، يضحّي بكل شيء من أجله، ويُقدّمه على دينه وأخلاقه، فهذا هو المقصود الشرعي بالحديث.
- وهذا الفارق بين الحقيقة والمجاز هو ما يحفظ علينا عقيدتنا، فلا نقع في التكفير بغير حق، وفي نفس الوقت لا نستهيّن بخطورة هذه الآفة على دين المسلم وأخلاقه.

### خامساً: معالم شخصية "عبد المال" – بين الحقيقة والمجاز

بعد أن تقرر أن وصف "عبد المال" هو من باب المجاز لا الحقيقة، يمكننا أن نحدد معالم هذه الشخصية في ضوء هذا التحديد، مع الانتباه إلى أن أوصافها ليست من الشرك الأكبر، وإنما من الذنوب الكبيرة والنقائص العظيمة في الإيمان.

المعالم التي يشترك فيها "عبد المال" الحقيقي والمجازي (من حيث التأثير السلبي على العبد):

1. التعلق القلبي الزائد: سواء كان هذا التعلق تعلقاً حقيقياً بالمال كإله، أو تعلقاً مجازياً ناتجاً عن شدة الحرص، فالنتيجة واحدة: قلب العبد يتعلق بالمال، وينصرف عن ذكر الله.
2. الانقياد لأوامر المال: سواء كانت العبودية حقيقية (فتكون بالطاعة التامة للمال كإله) أو مجازية (فتكون بتقديم رغبات المال على أوامر الله)، ففي الحالتين يكون الإنسان منقاداً للمال ومطيعاً له.
3. تعطيل حقوق الله في المال: سواء كان الإنسان يعبد المال حقيقة أو كان شديد الحرص عليه مجازاً، فإن النتيجة في هذا الجانب واحدة: قد يمنع حق الله في ماله من زكاة وصدقات، أو يصرفه في غير طاعة الله.

الفرق الجوهرية بين الحقيقة والمجاز:

1. في جانب العقيدة: من عبد المال حقيقة فهو مشرك كافر خارج عن الملة؛ أما من هو شديد الحرص عليه مجازاً فهو مسلم عاصٍ أو مقصّر، عقيدته سليمة ولكن عمله وسلوكه يحتاج إلى تصحيح.
2. في جانب الحكم الشرعي: الحكم على من عبد المال حقيقة هو الكفر والخلود في النار إن لم يتب؛ أما الحكم على من هو عبد المال مجازاً فهو أنه عاصٍ مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، يستحق العقوبة إن شاء الله أو العفو، ومآله في النهاية إلى الجنة إن مات على التوحيد.
3. في جانب العلاج: عباد المال الحقيقيون (وهم قلة نادرة من المجانين أو الملاحدة أو عبدة الشيطان) يحتاجون إلى إعادة بناء عقيدتهم من جديد؛ أما عبيد المال المجازيون (وهم الأغلبية الساحقة ممن

ينطبق عليهم وصف النبي صلى الله عليه وسلم) فيحتاجون إلى تذكير وتزكية وتوجيه وإعادة ضبط لأوليائهم.

### سادسًا: الخلاصة – الخلاصة في تعريف "عبد المال"

بناءً على ما تقدم من التفصيل في مسألة الحقيقة والمجاز، يمكننا أن نقدم تعريفًا جامعًا مانعًا لـ"عبد المال":  
عبد المال: هو الإنسان الذي استعبده نفسه وشهوته للمال، فانقاد له انقياد العبد لسيده، ورضاه وسخطه مرتبطان به، وقدم المال على كل شيء، فهو من الناحية الشرعية مسلم عاصٍ إذا لم يبلغ به الحال إلى الشرك الأكبر، ولكنه عبد للمال من الناحية المجازية والبلاغية التي أرادها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم".

وهذا التعريف يجمع بين عدة عناصر أساسية:

1. عنصر الاستعباد النفسي: أن يكون الإنسان قد استعبده نفسه وشهوته للمال، أي أن قلبه أصبح أسيرًا للمال، لا يستطيع فكًا منه، ولا يتصور حياته بدونه.
2. عنصر الانقياد والطاعة: أن يكون الإنسان منقادًا للمال مطيعًا له، فكل ما يطلبه المال يفعله، وكل ما يمنعه المال عنه يتركه، وكأنه السيد المطاع.
3. عنصر ارتباط الرضى والسخط بالمال: أن يكون رضاه وسخطه مرتبطين بالمال (إن أعطي رضى، وإن لم يعط سخط).
4. عنصر التقديم والإيثار: أن يُقدّم المال على كل شيء: على دينه، وأخلاقه، وأهله، ونفسه.
5. التحديد الشرعي: أن هذا الإنسان من الناحية الشرعية مسلم عاصٍ، ولكن من الناحية البلاغية هو "عبد المال" كما أطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

### خاتمة الفصل: وقفة مع النفس

بعد أن تعرفنا في هذا الفصل على المعنى الدقيق لوصف "عبد المال"، وتبين لنا أنه من باب المجاز البلاغي لا الحقيقة الشرعية، ندرك أن هذا الوصف أخطر مما قد يظن البعض. فليس المطلوب أن نكون على يقين من أننا لم نعبد المال حقيقة، بل المطلوب أن ننظر إلى قلوبنا: هل نحن من عبید المال مجازًا؟

لأن العبودية المجازية قد تكون أشد خطرًا على العبد من العبودية الحقيقية في بعض الجوانب؛ لأن العبودية الحقيقية ظاهرة واضحة جلية لا يخفى أمرها على العبد، فهو يعلم أنه أشرك بالله، فيبادر إلى التوبة والخروج

من هذه الحالة. أما العبودية المجازية فهي خفية تتسلل إلى القلب دون أن يشعر بها صاحبها، فيظل يعيش حياته كلها وهو يحسب أنه على شيء، وإذا به من عبيد المال.

وهذا هو المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (رواه مسلم).

فحين ينظر الله إلى قلب العبد، فإن كان قلبه معلقًا بالدرهم والدينار، منقادًا لهما، متبعًا لأمرهما، وكان عمله كله في خدمتهما وطلب رضاهما، فإنه يكون عند الله من عبيد المال، وإن كان لا يسجد لهما ولا يدعوهما من دون الله.

فحذار -أيها القارئ الكريم- أن تكون من عبيد المال وأنت لا تشعر. فلتجلس مع نفسك جلسة صدق، ولتسألها:

• هل أقدم المال على ديني؟

• هل أترك أوامر الله من أجل المال؟

• هل أرضى إذا أعطيتُ المال، وأسخط إذا مُنعتَه؟

• هل أحب المال حبًا يخرج قلبي عن طاعة ربي؟

فإن وجدت في نفسك شيئًا من ذلك، فاعلم أنك -مع الأسف- من عبيد المال مجازًا، وأنت بحاجة ماسة إلى التوبة والاستغفار والعودة إلى الله، ليعيد قلبك إلى حبه وحده.

وإلى هنا ينتهي الفصل الأول من الباب الثاني، ونتوجه في الفصل القادم -إن شاء الله- إلى الحديث عن مواصفات "عبد المال" تفصيلًا، من حيث الصفات النفسية والسلوكية والشرعية التي تميز هذه الشخصية، ومتى يمكننا أن نصف إنسانًا بعينه بأنه أصبح "عبد المال".

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الفصل الثاني

### مواصفات "عبد المال" – نفسيًا وسلوكيًا وشرعيًا

#### تمهيد: من هو "عبد المال" حقًا؟

بعد أن تعرفنا في الفصل السابق على المعنى الدقيق لوصف "عبد المال" وتبين لنا أنه من باب المجاز البلاغي لا الحقيقة الشرعية، يحين الآن أن نرسم صورة واضحة لهذه الشخصية من خلال استقراء النصوص الشرعية وأقوال العلماء.

إن "عبد المال" ليس شخصًا نظريًا يُذكر في الكتب فقط، بل هو نموذج حي موجود في كل زمان ومكان، ربما نجلس معه، ونتعامل معه، وقد نكون – للأسف – نحن أنفسنا هو دون أن نشعر.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الأَحْمِصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الأَحْمِيلَةِ، إِنَّ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ، تَعِسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ". هذا الحديث العظيم يرسم لنا ملامح شخصية "عبد المال" من خلال عدة جوانب نفسية وسلوكية.

وفي هذا الفصل، سنقسم مواصفات "عبد المال" إلى ثلاثة أقسام رئيسية: المواصفات النفسية (ما يدور في قلبه)، والمواصفات السلوكية (ما يصدر عنه من أفعال)، والمواصفات الشرعية (ما يترتب عليه من أحكام)، ثم نختم بجداول جامع يلخص جميع هذه المواصفات.

#### أولاً: المواصفات النفسية – ما في القلب

إن القلب هو ملك الأعضاء ومصالحة الجسد، فإذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله. ولما كان "عبد المال" قد استعبد قلبه للمال، فإن أول ما يظهر من علاماته هو ما ينعكس على أحواله النفسية. وقد أحصى العلماء من هذه المواصفات النفسية ما يلي:

##### أ. التعلق القلبي الزائد بالمعدن النفيس والمظهر

شرح العلماء حديث "عَبْدَ الدِّينَارِ" بأنه "الذي يتعلق قلبه بالمال سواء كان دينارًا أو ريالًا أو دولارًا أو غيره، بحيث إنه يكون مسخرًا لهذا المال يتفانى في جمعه من غير نظر في طرق تحصيله، هل هو من الحلال أو من الحرام. وإذا وقع في يده فقلبه مشغول بهذا الدينار، فهو يخاف عليه البوائق، ويخاف عليه التحول من يده إلى يد غيره". هذا التعلق القلبي هو أصل جميع الآفات الأخرى.

##### ب. ارتباط الرضا والسخط بالعطاء المادي

جاء في الحديث الشريف: "إِنَّ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". "فمعيار رضا "عبد المال" وسخطه هو العطاء المادي، وليس رضا الله ورسوله. قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "وهذا حال من عبد المال، إن أعطي رضي وإن منع سخط".

## ج. الحرص الشديد الذي لا يشبع (شهوة الجمع)

روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمَلُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ". وهذا الحديث يصور حقيقة "عبد المال" النفسية: أنه لا يشبع من جمع المال أبدًا، وكلما ازداد ماله ازداد طمعه، حتى الموت ينهي هذه الرحلة التي لا تنتهي.

## د. الغفلة عن ذكر الله وانشغال القلب بالدنيا

إذا دخل "عبد المال" المسجد ليصلي، فإن قلبه ليس مع الله، بل هو يحسب الحسابات، ويفكر في تجارته، ويخطط لصفقاته. قال أحد العلماء عن هذا النموذج: "المسجد لا يعرفه، وإن صلى فقلبه مشغول، يصلي وهو يحسب الحسابات ويخطط للصفقات". وإن عرف المسجد فلم يذكر الله إلا ذكرًا غافلًا.

## هـ. الخوف الدائم والقلق المستمر على المال

عبد المال يعيش في خوف دائم على ماله: يخاف عليه من السرقة، ومن الخسارة، ومن تقلبات السوق، ومن أن ينتقل إلى يد غيره. وهذه الحالة النفسية تجعله لا يطمئن قلبه أبدًا، ولا يذوق حلاوة الرضا. لقد بلغ التعلق بالمال ببعضهم إلى درجة أنهم لا يستطيعون دفع نقود لأحد من أيديهم، بل يتعاملون بالبطاقات أو الشيكات خوفًا من فراق النقود.

## و. الكبر والطغيان عند الشعور بالغنى

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ \* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6-7]. فحين يشعر عبد المال بأنه قد استغنى، يبدأ الطغيان يتسلل إلى قلبه، فيظن أنه لا يحتاج إلى أحد، ويظن أن ماله هو الذي يمنحه القيمة والعزة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في الفاروق: "من كثر ماله كثرت ذنوبه"، والمعنى أنه إذا كثر ماله كثرت معاصيه ومنها الكبر والطغيان.

## ثانيًا: الموصفات السلوكية – ما في العمل

بعد أن تعلق قلبهم بالمال، وامتألت نفوسهم بحبه، انعكس ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم في الحياة. وهذه الموصفات السلوكية هي المظاهر الخارجية التي يمكن لمن حولهم أن يلاحظوها:

## أ. عدم التمييز بين الحلال والحرام في الكسب

من أبرز سلوكيات "عبد المال" أنه لا يبالي من أين يأتي المال، أمن حلال أم من حرام. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ رَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالُ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ" (رواه البخاري). وهذا الزمان الذي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم قد ظهرت بوادره في عصرنا بشكل واضح، حيث صار المال هو المعيار الوحيد للنجاح، بغض النظر عن كيفية تحصيله. قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: "إن أعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض"، فهو يرضى بالمال وإن كان من حرام، ولا يرضى إذا لم يُعط وإن كان الترك للحلال مصلحة دينية له. وهذا هو معنى قولهم: الحلال عنده ما حلَّ باليد، بغير نظر في طرق هذا الاكتساب.

## ب. منع حقوق الله الواجبة في المال

عبد المال يمنع الزكاة الواجبة، ويمنع النفقات الواجبة، فضلاً عن النفقات المستحبة والصدقات. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أي مال أدت زكاته فليس بكنز". وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "كل مال لا تؤدي زكاته كان على ظهر الأرض أو بطنها فهو كنز". وقد ثبت من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوضاعاً من ذهب، فقالت: "يا رسول الله أكنز هو؟" فقال: "إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ" رواه أبو داود.

## ج. قطع الأرحام والإضرار بالآخرين من أجل المال

يصل الأمر بعبد المال إلى أن يقطع الأرحام، ويقطع ما أمر الله به من صلة، ويقارف كل ما لا يليق من أجل تحصيل هذا المال. قد يخاصم إخوته على الميراث، ويهجر جاره بسبب خلاف على حدود الدار، ويمتنع عن صلة رحمه لأنه يظن أن صلته ستكلفه مآلاً. وهذا السلوك يتناقض تماماً مع تعاليم الإسلام التي جعلت صلة الرحم من أعظم القربات، وقطعها من أكبر الكبائر.

## د. الإسراف والتبذير في إنفاق المال في المعاصي

قد يكون "عبد المال" من النوع الذي يجمع المال من الحلال، لكنه يصرفه في الحرام. وهذا النوع لا يقل خطراً عن سابقه، لأنه يجعل نعمة المال سبباً في غضب الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27]. فالمبذر هو الذي يصرف المال في غير طاعة الله، فيشتري به الخمر، أو ينفقه في أماكن الفواحش، أو يتباهى به في ما لا يرضي الله.

## هـ. التعلق بالملابس والأثاث الفاخر والمظهر الخارجي

الحديث النبوي لم يقتصر على "عبد الدينار وعبد الدرهم"، بل شمل أيضاً "عبد القطيفة وعبد الخميصة". والقطيفة والخميصة هما الثياب الفاخرة والأثاث الثمين. كما قال القرطبي -رحمه الله-: "من الناس من ترتبط همته وترتفع بثوب يلبسه أو بمركب يركبه". فمن الناس من يتعلق قلبه بالملابس الفاخرة والأثاث الثمين، فتصبح هذه الأشياء هي محور حياته وشغله الشاغل. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تابع: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"، وهذا باب واسع في نية العبد.

## و. الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين

تصل الجراءة بعبد المال إلى حد الظلم والغصب، فيأخذ مال غيره بغير حق. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: "تعس عبد الدينار... وإذا شيك فلا انتقش"، دعاء عليه، فإن لم ينقش الشوكة ولم يخرجها فإن الشوكة تؤدي إلى التلف، والعياذ بالله. وهذا تمثيل لشدة طمعه وحرصه. قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير هذا الدعاء: تعس بأن يخر على وجهه وانتكس بأن يسقط على رأسه وينشغل بسقطته حتى يسقط أخرى، والمراد لعله -والله أعلم- أنه يظل يتعثر لأجل المال حتى يخسر الدنيا والآخرة.

## ثالثاً: المواصفات الشرعية – الجانب الحكمي

بعد أن تعرفنا على المواصفات النفسية والسلوكية لشخصية "عبد المال"، ننتقل إلى الجانب الشرعي الذي يحدد أحكام هذه الصفات ويصنفها بين الكبائر والصغائر وبين الذنوب والآفات.

## أ. عبودية المال من كبائر الذنوب

اتفق العلماء على أن "عبادة المال" (بالمعنى المجازي) من كبائر الذنوب، وليست من الصغائر التي تُغفر بمجرد اجتناب الكبائر. والدليل على ذلك عدة أمور:

1. الوعيد الشديد في الحديث: فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على "عبد الدينار وعبد الدرهم" بقوله "تَعَسَ" أي هلك وخاب، وهذا الوعيد لا يكون إلا على كبيرة. قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا.
2. إطلاق وصف "العبد": إطلاق وصف العبد على من يتعلق بالمال تعلقاً زائداً يدل على أن هذه الصفة تُنقص من تحقيق العبودية لله، وتنقص من كمال الإيمان.
3. الملازمة للكبائر الأخرى: إن "عبد المال" عادةً ما يرتكب كبائر أخرى مثل قطع الرحم، ومنع الزكاة، وأكل الحرام، والظلم، والغصب، وهذه كلها من كبائر الذنوب.

## ب. أحكام شرعية متعلقة بـ "عبد المال"

فيما يلي بعض الأحكام الشرعية التي تخص "عبد المال" في جوانب مختلفة من حياته:

الجانب الشرعي	الحكم	الدليل
كسب المال من الحرام (ربا، رشوة، غش، سرقة)	حرام شرعاً، ومن كبائر الذنوب	لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188]
منع الزكاة الواجبة	حرام شرعاً، وصاحبه يستحق العقاب في الدنيا والآخرة	قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أي مال أدبت زكاته فليس بكنز."
أخذ المال بالظلم والغصب	حرام شرعاً، وهو من أكل أموال الناس بالباطل	لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10]
الإنفاق في المعاصي والحرام	حرام شرعاً، وهو من التبذير الذي ذمه الله	قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27].
قطع الأرحام والعلاقات من أجل المال	حرام شرعاً، وهو من كبائر الذنوب	لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة قاطع رحم" متفق عليه.
التعلق الشديد بالملابس والأثاث الفاخر	حرام شرعاً - كان بالقدر المباح وليس فيه إسراف ولا مخيلة فهو جائز ويدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام: "كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة."	لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الباب: تعس عبد الخميصة وعبد الخميعة

## ت. دفع شبهة – هل عبد المال كافر؟

قد يظن بعض الناس أن وصف "عبد المال" يعني أن صاحبه قد أشرك بالله شركاً أكبر وخرج من الملة. وهذا غير صحيح كما بينا في الفصل الأول. عبد المال -بالمعنى المجازي الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم- هو مسلم عاصٍ، عقيدته سليمة ولكن عمله وسلوكه يحتاج إلى تصحيح. فليس كل من أطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوصف يُحكم عليه بالكفر. وإنما هو على درجة عظيمة من النقص في إيمانه، {ولكنه لا يكفر بمجرد ذلك}.

## الخلاصة: الصورة الكاملة لـ"عبد المال"

بعد استعراض المواصفات النفسية والسلوكية والشرعية، يمكننا أن نرسم صورة كاملة لـ"عبد المال" كما يلي:  
هو ذلك الإنسان الذي:

- تعلق قلبه بالمال تعلقاً أسره واستعبده.
- أصبح رضاه وسخطه مرتبطين بالعطاء المادي.
- لا يشبع من جمع المال أبداً، وكلما ازداد ازداد طمغماً.
- لا يبالي بحلال ولا حرام في سبيل جمع المال.
- يمنع حقوق الله الواجبة في المال من زكاة ونفقات.
- يقطع الأرحام ويظلم الناس من أجل المال.
- يصرف المال أحياناً في المعاصي والحرام.
- يتعلق بالملابس الفاخرة والأثاث الثمين.
- يعيش في خوف دائم وقلق مستمر على ماله.

هذه الشخصية تحمل في طياتها عوامل هلاكها، كما سنرى في الأبواب القادمة إن شاء الله.

وقفة تأمل: قبل أن تنتقل إلى الفصل التالي، توقف قليلاً واسأل نفسك: هل تجد في نفسك شيئاً من هذه المواصفات؟ فإن وجدت، فاعلم أنك - مع الأسف - من عبيد المال، وأنت بحاجة ماسة إلى التغيير والتصحيح، قبل فوات الأوان.

والله الموفق.

## الفصل الثالث

## الفرق بين "عبد المال" و"مالك المال" – تطبيقات عملية

## تمهيد: صورتان، حقيقة واحدة

بعد أن تعرفنا في الفصلين السابقين على "عبد المال" بمواصفاته النفسية والسلوكية والشرعية، ننتقل الآن إلى الحديث عن النقيض: "مالك المال". فكما أن هناك من يستعبده المال، هناك من يملك المال ويسخره له.

القضية ليست في كثرة المال أو قلته، بل في العلاقة بين القلب والمال. فأموال بعض الناس تكون في خزائهم وأيديهم، بينما قلوبهم معلقة بالله وحده. وأموال آخرين -ولو كانت قليلة- تكون قد استقرت في قلوبهم، فشغلته عن ذكر الله وعن حقوقه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ" (رواه مسلم). والمؤمن القوي ليس بالضرورة القوي في بدنه، بل هو القوي في إيمانه، القوي في قدرته على تسخير الدنيا لطاعة الله دون أن تستعبده هي.

وفي هذا الفصل، سنبين الفرق الجوهرى بين "عبد المال" و"مالك المال"، ونضرب الأمثلة العملية من واقع السيرة والصحابة والعلماء، ثم نقدم جداول مقارنة لتوضيح الفروق في كل جانب من جوانب الحياة.

## أولاً: الفرق الجوهرى – المال في اليد أم المال في القلب؟

إن الفرق الأساسي بين "عبد المال" و"مالك المال" هو مكان المال من القلب: عند أي منهما يستقر المال؟ في اليد أم في القلب؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في هذا المعنى الجامع: "فَمَتَى كَانَ أَمَالُ فِي يَدِكَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ لَمْ يَضْرَكَ وَلَوْ كَثُرَ، وَمَتَى كَانَ فِي قَلْبِكَ ضَرَكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِكَ مِنْهُ شَيْءٌ." "

هذه العبارة الوجيزة تلخص فلسفة المال في الإسلام كاملة: المال لا يضر صاحبه ما دام في يده فقط، بل إن الضرر كل الضرر أن يستقر في القلب، فيشغل الإنسان عن ربه ويبعده عن طاعته.

فالمسألة إذاً ليست في كثرة المال، فإن كثيراً من الأغنياء كانوا من "مالكي المال"، وكان المال في أيديهم لا في قلوبهم. كما أن كثيراً من الفقراء كانوا من "عبيد المال"، فالمال وإن لم يكن في أيديهم، إلا أنه استقر في قلوبهم وتمنوه وأحبوه حباً شديداً.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح هذا المعنى: "المال يكون عند الإنسان على قسمين: أحدهما: الشيء الذي لا بد منه كالطعام والشراب واللباس والمسكن... والثاني: ما يتخذ للجمال والزينة والتفاخر، وهذا لا حاجة إليه، بل هو من فضول الدنيا، وقد يكون مضرًا لصاحبه." فمالك المال هو الذي يقتصر في ماله على الضروري والحاجي، ولا يصرفه فيما لا يعنيه.

## ثانياً: مقارنة تفصيلية بين "عبد المال" و"مالك المال"

لفهم الفرق بين الصنفين بشكل واضح، نقدم هذه المقارنة التفصيلية في جدول يجمع الجوانب المختلفة من الشخصية والتعامل مع المال:

مجال المقارنة	عبد المال	مالك المال
مكان المال من القلب	المال في قلبه؛ قد استقر فيه واستعبد قلبه، فصار قلبه أسيراً له.	المال في يده فقط، وقلبه حر لله، غير معلق بشيء من الدنيا، فهو الذي يملك المال لا المال يملكه.
علاقته بالمال في حال الكسب (من أين يأتي المال)	لا يبالي بالحلال والحرام في كسب المال، المهم أن يحصل عليه بأي وسيلة.	يحرص على كسب الحلال الطيب، ويدع الحرام وإن كان كثيرًا، خوفًا من الله.
علاقته بالمال في حال الإنفاق (فيم ينفقه)	قد يمنع الزكاة والنفقات الواجبة، وقد يصرف المال في الحرام أحيانًا.	يؤدي زكاته ونفقاته الواجبة، ويتصدق بالنوافل، ويصرف ماله في طاعة الله وخدمة الناس.
حال الرضا والسخط	مرتبط بالعباء المادي: إن أعطي رضي وإن لم يُعط سخط.	مرتبط برضا الله ورسوله: يرضى بقضاء الله وقدره، سواء أُعطي أم مُنِع.
النظرة إلى الناس	ينظر إلى الناس على أساس أموالهم، ويحتقر الفقراء.	ينظر إلى الناس على أساس تقواهم، ويحب الفقراء الصالحين.
مصير المال بعد مماته	يترك المال لورثته، ويرحل عن الدنيا ووزره عليه إن كان من حرام أو ضيِّع فيه حقًا.	يترك المال لورثته، لكنه قدم لنفسه خيرًا بالزكاة والصدقات التي تجري بعد موته، وذهب المال وبقي الأجر.

ومما يوضح الفرق بين الصنفين، قصة الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه الذي كان من أغنياء الصحابة، فلما قدم المدينة مهاجرًا آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: "أنا أكثر الأنصار مالا، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فاختر أيهما شئت أطلقها لتتزوج بها". فقال عبدالرحمن: "بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق". فذهب إلى السوق وتاجر، وكان من أثرى أغنياء الصحابة. ومع ذلك، لما حضرته الوفاة أوصى بحديقة لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وتصدق بأربعمائة دينار في سبيل الله، وأعتق ثلاثين غلامًا. مات عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه -وهو من الأغنياء- وترك مالا عظيماً، لكنه لم يكن من "عبيد المال"، بل كان من "مالكي المال" الذين سخروا أموالهم في طاعة الله.

## ثالثاً: تطبيقات عملية - نماذج من "مالك المال"

لفهم التطبيق العملي للفرق بين "عبد المال" و"مالك المال"، نضرب أمثلة من واقع السيرة والصحابة والأئمة:

**النموذج الأول - الصديق أبو بكر رضي الله عنه:**

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أغنياء قريش، وكان ماله في يده لا في قلبه. عندما جاء الإسلام، أنفق ماله كله في سبيل الله، حتى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: "مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ" (رواه الترمذي). لقد كان المال عنده وسيلة لخدمة الدين، لا غاية في نفسه.

**النموذج الثاني - عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

كان عثمان رضي الله عنه من أغنياء الصحابة، وتاجرًا ناجحًا. لكنه كان معروفًا بإنفاقه في سبيل الله. في غزوة العسرة، جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بغيرًا وخمسين فرسًا، وألف دينار. أنفقها كلها في سبيل الله دون تردد. لقد كان "مالًا للمال" يسخره لدينه، لا "عبدًا للمال" يسخره له.

**النموذج الثالث - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:**

عُرف عن الإمام أحمد -مع فقره وعيشته المتواضعة- أنه كان زاهدًا في المال، مع كونه إمامًا كبيرًا. وكان بيته بسيطًا، ولما عرض عليه بعض الخلفاء مالًا ليكف عن الرد على مقالة خلق القرآن، رفض بشدة ورد المال وقال: "إن المال لا يشتري الدين". وقد ترك الإمام أحمد المال الدنيوي وذهب إلى الله بقلب سليم، فكان مثلاً لـ"مالك المال" حقًا.

**النموذج الرابع - أناس من عصرنا:**

في عصرنا، نجد نماذج حية لـ"مالك المال". هناك من يملك الملايين ولكنه ينام هانئًا، لا يشغله ماله عن صلواته ولا عن أهله ولا عن حقوق الناس. تجده يتصدق سرًا، ويقرض الناس بلا ربا، ويقف مع المحتاجين في الشدائد. وهذا الشخص "مالك المال" وإن كان قد لا يعرفه الناس ولا يكتوبون عنه في الصحف. وفي المقابل، هناك من يملك مبلغًا يسيرًا ولكن قلبه كله معلق به، يخاف عليه من الضياع، ولا يستطيع أن يتصدق بدرهم واحد. هذا الشخص "عبد المال" وإن كان لا يملك إلا القليل.

**الخلاصة: كيف تكون من "مالكي المال"؟**

بعد أن تبين الفرق بين "عبد المال" و"مالك المال"، نخلص إلى أن القضية ليست في مقدار المال، بل في علاقة القلب به. ومن أراد أن يكون من "مالكي المال" لا من "عبيده"، فليعمل على:

1. تطهير قلبه من حب المال الزائد: بأن يعلم أن المال وسيلة لا غاية، وأن الغاية هي طاعة الله والفوز برضاه. وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: 15]، فليذكر أن المال اختبار وابتلاء، فمن يستعمله في طاعة الله ربح، ومن يستعمله في معصية الله خسر.
2. إخراج حق الله في المال: بأداء الزكاة المفروضة، والتصدق بالنوافل، والإنفاق على الأقارب والمحتاجين، فإن ذلك يطهر المال ويؤذي النفس. وَالْمَالُ الَّذِي تُوَدَّى زَكَاتُهُ لَيْسَ بِكَثْرٍ.

3. جعل المال في اليد لا في القلب: فليكن المال كالمرحاض في الدار، هو في يدك تستعمله عند الحاجة، لكن لا يكون هو مقصودك ولا غايتك. وهذا هو بيت القصيد؛ أن يكون المال في يدك وليس في قلبك، وهو ما عبر عنه ابن القيم في كلمته السابقة.

4. استشعار المسؤولية أمام الله: بأن المال أمانة عند الإنسان، وهو مسؤول عنه يوم القيامة، وسيُسأل: من أين اكتسبته وفيم أنفقته؟ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ" رواه الترمذي.

وقفة تأمل: أين أنت من هذين الصنفين؟ هل أنت ممن جعل المال في يده فلم يضره، أم أنت ممن جعل المال في قلبه فضره ولو لم يكن في يدك منه شيء؟ تذكر دائماً أن المال الصالح في يد الرجل الصالح خير من الفقر المدقع، ولكن المال الفاسد في يد الرجل الفاسد شر من الموت. والله المستعان.

### خاتمة الباب الثاني

بهذا نكون قد استكملنا الباب الثاني من هذا الكتاب، حيث تعرفنا في فصوله الثلاث على شخصية "عبد المال" عن قرب: بدأنا بتعريفه وبيان المعنى المقصود من عبوديته للمال بين الحقيقة والمجاز، ثم انتقلنا إلى تفصيل مواصفاته النفسية والسلوكية والشرعية لنقف على حقيقة هذه الشخصية ومدى خطورتها على دين صاحبها ومجتمعه، وختمنا بمقارنة بين "عبد المال" و"مالك المال"، مبينين الفرق الجوهرية بينهما وهو أن المال قد يستقر في اليد أو يستقر في القلب، فأيهما كان في يدك وليس في قلبك فهو خير لك، وإن كان في قلبك فهو شر عليك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

وهذا الباب هو الأساس الذي سننطلق منه إلى الأبواب التالية، حيث سنتبع "عبد المال" في رحلته مع المال من خلال النصوص القرآنية والسنة النبوية، ثم نرى مصيره المحتوم في الدنيا والآخرة، ونبحث في ظاهرة انتشار هذا النموذج في عصرنا، ونقترح الحلول للتعامل مع هذه الظاهرة على المستويين الفردي والمجتمعي. فمن أراد أن ينجو من عبودية المال ويسلم من فتنته، فليتذكر دائماً قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: 15].

والله موفق والهادي إلى سواء السبيل.

## الفصل الرابع

### نماذج معاصرة لـ "عبد المال" – رؤية واقعية مع تغيير الأسماء

#### تمهيد: من النص إلى الواقع

بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة على البنية النظرية لشخصية "عبد المال" – تعريفه ومواصفاته والفرق بينه وبين "مالك المال" – يحين الآن أن ننتقل من عالم النصوص إلى عالم الواقع، فنرى كيف تتجسد هذه الشخصية في حياتنا المعاصرة. فليس "عبد المال" مجرد مفهوم نظري يُدرّس في الكتب، بل هو نموذج بشري نلتقيه في الأسواق، وفي مجالس العمل، وفي البيوت، وفي الشوارع، بل قد نكون نحن هو دون أن نشعر.

وهذا الفصل يهدف إلى تحقيق ثلاثة أمور:

1. التطبيق العملي: ربط المفاهيم النظرية التي تناولناها سابقًا بواقعنا المعيش، ليتأكد القارئ أن هذه الظاهرة ليست من الماضي فقط، بل هي حاضرة بقوة في عصرنا.
2. التعرف على المظاهر المعاصرة: إبراز كيف تختلف صور "عبادة المال" في عصرنا عن العصور السابقة، مع بقاء الجوهر واحدًا.
3. التحذير والمراجعة: وضع القارئ أمام نماذج يمكنه أن يقارن نفسه بها، فيرى هل يقع في شيء من هذه الصفات، فيبادر إلى المراجعة والتوبة قبل فوات الأوان.

وسأعرض في هذا الفصل ثلاثة نماذج معاصرة لـ "عبد المال"، مستخدمًا أساليب أدبية و نفسية لتقديمها، مع تغيير الأسماء والتفاصيل الشخصية حفاظًا على الخصوصية، ولكن مع بقاء الجوهر السلوكي والنفسي كما هو في الواقع. كل نموذج يمثل جانبًا مختلفًا من عبودية المال، ليتسع المجال للقارئ أن يرى الصورة الكاملة لهذه الآفة.

تنبيه مهم: جميع الأسماء والتفاصيل الشخصية في هذه النماذج قد تم تغييرها بالكامل. أي تشابه مع أشخاص حقيقيين – أحياء أو أموات – هو محض صدفة. الهدف هو تقديم نماذج درامية تعليمية، وليس التشهير بأحد أو التعرض له بسوء.

#### النموذج الأول: "فهد" – تاجر العقارات الذي لا ينام

لمحة سريعة: فهد، في منتصف الأربعينيات من عمره، تاجر عقارات ناجح، يملك ثروة تقدر بعشرات الملايين. متزوج وله أربعة أبناء. يُعرف في الوسط التجاري بنشاطه الدؤوب وصفقاته الذكية.

بداية القصة:

كان فهد في بداية حياته شابًا طموحًا، يريد أن يبني مستقبله بيديه. بدأ بتجارة صغيرة في مواد البناء، ثم انتقل إلى سوق العقارات، فنجح نجاحًا كبيرًا. اشترى الأراضي، بنى العمارات، أجر المحلات، وتضاعفت ثروته سنة بعد سنة.

لكن النجاح المالي كان له ثمن باهظ. فهد اليوم لا يكاد ينام: يستيقظ في الرابعة صباحًا ليذهب إلى مكتبه، ويعود إلى منزله بعد منتصف الليل. زوجته تشتكي أنه لم يعد يعرف أولاده، ولا يعرف شيئًا عن أحوالهم الدراسية. أولاده لا يرون أباهم إلا في المناسبات النادرة، وحين يرونه يكون عابس الوجه، مشغول البال، لا يرد على أسئلتهم إلا بألفاظ مقتضبة، ثم ينصرف إلى اتصالاته الهاتفية.

تحليل مواصفاته ك"عبد المال":

1. المال أكبر همه (العلامة الأولى للتحويل): حين تسأل فهد عن شيء لا يتعلق بالمال، لا يكاد يسمعك. ذهنه مشغول دائمًا بالصفقات القادمة، بالعقارات التي يفكر في شرائها، بالمستأجرين الذين تأخرت إيجاراتهم. حتى في صلاته - إن صلى - يكون قلبه معلقًا بأمواله. جلس مرة مع صديق له في المسجد بعد صلاة العشاء، فإذا به يخرج هاتفه وينشغل بالرسائل والتطبيقات العقارية، وكأنه لم يصل.

2. الحرص الذي لا يشبع: فهد يملك عشرات الملايين، ومع ذلك هو حريص على كل قرش. يتفاوض مع البائعين بشدة حتى في المبالغ الزهيدة. يضيق صدره إذا أنفقت زوجته مبلغًا زائدًا على حاجيات البيت، وإن كانت في حدود المعقول. يعيش حياة بذخ ظاهري (سيارات فارهة، ملابس ماركات) ولكن قلبه لا يطمئن أبدًا. كلما حصل على مليون، تمنى المليون الذي يليه، وكأن ثروته لا تكفيه.

3. التضحية بالعلاقات الأسرية والاجتماعية: فهد يكاد لا يعرف أبناءه. ابنه الأكبر يدرس في الجامعة، وذات مرة سأله الأب عن تخصصه، فوجد أن الابن قد غير تخصصه منذ عامين دون أن يدري. زوجته تعيش وحيدة في قصر فخم، تشتكي إلى صديقاتها: "زوجي معي في البيت ولكنه ليس معي. هو في عقوله وفي أرقامه". قطع فهد علاقاته بأقاربه؛ لا يزور أمه إلا في المناسبات، وحين يزورها لا يطيل الجلوس، فهو دائم العجلة.

4. الغفلة عن ذكر الله: فهد لا يذكر الله إلا قليلاً. لا يصلي الفجر إلا إذا استيقظ، وغالبًا لا يستيقظ إلا بعد طلوع الشمس. لا يقرأ القرآن إلا رمضان، ولا يتصدق إلا في المناسبات الاجتماعية. وقته كله للدنيا وللمال. ولو سئل عن سبب ذلك لقال: "أنا مشغول، عندي أقساط، عندي التزامات". في حين أن كثيرًا من فقرات حياته اليومية يمكن أن تتسع للعبادة لو أراد.

مقطع من واقع الحوار مع فهد (تمثيل درامي):

صديق: "فهد، استرخ قليلاً، خذ إجازة مع أسرتك."

فهد: "الإجازة تضبيع وقت. السوق ما ينتظر. لو تركت الفرصة تمر، يسبقني غيري."

صديق: "ولكن أسرتك تحتاجك."

فهد: "أسرتي تحتاج المال. أنا أوفر لهم حياة كريمة. هذا هو واجبي."

صديق: "المال لا يعوض غياب الأب."

فهد: (بعد صمت قصير) "لما أتقاعد، سأعوضهم. الآن وقت الجمع."

مصير فهد المتوقع (وفق سنن الله):

فهد - للأسف - يسير في طريق قارون، وإن اختلفت الصورة. سيجمع المال ويكده، ولن ينتفع به في الآخرة إلا ما تصدق به وقدمه لربه. سيموت فهد وفكره مشغول بصفقة لم يكملها، وسيبكي عليه أبناؤه - ليس حزنًا عليه - بل حزنًا على الأب الذي لم يعرفوه. وسيبقى ماله لغيره، ويبقى وزره عليه إن كان اكتسبه من حرام أو ضيع فيه حقًا.

تذكير: هذا النموذج ليس بالضرورة أن يكون هو "عبد المال" فقط في صورته السلبية، بل قد يكون هناك من يجمع المال الكثير ويؤدي حقوق الله فيه ويصله ولا يقطع رحمه، فهذا مالك للمال وليس عبدًا له. ولكن فهد تميز بغياب هذه المواصفات الإيجابية.

### النموذج الثاني: "رياض" - الموظف الذي باع دينه من أجل منصبه

لمحة سريعة: رياض، في الأربعين من عمره، موظف في شركة كبرى، وصل إلى منصب مدير مالي بعد صراع طويل. متزوج وله ثلاثة أبناء. لا يملك ثروة طائلة مثل فهد، ولكن عبوديته للمال تتجلى في شكل آخر.

بداية القصة:

كان رياض في بداية حياته موظفًا بسيطًا، يتقاضى راتبًا محدودًا. كان ملتزمًا بدينه، يصلي في المسجد، ويتجنب الحرام. لكن طموحه في الترقية والوصول إلى المناصب العليا جعله يتنازل تدريجيًا عن مبادئه.

طلب منه في إحدى المرات أن يوقع على تقرير مالي فيه بعض التلاعب - أرقام غير حقيقية بهدف تضخيم أرباح الشركة. تردد في البداية، ولكن مديره قال له: "هذا هو عملك. إذا لم توقعه، فسنجد من يوقعه غيرك. والترقية القادمة ستكون لمن يخدم الشركة". وقع رياض على التقرير. وخلال سنوات، تكررت المواقف: رشاوى صغيرة تحت مسمى "هدايا"، عقود مشبوهة تحت مسمى "مرونة في العمل"، غش في التقارير تحت مسمى "تحسين الصورة".

تحليل مواصفاته ك"عبد المال":

1. عدم التمييز بين الحلال والحرام: بدأ رياض بالمبادئ، ولكنه انتهى بأن صار لا يبالي بالحلال والحرام، المهم أن يحافظ على منصبه وراتبه. الأموال التي دخلت جيبه من الرشاوى والعمولات غير المشروعة لم تعد تثقل ضميره. بل أصبح يبرر لنفسه: "كل الناس تفعل ذلك"، "الشركات الكبرى كلها تغش"، "لولا أنا لفعلها غيري". وهذه تبريرات من الشيطان.

2. الانقياد لأمر المال على حساب الدين : كلما طُلب منه أمر في العمل، وافق عليه بسرعة، حتى لو كان فيه مخالفة شرعية. المال والمنصب أصبحا هما المعيار. رضى المدير – الذي يملك سلطة الراتب والترقية – صار أهم من رضا الله. وهذا هو عين "عبودية المال".

3. التضحية بالمبادئ والأخلاق : قصة رياض مليئة بالمواقف التي ضحى فيها بمبادئه: وقع تقارير مزورة، شهد زوراً في إحدى القضايا لصالح الشركة (بأن كذب في تحقيق داخلي)، غش في صفقة كبرى، خان الأمانة في منصبه. كل ذلك من أجل المال. وقد كان المال في قلبه وليس في يده، لأنه كان مستعداً لأن يفعل ما في جيبه.

4. ارتباط الرضا والسخط بالمال : رياض راضٍ عن وظيفته لأنه يعطيه راتباً عالياً. لو أن الشركة خفضت راتبه لتركها فوراً. رضاه عن مديره مرتبط بالعطاء المادي: إن كافأه مالياً أحبه، وإن أهمله أو عاتبه كرهه. وقد ترك صلاة الجمعة في بعض الأحيان بحجة "اجتماع مهم" أو "موعد تسليم تقرير"، وهذا كله من شواهد تعلق قلبه بالمال والمنصب.

### مقطع من واقع الحوار مع رياض (تمثيل درامي):

صديق مقرب: "رياض، أنت كنت أفضل من هذا. أتذكر كيف كنت ترفض قبضة الحرام؟"

رياض: (يتنهد) "الأمر تغيرت. عندي بيت وأولاد، أحتاج إلى المال. الدنيا صعبة."

صديق: "ولكن الله قال: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2-3]."

رياض: (بصوت هادئ) "هذا الكلام للزمن القديم. الآن، اللي ما يخالف يضيع. أنا شايف الوضع بعيني."

صديق: "وما رأيك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ"؟"

رياض: (بعد صمت طويل) "ربنا غفور رحيم... المهم أني ما ظلمت أحداً."

مصير رياض المتوقع (وفق سنن الله):

رياض سيموت وفي جيبه أموال حرام، أكلها بالباطل، إما برشوة أو غش أو كذب. إن لم يتب قبل موته، فماله الذي جمعه سيكون حسرة عليه يوم القيامة. كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل يأتي يوم القيامة بأعمال كالجبال، ويأتي المال الحرام فيذهب بحسناته، ويبقى سيئات غيره تأخذ من حسناته، ثم يُطرح في النار. ورياض – لو استمر على حاله – سيكون من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: 188 .

تذكير: النجاة من هذا المصير تكون بالتوبة النصوح، ورد المظالم إلى أهلها، وتصحيح المسار قبل فوات الأوان.

## النموذج الثالث: "سميرة" – ربة البيت التي عبدتها المقارنات

لمحة سريعة: سميرة، في منتصف الثلاثينيات من عمرها، ربة بيت، متزوجة من موظف براتب متوسط، لديها طفلان. لا تملك مالاً وفيراً، ولكنها – من منظور "عبودية المال" – تعاني من أشد أنواع العبودية: تعلق قلبها بما لا تملك.

بداية القصة:

سميرة تعيش حياة تبدو هادئة من الخارج. زوجها موظف حكومي، راتبه يكفي حاجات البيت الأساسية بالكاد. لكن سميرة تقضي ساعات طويلة على مواقع التواصل الاجتماعي. ترى صور صديقاتها وهن في مصايف فاخرة، يلبسن ماركات عالمية، يسكنن في فيلات واسعة. تقارن حياتها بحياتهم، فتزداد حسرتها وحرزها.

بدأت الأمور تتطور: سميرة صارت تطلب من زوجها أشياء لا يقدر عليها. تطلب سفرًا إلى الخارج، وهدايا غالية، ومدرسة خاصة للأولاد. زوجها يعتذر: "لا أستطيع، راتي لا يكفي". فتحتد سميرة وتقول: "فلان زوج فلانة أخذها إلى دبي، وأنت لا تستطيع حتى أن تأخذني إلى مدينة ملاهي". يزداد الخلاف بينهما، وتشتد حدة التوتر في البيت. سميرة تمرض نفسيًا، تصاب بالاكتئاب، وتظل طوال اليوم حزينة لأنها ليست غنية مثل صديقاتها.

تحليل مواصفاتها كـ"عبد المال":

1. المال في القلب وإن لم يكن في اليد: سميرة لا تملك ثروة كبيرة، ولكن المال استقر في قلبها. هي متعلقة به تعلقًا شديدًا، تتمناه، وتشتاق إليه، وتحزن لفقده. وقد قال ابن القيم رحمه الله: "متى كان المال في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء". وهذا ينطبق على سميرة تمامًا: المال في قلبها – على قلة ما في يدها – يضرها ويؤذيها.

2. ارتباط الرضا والسخط بالمال: رضا سميرة عن حياتها مرتبط بالمال: إذا وجدت مالاً كانت سعيدة، وإذا افتقدته كانت حزينة. رضاها عن زوجها مرتبط بقدرته المادية: زوجها عندما يشتري لها شيئًا تحبه ترضى عنه، وعندما يعجز تشتكي وتتحسر وتقارن. رضاها عن الله أصبح موضع شك: ربما تسأل: لماذا لم يعطني الله مثل ما أعطى فلانة؟ وهذا سؤال خطر.

3. طغيان المقارنات وإيثار الدنيا: سميرة في دوامة المقارنات المستمرة. كلما رأت شخصًا أغنى منها شعرت بالنقص، وكأن قيمتها تقاس بما تملك. لقد أصبحت الدنيا أكبر همها، والمال هو ميزان السعادة عندها. وهذا هو إيثار الدنيا على الآخرة بعينه.

مقطع من واقع الحوار مع سميرة (تمثيل درامي):

صديقة: "سميرة، أنت جميلة، وزوجك يحبك، وأولادك بخير. أليس هذا كافيًا؟"

سميرة: (بحسرة) "ولكن فلانة عندها فيلا، وسيارة فارهة، وتساfer كل شهر. أنا أعيش في شقة مستأجرة، ولا أستطيع شراء ثياب جديدة كل أسبوع."

صديقة: "فلانة تغرد خارج السرب. زوجها غني، لكن زواجها تعيس. أنتِ لا تعرفين ما يدور في بيتها."

سميرة: "المال يجلب السعادة. لو كان عندي المال، لكنت سعيدة."

صديقة: "المال وحده لا يجلب السعادة. المال نعمة إذا شكرت، ونقمة إذا طغت."

سميرة: (لا ترد، ولكن دموعها تنهمر)

مصير سميرة المتوقع (وفق سنن الله):

إن استمرت سميرة على هذه الحال، ستعيش حياة تعيسة لا ترضى بما قسمه الله لها، ستمرض نفسياً وربما جسدياً، ستنهار علاقتها بزوجها، وستنشأ أطفالها في جو من التوتر الدائم. وفي الآخرة، سُسأل عن نعمة المال الذي تمنته وحسدت عليه أصحابه، وهي لم تشكره ولم تستعمله فيما يرضي الله. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا تَحَاسَدُوا" (رواه البخاري ومسلم)، وقال: "مَنْ حَسَدَ نِعْمَةً غَيْرِهِ فَقَدْ حَاصَمَ اللَّهَ فِي قِسْمَتِهِ."

تذكير: العلاج لسميرة يكون بالقناعة، والرضا بقضاء الله، والنظر إلى من هو أقل منها مالاً، والتفكير في فضل الله عليها، والتوبة من الحسد والطمع. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 32].

جدول مقارنة: المظاهر المعاصرة لعبودية المال

لتكتمل الصورة، نقدم هذا الجدول الذي يوضح كيف تتعدد صور "عبد المال" في عصرنا:

نوع "عبد المال"	تجليات عبوديته للمال	المواصفات المشتركة
المدمن جمعاً (مثل فهد)	- العمل لساعات طويلة دون توقف - الإهمال الأسري بسبب الانشغال بالمال - عدم الاكتفاء أبداً مهما كثر المال	- المال أكبر همّه - لا يشبع من الجمع - يقطع العلاقات - قد يغفل عن الطاعات
المدمن منصباً (مثل رياض)	- التنازل عن المبادئ للحفاظ على الوظيفة - تبرير الحرام بحجة "الظروف" - الخوف من فقدان الراتب أكثر من الخوف من الله	- عدم التمييز بين الحلال والحرام - انقياد لأمر المال - رضاه مرتبط بالراتب
العاشق المحروم (مثل سميرة)	- الحسد والغيرة على أموال الآخرين - عدم الرضا بقضاء الله - الشعور الدائم بالنقص والفقر	- المال في القلب وإن لم يكن في اليد - سخطه مرتبط بالفقر - إيثار الدنيا على الآخرة
المبذر المسرف	- صرف المال في الكماليات والتبذير - التباهي والتفاخر بالأموال - الإنفاق في المعاصي والمحرمات	- إضاعة النعمة - شغل المال عن طاعة الله - الدخول في قوله تعالى: إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ
المانع الكثر	- منع الزكاة والصدقات - ادخار المال دون إنفاق في سبيل الله - البخل الشديد حتى على النفس	- أكل المال بالباطل - وعيد الآخرة: يوم تُحْمَى عليها في نار جهنم

## خاتمة الفصل: من النماذج إلى التغيير

بعد استعراض هذه النماذج المعاصرة، يتبين أن "عبد المال" ليس شخصًا واحدًا بصورة واحدة، بل هو أنماط متعددة تتفق في الجوهر وتختلف في المظاهر. وقد يكون المرء أكثر من نموذج في آن واحد، أو ينتقل بينها حسب المرحلة.

لكن الرسالة الأهم في هذا الفصل هي: أنه لا يوجد نموذج واحد من هذه النماذج إلا وهو قابل للتغيير. فهد يستطيع أن يقلص ساعات عمله ويكرس وقتًا لأسرته، ويذكر نفسه أن المال في يده وليس في قلبه. رياض يستطيع أن يتوب إلى الله، ويترك العمل المشبوه، ويبحث عن رزق حلال، ويثق في أن الله سيعوضه خيرًا. سميرة تستطيع أن تتعلم القناعة، وتغلق حسابات التواصل الاجتماعي التي تؤذيها، وتشكر الله على نعمه العظيمة التي لا تعد ولا تحصى.

لذلك، أيها القارئ، إن وجدت نفسك في أحد هذه النماذج، فلا تيأس من رحمة الله. فباب التوبة مفتوح، والله يغفر الذنوب جميعًا. الخطوة الأولى هي الاعتراف بأنك تحتاج إلى تغيير. ثم العمل على تصحيح المسار بالعلم والعمل والصدق مع الله.

تذكر دائمًا قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

## خاتمة الباب الثاني

بهذا نكون قد استكملنا الباب الثاني من هذا الكتاب. تعرفنا في فصوله الأربعة على شخصية "عبد المال" من كل جوانبها:

- في الفصل الأول، عرفنا "عبد المال" لغة وشرعًا، وبيننا الفرق بين الحقيقة والمجاز في هذا الوصف.
- في الفصل الثاني، استعرضنا مواصفاته النفسية والسلوكية والشرعية بالتفصيل.
- في الفصل الثالث، فرقنا بين "عبد المال" و"مالك المال" من خلال جدول مقارنة وأمثلة عملية من السيرة والصحابة.
- في الفصل الرابع، انتقلنا إلى واقعنا المعاصر، فعرضنا نماذج حية لهذه الشخصية مع تغيير الأسماء، لنرى كيف تبدو في زماننا.

والآن، وقد تعرفنا على "عبد المال" معرفة شاملة، يمكننا أن نتقل إلى الأبواب التالية لنتبع مصيره في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ثم في التاريخ وفي الآخرة، ثم نبحت في ظاهرة انتشاره في عصرنا، وكيفية التعامل معه على المستويات المختلفة.

فمن عرف الداء، استطاع أن يطلب الدواء.

والله موفق والهادي إلى سواء السبيل.

# الباب الثالث

## "عبدالمال" في القرآن الكريم

### تمهيد الباب

بعد أن تعرفنا في البابين السابقين على مفهوم "عبد المال" ومواصفاته النفسية والسلوكية والشرعية، ورأينا الفرق بينه وبين "مالك المال"، واطلعنا على نماذج معاصرة لهذه الشخصية المؤلمة، ننتقل الآن إلى المصدر الأول للتشريع والتوجيه في الإسلام: القرآن الكريم.

إن القرآن لم يغفل عن هذه الظاهرة الخطيرة، بل أفرد لها سورة كاملة – سورة الهمزة – تتناول نموذج "عبد المال" بكل وضوح، وترسم ملامحه، وتكشف عن مصيره المحتوم. وليس هذا فحسب، بل تكرر الحديث عن أخلاقيات المال وفتنته في مواضع متعددة من القرآن، منها قصة قارون التي تمثل أبرز نموذج تاريخي لتحول الإنسان من عابد لله إلى عبد للمال، ومنها سورة التكاثر التي تحذر من الانهماك في المفاخرة بالأموال والأولاد، ومنها آيات كثيرة تتحدث عن جمع المال وكثره ومنع حقوق الله فيه.

وفي هذا الباب، سنتبع "عبد المال" في القرآن الكريم من خلال أربعة فصول:

- **الفصل الأول:** تفسير سورة الهمزة – دراسة تحليلية متعمقة.
- **الفصل الثاني:** قارون – من عابد إلى "عبد المال".
- **الفصل الثالث:** إلهاء المال في سورة التكاثر.
- **الفصل الرابع:** آيات أخرى عن جمع المال وكثره.

وسنعمد في هذا الباب على المنهجية نفسها التي اتبعناها في الأبواب السابقة: التدرج من العام إلى الخاص، والاعتماد على النصوص الشرعية بتخريجها وتوثيقها، والرجوع إلى كبار المفسرين كابن كثير والقرطبي والطبري والبلغوي وغيرهم، مع تقديم التحليل اللغوي والبلاغي والموضوعي.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يتدبرون آياته ويعملون بها، وأن يبصرنا بحقيقة الدنيا والآخرة.

## الفصل الأول

### تفسير سورة الهمزة – دراسة تحليلية متعمقة

#### تمهيد: لماذا سورة الهمزة؟

إذا أردنا أن نفهم شخصية "عبد المال" من منظور قرآني، فإن سورة الهمزة هي المحطة الأولى والأهم. فهذه السورة القصيرة – التي لا تتجاوز تسع آيات – تحمل في طياتها تصويرًا دقيقًا لهذه الشخصية، بدءًا من صفاتها الذميمة (الهمز واللمز)، مرورًا بعلاقتها المريضة مع المال (جمعه وتعديده)، وصولًا إلى غرورها واغترارها (حسبان أن مالها يخلدها)، ثم خاتمة محققة بمصيرها الأليم في نار جهنم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "سورة الهمزة مكية بإجماع". وهي من سور المفصل في الجزء الثلاثين، نزلت بعد سورة القيامة، وترتيبها في المصحف 104، عدد آياتها 9، وكلماتها 33، وحروفها 133.

وسورة الهمزة ليست مجرد تهديد لفئة معينة من المشركين في زمن النبوة، بل هي خطاب إلهي موجه لكل زمان ومكان، لكل من اتصف بهذه الصفات الذميمة، كما قال الإمام البغوي رحمه الله: "قال مجاهد: هي عامة في حق كل من هذه صفته".

ففي هذه السورة نجد صورة القرآن لـ"عبد المال" كاملة متكاملة، سنتبعا آية آية، بالاعتماد على كبار المفسرين، لنخرج بفهم شامل لهذه الشخصية ولمصيرها.

#### أولاً: أسباب النزول – السياق التاريخي

قبل الدخول في تفسير الآيات، لا بد من الإشارة إلى أسباب نزول السورة، وهو أمر مهم لفهم السياق التاريخي الذي نزلت فيه، ولكنه لا يمنع عمومية العبرة والدلالة.

ذكر المفسرون عدة أقوال فيمن نزلت فيهم سورة الهمزة:

1. قول ابن إسحاق: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وكان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ.
2. قول السدي: نزلت في الأخنس بن شريق بن وهب الثقفي، وكان يقع في الناس ويغتابهم.
3. قول مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه.
4. قول عثمان وابن عمر (كما ورد عن ابن أبي حاتم): سمعوا أن السورة نزلت في أبي بن خلف.
5. قول ابن جرير: عن رجل من أهل الرقة أنها نزلت في جميل بن عامر الجمحي.

وقد اتفق العلماء على أن تعدد أسباب النزول لا ينافي عمومية العبرة. فكما قال بعض أهل العلم: "اختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم، بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب كبرى مثل ذنوبهم." فالآيات وإن نزلت في أشخاص معينين من المشركين الذين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بهمزهم ولمزهم، فإن حكمها عام لكل من اتصف بهذه الصفات، مسلمًا كان أو كافرًا. وقد صرح بذلك الإمام مجاهد رحمه الله فقال: "هي عامة."

### ثانيًا: الآية الأولى – وصف أصحاب الصفات الذميمة

﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: 1]

#### أ. معنى "ويل"

تعددت أقوال المفسرين في معنى "ويل" في هذه الآية:

- قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قد تقدم القول في الويل في غير موضع، ومعناه الخزي والعذاب والهلكة. وقيل: واد في جهنم."
  - وقال الإمام البغوي رحمه الله: "قد تقدم القول في الويل في غير موضع، ومعناه الخزي والعذاب والهلكة، وقيل: واد في جهنم."
- فهي كلمة وعيد وتهديد شديد، تحمل معاني العذاب الأليم والهلاك المحقق.

#### ب. معنى "الهمزة" و"اللمزة"

هذان الوصفان هما محور السورة، وقد اختلف المفسرون في بيان معناهما على أقوال متعددة، ولكنها ترجع في جوهرها إلى صفة واحدة: **الطعن في الناس وإظهار عيوبهم**. وهذه الأقوال نوردها بتفصيل وفق ما أورده كبار المفسرين:

#### القول الأول – الفرق بينهما بالقول والفعل:

قال ابن كثير رحمه الله: "الهماز: بالقول، واللاماز: بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص بهم."

- وقال في موضع آخر: "الهمّاز بالقول واللامّاز بالفعل."

#### القول الثاني – الفرق بينهما بالوجه والخلف:

قال الربيع بن أنس: "الهمزة يهمزه في وجهه، واللمزة من خلفه."

- وقال ابن كثير أيضًا: "وقال الربيع بن أنس: الهمزة، يهمزه في وجهه، واللمزة من خلفه."

#### القول الثالث – الفرق بينهما باللسان والعين واليد:

وهذا القول يجمع عدة معانٍ:

- قال قتادة: "يَهْمَزُهُ وَيَلْمِزُهُ بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم."
- وقال مجاهد: "الهمزة: باليد والعين، واللمزة: باللسان."
- وقال ابن زيد: "الهامز الذي يهزم الناس بيده ويضريهم، واللمزة الذي يلزمهم بلسانه ويعيبهم."
- وقال سفيان الثوري: "يَهْمَزُ بلسانه، وَيَلْمِزُ بعينه."

#### القول الرابع – هما بمعنى واحد:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب. فعلى هذا هما بمعنى."

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "شرار عباد الله تعالى المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب."

#### القول الخامس – الفرق بينهما بالغيبة والمواجهة:

- قال مقاتل: "إن الهمزة: الذي يغتاب بالغيبة، واللمزة: الذي يغتاب في الوجه."
- وعكس ذلك قال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء: "الهمزة: الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللمزة: الذي يغتابه من خلفه إذا غاب."

#### القول السادس – الفرق بينهما بالطعن في الناس والأنساب:

قال قتادة ومجاهد: "الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الطعان في أنسابهم."

#### القول السابع – الإشارات والإيماءات:

قال ابن كيسان: "الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جلسائه، ويشير بعينه ورأسه وبجانبه."

- وقال مرة: "هما سواء، وهو القاتل الطعان للمرء إذا غاب."

#### خلاصة معنى "الهمزة" و"اللمزة":

حاصل هذه الأقوال – كما قال العلماء – يرجع إلى أصل واحد، وهو الطعن في الناس وإظهار العيب بكل صورته: باللسان، باليد، بالعين، بالإشارة، سرًا أو علنًا. وصفة "الهمزة اللمزة" هي صفة لصاحب "عبد المال"، وهو الذي يغتاب الناس ويعيبهم ويسخر منهم، ولا يكتفي بذلك بل يلزمهم ويضريهم. فجمع الله له صفتي الطعن بالقول وبالفعل، و صفتي الطعن سرًا وعلنًا.

وفي هذا إشارة إلى أن من أعمته الدنيا وحب المال، فإنه لا يكتفي بجمع المال، بل يتعدى ضرره إلى إيذاء الناس بالقول والفعل، ليصل إلى مبتغاه من المال دون مبالاة بأحد.

## ثالثاً: الآية الثانية – صفة جمع المال وتعيده

﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ الهزمة: 2

بعد أن وصف الله - عز وجل - أصحاب هذه الصفات الذميمة بأنهم "همزة لمزة"، يأتي بالفعل "الذي" ليبين صفتهم الأساسية التي تدفعهم إلى هذه الأخلاق السيئة: جمع المال وتعيده.

## أ. معنى "جمع مالاً" و"عدده"

في تفسير هذه الآية أقوال متعددة:

## 1. القول الأول – معنى "عدده": أحصى عدده وكرره.

- قال ابن كثير رحمه الله: "جَمَعَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَأَحْصَى عَدَدَهُ".
- وهذا هو القول الأقرب، أي أنه لا يكفي بجمع المال بل يستمر في إحصائه وتعداده، ويستمتع بذلك.

## 2. القول الثاني – معنى "عدده": جعله عدة لحوادث الدهر.

- قال ابن كثير أيضاً: "وقال محمد بن كعب في قوله (جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ) أي: جَعَلَهُ عِدَّةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ".

## 3. القول الثالث – معنى "عدده": يمنعه ويمسكه.

- قال القرطبي رحمه الله: "وقيل: عدده يمنعه ويمسكه".
- والخلاصة:** أن الآية تصف الإنسان الذي جعل المال أكبر همه، فانشغل به عن ذكر الله، وصار كل همه أن يجمع المال ويحصيه ويمنعه، ظاناً أنه سيبقى له. وقد وصف هذا المعنى مفسرو التفسير الميسر بقولهم: "الذي جمع مالاً وأحصاه ومنعه عن الحقوق الواجبة فيه".

## ب. صورة "عبد المال" في جمع المال

لقد وصف الإمام ابن كثير رحمه الله صورة هذا الإنسان بأبلغ عبارة: "فطوله يومه في جمع المال وليله إذا نام نام نومة الجيفة المنتنة". هذه صورة قاسية ولكنها صادقة: إنه يقضي حياته كلها في جمع المال، وعندما ينام ينام كنومة الجيفة، لا روح فيها ولا حياة. فما أقسى حياة "عبد المال!"

وهذه الصورة تذكرنا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الغني الذي لا يؤدي حق الله: أنه يقوم ليله ويومه في جمع المال، فإذا نام نام كجيفة بالية، فيكون عقابه في الدنيا قبل الآخرة.

## رابعاً: الآية الثالثة – الغرور والجهل بحقيقة الدنيا

﴿ يَخْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ الهزمة: 3

هذه الآية تكشف عن الجهل العظيم الذي يعيش فيه "عبد المال"، وتظهر لنا خطورة الظن الفاسد الذي يسكن قلبه.

أ. معنى "يحسب" و"أخلده"

معنى "يحسب":

"يحسب" تأتي بمعنى "يظن"، وهي هنا بمعنى الظن الجازم الذي استقر في قلبه حتى أصبح حقيقة عنده. فهو لا يشك لحظة واحدة في أن ماله سيفعل به كذا وكذا. قال المفسرون: "يحسب" أي يظن ويتوهم.

معنى "أخلده":

يأتي معنى الخلود في هذه الآية على احتمالين:

• أن يخلده في الدنيا: أي يظن أن ماله يطيل عمره في الدنيا، ويبقيه حيًّا أبدًا. وهذا ما حكاه القرآن عن قارون حين قال: "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي" [القصص: 78].

• أن يخلده من العذاب: أي يظن أن ماله سينقذه من عذاب الآخرة، أو يفنديه به. قال المفسرون: يظن أن ماله يخلده من العذاب ويحميه، كما قال تعالى: "وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِنِّي لَمَمْلُوكٌ" ولم يقل "أين أنا".

وقيل: أخلده بمعنى صيره خالدًا، أي يظن أن ماله يجعله خالدًا في الدنيا لا يموت، وهذا هو الظن الفاسد الذي تفضحه الحقيقة "كلا".

وتأمل قول ابن كثير:

يقول ابن كثير رحمه الله: "يحسب أن ماله أخلده" أي ظن أن جمعه المال وتعديده سيخلده في هذه الدنيا أو ينقذه من عذاب الآخرة، وهذا هو الغرور بعينه.

ب. لماذا هذا الظن؟

إن "عبد المال" يعيش في غرور مزدوج:

1. الغرور بالدنيا: ظنه أن المال يجلب له الخلود فيها، وأنه بماله يستطيع شراء كل شيء، حتى الحياة نفسها.

2. الغرور بالله: ظنه أن المال سينقذه من عذاب الله، وأنه إذا احتاج يوم القيامة سيفندي نفسه بماله.

وهذان الظنان هما أساس الطغيان الذي ذكره الله في قوله: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ \* أَن رَّآهُ اسْتَغَىٰ \* [العلق: 6-7]. فالاستغناء هو ظن الإنسان أنه غني لا يحتاج إلى أحد، وهذا الظن هو الذي يدفعه إلى الطغيان.

خامسًا: الآيات الرابعة إلى السادسة – الحطمة: نار الله الموقدة

﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ \* نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ﴾ [الهمزة: 4-6]

بعد أن وصف الله "عبد المال" بصفاته الذميمة وغروره وجهله، يأتي الرد الإلهي الحاسم بـ "كلا" التي تفيد الردع والزجر، ثم يكشف عن مصيره المحتوم.

أ. معنى "كلا" و"لينبذن في الحطمة"

"كلا": كلمة ردع وزجر، أي ليس الأمر كما ظن، ولن ينفعه ماله، ولن يخلده في الدنيا ولا في الآخرة. إنها تفيد القطع والحسم.

"لينبذن في الحطمة:"

قال ابن كثير رحمه الله: "أَي لَيُطْرَحَنَّ فِي الْحَطْمَةِ."

• "لينبذن": من النبذ أي الطرح والإلقاء بقوة واحتقار. فهو يُلقى في النار إلقاءً عنيقاً لا كرامة له ولا حرمة.

• "الحطمة": وصف من الحطم أي الكسر والتحطيم. وهي اسم من أسماء النار، سميت بذلك لأنها تحطم كل ما يلقي فيها وتكسره وتطحنه.

قال القرطبي رحمه الله في معنى "الحطمة": "هي من أسماء جهنم تحطم من يلقي فيها فتكسره وتطحنه، وهي النار التي حكاها الله في سورة أخرى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ} [الهمزة:8] ، فهي محبوسة عليهم مطبقة بأبواب لا تفتح ولا تخرج."

ب. معنى "نار الله الموقدة"

قال الله تعالى: "نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ". ولم يقل "نار جهنم" وإنما أضافها إلى نفسه سبحانه، لبيان عظمتها وشدّة إحراقها.

قال العلماء في تفسيرها:

• التفسير الميسر "إنها نار الله الموقدة التي من شدتها تنفذ من الأجسام إلى القلوب."

• قال ابن كثير "وهي نار الله الموقدة التي أوقد عليها ألف عام وألف عام وألف عام، فهي غير خامدة."

• قال الجلالين "نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ" أي المسعرة.

• قال السعدي "التي وقودها الناس والحجارة."

فهي نار عظيمة خاصة بالله، أوقدها بنفسه، وجعلها لعقاب من يستحق العقاب من عباده. وقد قال الله تعالى: "وَأُخْرِى مِنْ سَكِّلِهِ أَرْوَاجٌ" [ص: 58] ، فأشار إلى أن هذا النوع من العذاب مع كونه في النار فإنه يشمل أنواعاً أخرى متعددة.

وأما سبب إضافة النار إلى الله:

فقد قال العلماء: أضافها الله إلى نفسه لأنه يعذب بها من يستحق العذاب، فهي عقوبة عدل وليست عقوبة

ظلم. والنار من خلق الله، فأضافها إلى نفسه لزيادة الترويع والتخويف. وفي إضافتها إلى الله دلالة على أن عقاب الله أشد من عقاب غيره. والعياذ بالله.

سادسًا: الآية السابعة - تطلع النار على الأفتدة

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ﴾ الهزمة: 7

هذه الآية تصف النار بوصف مرعب: إنها لا تقف عند الجلود والأجساد، بل تصل إلى الأفتدة - وهي جمع فؤاد، القلب.

أ. معنى "تطلع على الأفتدة"

قال الإمام الطبري رحمه الله: "التي يطلع ألمها ووهجها القلوب". "أي أن النار تصل حرارتها وألمها إلى القلوب. وقد ذكر المفسرون عدة أقوال في كيفية ذلك:

1. قول ثابت البناني: "تحرقهم إلى الأفتدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب". قال ابن كثير عنه: ثم يبكي.
2. قول محمد بن كعب القرظي: "تأكل كل شيء من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده". "فهي تصل إلى القلب ثم تعود فتدور في الجسد مرة أخرى.
3. قول آخرون: تطلع عليهم يعني تغشاهم وتعلوهم.

ب. لماذا خصت الأفتدة بالذكر؟

لأن الأفتدة (القلوب) هي موضع الإيمان والكفر، وهي التي كانت مملوءة بحب الدنيا والغرور والطغيان. فالنار تصل إلى هذه القلوب جزاء وفاقًا، كما قال تعالى: "فَدُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ" [السجدة: 14].

إن هذا الوصف من أشد أوصاف عذاب الآخرة. فالقلب هو مركز الإحساس بالألم، ووصول النار إليه معناه وصول الألم إلى أقصى درجاته. وهذا جزاء من جعل حب المال يستقر في قلبه في الدنيا، وفي الآخرة تصله النار إلى قلبه.

سابعًا: الآية الثامنة - إطباق النار عليهم

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ الهزمة: 8

هذه الآية تبين أن النار تطبق على أصحابها من كل جانب، فلا منفذ ولا مخرج.

أ. معنى "مؤصدة"

قال المفسرون في معنى "مؤصدة":

- القرطبي وغيره: "أي مطبقة عليهم، مغلقة الأبواب، ليس لهم فيها منفذ."
- ابن عباس: "يعني الأبواب هي الممدودة، أي مغلقة عليهم لا يخرجون منها."
- قتادة: قال هي نار تطبق عليهم فلا يخرجون منها.

إنها مطبقة لا تفتح، ومقفلة لا تفتح، فلا خروج منها أبدًا. وهذا هو عين اليأس والقنوط: لا أمل في الخلاص، ولا فرصة للنجاة.

### ب. دلالة هذا الوصف

إن إطباق النار عليهم يعني أنهم محبوسون فيها أبدًا، ليس لهم سبيل إلى الخروج. وهذا ينافي ما قد يتوهمه بعضهم من أن عذاب النار قد ينتهي. لا، إنها أبدية لمن استحقها، والنار مؤصدة عليهم، لا تفتح أبوابها ليدخلوا، ولا يخرجون منها.

### ثامنًا: الآية التاسعة - في عمد ممددة

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ الهمزة: 9

الآية الأخيرة من السورة تقدم وصفًا إضافيًا للنار.

### أ. معنى "عمد ممددة"

اختلف المفسرون في معنى "عمد ممددة" على أقوال:

1. قول عطية العوفي: "عمد من حديد."
2. قول السدي: "عمد من نار."
3. قول ابن عباس: "يعني الأبواب هي الممدودة"، أي الأبواب ممتدة في الطول والعرض مطبقة عليهم.
4. قول آخرون: هي عمد طويلة ممدودة تربط فيها أيديهم وأرجلهم إلى النار، يمدون فيها كما يمد الجاني في السجن.

### ب. إجمال المعنى

المعنى الذي ترتاح إليه النفس - والله أعلم - أن "العمد الممددة" هي عمد من حديد أو من نار، تمتد في جهنم لتمنعهم من الخروج، وتزيدهم عذابًا فوق عذاب. إنه إحكام السجن وإغلاق المخرج، فلا ينفعهم مال ولا جاه ولا ناصر.

وبهذا يختم الله السورة على أفزع صورة لعذاب "عبد المال"، الذي ظن أن ماله سينفعه، فإذا به في النار مخلدًا مؤبدًا.

## تاسعًا: الدروس المستفادة من السورة

من خلال هذه السورة القصيرة، نستخلص دروسًا عظيمة:

1. **ذم صفات الهمز واللمز:** وهي صفات من يغتاب الناس ويعيبهم ويطعن فيهم بالقول والفعل، ويسخر منهم ويتنقصهم. وهذه الصفات ملازمة لصاحب المال الذي أعماه حب المال عن أخلاق الإسلام.
2. **ذم جمع المال وتعيده دون أداء حقه:** إن جمع المال وتعيده وإحصاءه بغير إنفاق في سبيل الله ومنع الحقوق هو من علامات "عبد المال".
3. **تحذير من الغرور بالمال:** إن الظن بأن المال سيخلد صاحبه في الدنيا أو ينقذه من عذاب الآخرة هو غرور وجهل عظيم.
4. **جزاء "عبد المال":** "إن مصيره إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وتطبق عليه، في عمد ممددة لا مخرج منها ولا خلاص.
5. **عموم العبرة وخصوص السبب:** هذه السورة وإن نزلت في قوم معينين، فهي خطاب لكل من اتصف بهذه الصفات، في كل زمان ومكان. قال مجاهد: "هي عامة". وكلما تكررت هذه الصفات في أي إنسان، كان داخلًا في هذا الوعيد.

## خاتمة الفصل: سورة الهمزة - مرآة "عبد المال"

بهذا نكون قد استكملنا تفسير سورة الهمزة تفسيرًا تحليليًا متعمقًا، معتمدين على كبار المفسرين. وقد تبين لنا أن السورة ترسم صورة كاملة لشخصية "عبد المال" في ثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى - الصفات الذميمة:** وهي الهمز واللمز، أي الطعن في الناس بالقول والفعل، سرًا وعلنًا، باللسان والعين والإشارة، وبكل صورة من صور التنقص والإيذاء.

**المرحلة الثانية - العلاقة مع المال:** وهي جمع المال وتعيده وإحصاءه والمنع عن الحقوق، مع الاغترار به والظن بأنه سينفع صاحبه ويخلده.

**المرحلة الثالثة - المصير المحتوم:** وهو النبد في الحطمة، نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة وتطبق عليهم في عمد ممددة، فلا خروج منها ولا خلاص.

وهذه السورة - على قصرها - تحمل من العبر والعظات ما يكفي لأن تغير حياة "عبد المال" لو تدبرها وعمل بها. فهل آن لهذا الإنسان أن يتوقف عن هذه العبودية الذميمة، وأن يستعد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ [الليل: 11]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: 88-89].

فاللهم اجعلنا من أصحاب القلوب السليمة، الذين يقدمون الآخرة على الدنيا، ولا يجعلون المال في قلوبهم، وإنما في أيديهم يستعينون به على طاعتك. اللهم إنا نسألك غنى النفس والثبات على الدين، ونعوذ بك من فتنة المال وفتنة الدنيا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الفصل الثاني

## قارون – من عابد إلى "عبد المال"

## تمهيد: نموذج فريد للتحويل

إذا أردنا أن نتلمس صورة "عبد المال" في أصدق وأوضح صورها، فإننا نجد لها متجسدة في شخصية قارون، ذلك الرجل الذي كان من قوم موسى، بل من أقرب المقربين إليه، ثم انقلب إلى نموذج للبغي والطغيان بسبب المال. قصته التي حكاها الله في سورة القصص من الآية 76 إلى 82 تمثل تحذيرًا إلهيًا خالدًا لكل من يغتر بالمال ويظن أنه سينجي.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ ۚ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَنَدُو حَظَّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَفِّرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَفِّرُ لَوْلَا أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: 76-82]

هذه القصة – التي سنتبناها آية آية – تمثل أروع وأعمق دراسة حالة لتحويل الإنسان من الإيمان والصلاح إلى البغي والطغيان بسبب المال، وهي درس بليغ لكل من يظن أن كثرة المال دليل على رضا الله، أو أنه وسيلة للخلود.

## أولاً: نسب قارون – كيف كان من قوم موسى؟

تبدأ الآيات بتقرير حقيقة غائبة عن كثير من الناس: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾. فقارون ليس غريباً عن بني إسرائيل، بل هو منهم، بل من أقرب المقربين إلى موسى عليه السلام نفسه. قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: إن قارون – وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب – كان من عشيرة موسى بن عمران النبي، وهو ابن عمه لأبيه وأمه."

وقد اختلف المفسرون في صلة القرابة بين قارون وموسى عليه السلام على أقوال متعددة:

- القول الأول (الراجح عند أكثر العلماء): قارون هو ابن عم موسى عليه السلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان ابن عمه." وقال إبراهيم النخعي وقتادة ومالك بن دينار وغيرهم بذلك. وقد فصل

الطبري ذلك بقوله: "قارون بن يصر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث"، فهما يجتمعان في "قاهث" الجد الثالث، فيكونان ابني عم.

- القول الثاني: أنه عم موسى عليه السلام (أخو أبيه عمران). قال به ابن إسحاق بن يسار.
- القول الثالث: أنه ابن خالته. قال به بعض العلماء.

وليس الخلاف في هذه المسألة كبيرًا، فالمقصود أن قارون كان من أقرب الناس إلى موسى عليه السلام، وكان من بني إسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين، وكان مؤمنًا في بداية أمره. قال قتادة بن دعامة: "كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة." وكان يعد من أقرأ بني إسرائيل للتوراة بعد موسى وهارون عليهما السلام.

وهذه البداية المشرقة تجعل تحوله إلى "عبد المال" أكثر إيلاّمًا وأعظم عبرة، لأنه ليس كافرًا أصليًا، بل من أهل الإيمان والعلم ثم انحرف.

### ثانيًا: النعمة التي أوتيتها - كنوز تفوق الوصف

بعد أن بين الله أن قارون كان من قوم موسى، انتقل إلى ذكر النعمة العظيمة التي أوتيتها: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾.

معنى الكنوز: قال المفسرون: الكنوز هي الأموال المدخرة، تشمل الذهب والفضة والزمرد والجواهر والنقود وغير ذلك. وقيل: كانت كنوز قارون من الأموال العظيمة التي لا تكاد تحصى.

معنى "مفاتيحه": "المفاتيح - بفتح الميم - جمع مفتاح، وهو ما يُفتح به الأبواب، أي المفاتيح. وقيل: المفاتيح هنا بمعنى الخزائن، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: 59] أي خزائنه.

معنى "تنوء بالعصبة أُولِي الْقُوَّةِ": "قيل: "تنوء" أي تثقل، "بالعصبة" أي الجماعة القوية. والمعنى: أن مفاتيح خزائن قارون - أو الخزائن نفسها - كانت ثقيلة لدرجة أن الجماعة القوية من الرجال كانت تعجز عن حملها. قال الأعمش عن خيثمة: "كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حملت على ستين بغلا أغر محجلا." أي أن مجرد مفاتيح خزائنه كانت تحتاج إلى ستين بغلاً لحملها، فما بالك بالخزائن نفسها؟!

وقد اختلف العلماء في عدد "العصبة" التي كانت تنوء بحمل هذه المفاتيح؛ ف قيل سبعون رجلاً، وقيل أربعون، وقيل عشرة، وقيل غير ذلك. والمقصود - كما قال المفسرون - المبالغة في كثرة المال وعظمته.

وهكذا نرى أن قارون أوتي من المال والكنوز ما لم يؤته أحد في زمانه، وكانت ثروته فوق ما يتصوره العقل. وهذه النعمة العظيمة كان يمكن أن تكون سببًا في سعادته في الدنيا والآخرة لو شكرها واستعملها في طاعة الله، ولكنها صارت - لسوء اختياره - سبب هلاكه.

**ثالثًا: البغي – أول علامات التحول**

ثم تأتي الآية بالخبر المحوري: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾. قال المفسرون في معنى "بغى": أي تجاوز الحد، وتناول عليهم، واستكبر عليهم. والمعنى أنه تكبر على قومه وتجبر عليهم بسبب كثرة ماله، وسلك مسلك الجبابة في التعالي على الناس.

وقد ذكر المفسرون صورًا متعددة لبغي قارون:

1. **الزيادة في طول الثوب:** قال شهر بن حوشب: "زاد في طول ثوبه شبراً ترفعاً على قومه." وكان ذلك فعلاً يُعرف به المتكبرون في ذلك الزمان، لأنه جر الإزار والخيلاء من صفات المتكبرين. وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا."
  2. **الاستخفاف بالناس:** قال قتادة: "بغى عليهم بكثرة المال"، أي استخف بهم واحتقرهم، وتكبر عليهم بما عنده من المال.
  3. **الشرك والكفر:** قال الضحاك: "بغى عليهم بالشرك." والمعنى أنه أشرك بالله، فلم يشكر نعمته عليه.
  4. **ظلم بني إسرائيل:** قيل: كان قارون عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فكان يظلمهم ويؤذيهم. وهذه أشد أنواع البغي، وهي مصادرة لحقوق الناس واستغلال لهم.
  5. **الحسد لموسى وهارون:** يروى أن قارون لما رأى النبوة لموسى، والمذبح والقربان لهارون، وجد في نفسه وحسدهما، وقال لموسى: "الأمر لكما وليس لي شيء، إلى متى أصبر؟"
- والأرجح أن هذه الصور كلها كانت موجودة في بغي قارون، فقد كان متكبراً في مشيته ولباسه، مستخفاً بالناس بسبب ماله، ظالماً لهم إن كان والياً عليهم، حاسداً لموسى وهارون على مناصبهما. وهذه الصفات كلها هي صور "عبد المال" الذي نصبته الأموال فصيره إلى الكبر والظلم والحسد.
- ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن قارون كان في أول أمره من المؤمنين بشريعة موسى عليه السلام، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة. ولكن المال قلبه وأعماه، فانتكس إلى أسوأ حال. فهذا نموذج واقعي لتحول "عابد" إلى "عبد مال"، يثبت أنه لا حصانة لأحد من هذه الفتنة ما لم يضبط قلبه وعلاقته بالله.

**رابعًا: النصيحة الذهبية – ثلاث وصايا خالدة**

في هذه الآية موقف إنساني رائع، حيث نصح قوم قارون – وفي مقدمتهم العلماء والمؤمنون – نصحوه في ما هو فيه، فجاءت نصائحهم مركزة في ثلاث وصايا:

**الوصية الأولى: لا تفرح فرح البطر والكبر**

قال الله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾.

وقد أوضح العلماء أن المراد بالفرح المذموم هنا هو "الفرح الذي يصحبه الكبر، والبغى على الناس، والعدوان، والبطر". فليس كل فرح مذمومًا، بل الفرح بفضل الله ورحمته مشروع. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

والمقصود هنا: لا تفرح فرح البطر والفرح والأشر، ولا تلهك هذه الدنيا عن الآخرة، فإن الله لا يحب الذين يفرحون بها ويبطرون فيها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يعني المرحين". وقال مجاهد: "يعني الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم."

### الوصية الثانية: اجمع بين الدنيا والآخرة

قال الله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

وهذه وصية عظيمة تجمع بين الجد في طلب الآخرة والأخذ بنصيب من الدنيا. قال المفسرون: "وابتغ فيما آتاك الله من المال أن تعمل به بطاعته، فتتوصل به إلى ثواب الدار الآخرة."

وقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تترك حظك من الدنيا الذي أباحه الله لك، من المأكل والمشرب والملابس والمسكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا.

والمقصود هو الوسطية الإسلامية: لا إفراط في التعلق بالدنيا فتتسى الآخرة، ولا إفراط في ترك الدنيا فتضيع واجباتك فيها. وهذا هو توازن المؤمن الذي لا يكون "عبدًا للمال"، ولا يترك المال فيضيع حقه فيه.

### الوصية الثالثة: أحسن كما أحسن الله إليك

قال الله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

أي: أحسن إلى خلق الله بإحسانك إليهم، كما أحسن الله إليك بإعطائك هذه الأموال؛ فتصدق، وتصدق، وتصل الرحم، وتعطي المسكين، وتقري الضيف، وتنفق في وجوه البر.

ولا تفسد في الأرض بالبغى والكبر والظلم، فإن الله لا يحب المفسدين، ومفسد في الأرض من كفر نعمة ربه، فأساء استخدام ما آتاه من المال في غير طاعة الله.

فهذه النصيحة الثلاثية – التي جمعت بين تزكية النفس (لا تفرح)، وبين التوازن في الحياة (اجمع بين الدنيا والآخرة)، وبين الإحسان للخلق (أحسن كما أحسن الله إليك) – هي دستور متكامل للتعامل مع المال، وهي وصفة للخلاص من فتنه المال وعبوديته.

### خامسًا: رد قارون – قمة الغرور والجحود

إن الموقف العظيم الذي أظهر فيه قوم قارون غاية النصح والشفقة، قوبل برد أظهر غاية الغرور والجهل.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص: 78

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير: **قال إنما أوتيته على علم عندي**، أي: أنا لا أفترق إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمحبته لي."

وقد ذكر المفسرون أقوالاً في تفسير "على علم عندي":

1. **المعنى الأول (وهو الراجح)**: أنه أراد أن الله إنما أعطاه المال لعلمه بأنه يستحقه، ولمحبته له. قال الطبري: "إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلي بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم." وهذا هو الغرور بعينه: ظنه أن عطاء الله له هو لتكريمه، لا لابتنائه واختباره.

2. **المعنى الثاني**: أنه أراد أنه أوتي المال على علم ومعرفة منه بوجوه المكاسب، وكسبه بذكائه وحنقه. وهذا قول من قال إنه كان يعاني علم الكيمياء. قال تعالى حاكياً عنهم: "ولو أنهم أوتوا المال لاشتبهوا تحصيله بغير حق". قال السعدي: "إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحنقي."

وهذان المعنيان متقاربان، كلاهما يعبر عن الغرور والجهل بحقيقة أن المال نعمة من الله واختبار. فهو إما نسب الفضل إلى نفسه (معرفة وحنق)، وإما نسبه إلى علم الله به (كرامة). وكلاهما خطأ.

وقد رد الله تعالى على قارون برد حاسم: ﴿ **أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا** ﴾ [القصص: 78]. أي: أما علم هذا الجاهل أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه قوة وأكثر منه مالاً؟! فكيف يظن أن ماله سيخلده وينفعه؟!

وقوله: ﴿ **وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ قال المفسرون: أي لا يسألون سؤال استعلام، بل يسألون سؤال توبيخ وتقريع، ثم يدخلون النار بغير حساب لعلم الله بهم. أو أنهم يدخلون النار بغير أن يستعلموا عن ذنوبهم لأن الله عالم بها.

وهذا الرد الإلهي يُسقط كل حجج قارون وأمثاله، ويذكرهم بأن المال ليس مقياساً لمكانة العبد عند الله، بل هو اختبار وابتلاء؛ فكم من أكثر مالاً من قارون أهلكهم الله لكفرهم وجحودهم.

### سادساً: الخروج في الزينة – ذروة الكبر والتفاخر

ثم تأتي الآية لتصف لنا ذروة كبر قارون وتفاخره: ﴿ **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ** ﴾ [القصص: 79].

قال المفسرون: خرج قارون على قومه في زينته – أي في أحسن زينة وأجمل هيئة – يتباهى بما عنده من مال وجاه، يريد أن يُري الناس عظمته وثراءه الفاحش. قيل: إنه خرج على بغال شهب، وعليه وعلى خدمه الثياب الأرجوان، في موكب مهيب لا يشبهه موكب.

وهذا الخروج كان له أثران عظيمان:

الأثر الأول: على ضعاف النفوس ممن يحبون الدنيا

﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 79].

فهم مفتونون بزخرف الدنيا، يتمنون أن يكونوا مثله، ويظنون أن ما عنده هو الحظ العظيم والسعادة الحقيقية. وهؤلاء هم "عبيد المال" بالتبعية، الذين يستعبدهم حب المال وإن لم يكن في أيديهم منه شيء.

الأثر الثاني: على أهل العلم والإيمان

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص: 80]

فهم يردون على تمني هؤلاء السذج قائلين: ثواب الله خير وأبقى لمن آمن وعمل صالحاً. و "لا يلقاها" أي لا يوفق لهذه الكلمة الطيبة (أن ثواب الله خير) إلا الصابرون الذين صبروا عن الشهوات وعن محبة الدنيا.

وهكذا يتجلى التناقض بين نظرة "عبد المال" إلى الدنيا، ونظرة المؤمن الصابر إلى الآخرة.

**سابعاً: العاقبة – الخسف بالمال والدار**

ثم يأتي المشهد الأخير، وهو مشهد العذاب والنكال: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: 81].

معنى الخسف: "فخسفنا به" أي أذهبنا به إلى باطن الأرض، فغاص فيها هو وداره وجميع ما يملك من أموال وخدم وحشم.

**سبب الخسف:**

ذكر المفسرون قصة سبب الخسف: أنه لما نزلت الزكاة، أتى قارون موسى عليه السلام، فصالحه على أن يخرج الزكاة، ثم حسب ماله فوجده كثيراً، فبغض عليه الزكاة، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم، وقد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم. وأشار عليهم بأن يبهتوا موسى بامرأة، يجعلون لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها. فلما دسوها واتهمته، دعا موسى ربه، وسجد سجدة طويلة، وتمسك بالله، فنصر الله نبيه، وفضحهم. وأوحى الله إليه أن يأمر الأرض أن تأخذهم، فأخذتهم إلى أرجلهم، ثم إلى ركبهم، ثم إلى أعناقهم، ثم انطبقت عليهم. وهناك أقوال أخرى منها أنه خرج على قومه في زينته فخسف به بسبب تكبره وبغيه.

والمهم أن العاقبة كانت واحدة: ذهب المال، وذهبت الدار، وذهب الجاه، وبقي العذاب.

ويصف لنا القرآن الكريم رد فعل أولئك الذين كانوا يتمنون مكانه: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاوِيكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: 82].

فاتعظوا بعد فوات الأوان، وندموا على تمنيتهم مكانه، وأدركوا أن الله هو الذي يقدر الأرزاق، لا المال هو الذي يصنع السعادة.

**ثامناً: قارون نموذجاً لـ "عبد المال" – خلاصة التحول**

بعد هذه الجولة مع قصة قارون، يمكننا استخلاص الدروس والعبر التي تجعل قصة قارون أصدق نموذج لـ "عبد المال":

**1. البداية المشتركة لا تعصم من النهاية المظلمة:**

كان قارون من قوم موسى، بل من أقاربه، وكان عالماً بالتوراة، وكان مؤمناً في بدايته، ثم تحول إلى "عبد المال" بعد أن استغنى وطنى. وهذا يعني أن أي إنسان عرضة لهذه الفتنة مهما كان مستواه العلمي والديني، ما لم يضبط قلبه.

**2. المال لا يعكس مكانة العبد عند الله:**

قارون كان أكثر المال في عصره، ولكن كانت عاقبته الخسف في الأرض. وهذا يهدم مقولة "لو كان الله يحبني لأعطاني ما أعطى قارون". فالله يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب، ابتلاءً واختباراً.

**3. التحول من عابد إلى "عبد مال" يبدأ بالغرور:**

الغرور هو أول خطوة في هذا الطريق: أن يظن الإنسان أن ماله جاء بفضل أو بعلمه أو بكرامته عند الله. وهذا الغرور هو ما حذرت منه الآية الكريمة: "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى".

**4. صفات "عبد المال" تنطبق على قارون بالكامل:**

- جمع المال وتعيده (كنوز عظيمة).
- البغي والكبر على الناس.
- منع الحقوق الواجبة (الزكاة).
- الرد على الناصحين بالعناد.
- الخروج في الزينة والتفاخر.
- ظنه أن ماله سيخلده.

**5. المصير المحتوم لـ "عبد المال":**

عاقبة قارون كانت خسف الأرض به وبقاره. ولكن في الآخرة عاقبة "عبد المال" أشد: الحطمة، نار الله الموقدة. فالدنيا قصيرة، والآخرة هي دار القرار.

**6. العبرة لمن يعتبر:**

لم ينفذ قارون نسبه ولا قوته ولا ماله، ولا منصبه عند فرعون، ولا مكانته عند بني إسرائيل. كل ذلك لم يدفع عنه عذاب الله لحظة واحدة. وكذلك كل "عبد مال" في عصرنا، سيناله من العقاب بقدر ما يستحق.

## 7. حقيقة المال:

المال نعمة إذا استعمل في طاعة الله، ونقمة إذا استعمل في معصية الله. قارون جعل المال نقمة؛ فجازاه الله الخسف في الدنيا والخلود في النار في الآخرة.

## خاتمة الفصل: قارون – عبرة لكل "عبد مال" في كل زمان

لقد كانت قصة قارون خاتمة محزنة، ولكنها عبرة بالغة لكل إنسان أوتي مالا، في أي زمان ومكان. فعلى كل من قرأ هذه القصة أن يقف مع نفسه، ويسألها:

- هل بدأت أموري تتجه نحو "بغي" قارون وتكبره؟
  - هل بدأت أمنع حقوق الله في مالي كما منع قارون الزكاة؟
  - هل بدأت أعتقد أن مالي جاء بفضل علمي وحذقي لا بفضل الله؟
  - هل أحتقر الفقراء والمساكين كما احتقرهم قارون؟
  - هل أنا من أولئك الذين يخرجون في زينتهم ليفاخروا الناس؟
  - هل أرد على الناصحين رداً عنيداً كما رد قارون؟
- فإن كان الجواب "نعم" أو حتى "نعم أحياناً"، فعليك أن تعلم أنك تسير في طريق قارون، وأن مصيرك قد يكون الخسف في الدنيا قبل الآخرة، أو العذاب الأليم في الآخرة إن لم تتب.
- نسأل الله أن يجعلنا من أهل الشكر والرضا، لا من أهل البغي والكبر، وأن يعيدنا من فتنة المال كما أعاد منها أنبياءه وعباده الصالحين.
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الفصل الثالث

## إلهاء المال في سورة التكاثر

﴿ الْهَآئِكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8) ﴾ التكاثر: 1-8

## تمهيد: سورة التكاثر – قراءة في متاهات المال

بعد أن استعرضنا في الفصلين السابقين نموذج "عبد المال" في شخصية قارون، ووقفنا على تحذيرات سورة الهمزة، يأتي الآن دور سورة التكاثر لتضرب على وتر آخر في فتنة المال. فهذه السورة القصيرة – التي لا تتجاوز

ثمانى آيات - تحمل في طياتها أبلغ وصف لحالة التلهي والانشغال عن الله والآخرة بسبب التكاثر في الأموال والأولاد.

إذا كانت سورة الهمزة قد ركزت على الأسلوب الذي يُجمَع به المال (الجمع والتعديد، مع منع الحقوق، مع الصفات الذميمة الهمز واللمز)، وسورة القصص قد عرضت لنا نموذجًا تاريخيًا فريدًا في قارون، فإن سورة التكاثر تتناول الإطار العام لفتنة التكاثر بأموال الدنيا وزينتها في المجتمعات البشرية.

وقد أجمع المفسرون على أن السورة مكية في قول جميع المفسرين، إلا أن بعضهم روى عن البخاري أنها مدنية . وهي من سور المفصل، وتعنى بحالة الانهماك في الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة، وهذه الحالة هي الأرض الخصبة التي تنبت فيها شخصية "عبد المال".

وفي هذا الفصل، سنتبع آيات هذه السورة الكريمة آية آية، كما سنرجع لكبار المفسرين، لنخرج بتصوير شامل عن طبيعة التكاثر المحذور، وعن آثاره الدنيوية والأخرية على "عبد المال".

### أولاً: الآية الأولى - "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ"

#### ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ 1

تبدأ السورة بهذا الخطاب القوي، الذي يخاطب بني آدم عامة.

#### أ. معنى "ألهاكم"

قال المفسرون في معنى "ألهاكم" عدة أقوال، وجميعها ترجع إلى معنى واحد هو شدة الانشغال والصد والإعراض:

- قال الإمام الطبري وابن كثير: معنى "ألهاكم" أي شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها.
- وقال الإمام القرطبي: ألهاكم: شغلكم، وأصل الإلهاء هو التلهية والانشغال بما يليه ويلهج.
- قال المفسرون أيضاً: ألهاكم بمعنى أنساكم، أي أنساكم التكاثر ذكر الآخرة، فشغلتمكم الدنيا عن طاعة الله.

والإلهاء ليس مجرد شغل عابر، بل هو شغل يصل إلى حد النسيان التام والإعراض الكلي عن الآخرة. إنه تعلق يتحول إلى إدمان. قال الإمام القرطبي: يُقال: لهيت عن كذا ألهى لهوا ولهيانا، إذا سلوت عنه وتركت ذكره وأضريت عنه.

تأمل: ليس كل شاغل أو مشغول يوصف بأنه "ألهاه"، إنما الإلهاء هنا هو أقصى درجات الانشغال حتى ينسى الإنسان الغاية التي خلق من أجلها. وهذا هو ما وصل إليه "عبد المال" الذي لا يكاد يفكر إلا في ماله.

#### ب. معنى "التكاثر"

التكاثر في اللغة: هو التباري والمفاخرة في كثرة المال والأولاد والأعوان والأنصار والقبيلة والعشيرة والجاه. قال ابن عباس والحسن: **التكاثر أي من الأموال والأولاد**. وقال قتادة: أي التفاخر بالقبائل والعشائر والأموال والأولاد، يباهي بعضهم بعضًا بما في أيديهم. وقيل: المباهاة بكثرة الأنصار والأعوان.

وقد فسر ابن عباس "التكاثر" في رواية أخرى بقوله: **تكاثر الأموال: جمعها من غير حقها، ومنعها من حقها، وشدها في الأوعية**. وهذا التعريف يدخل مباشرة في صميم مفهوم "عبد المال" الذي يصف بهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر المفسرون أن أصل هذه الآية – أي سبب النزول – يعود إلى فخر قبيلتين من الأنصار، أو حيين من قريش، أو اليهود، أو غيرهم، كل يتباهى بكثرة المال والعدد والسادة والأشراف. وقد أسهب القرطبي في ذكر هذه الأقوال.

**المحصلة:** التكاثر ليس مجرد حب المال، بل هو انغماس في التنافس والمباهاة والمفاخرة، وهذه من أخطر صور التعلق بالدنيا.

**ج. توجيه الآية: موعظة لكل مسلم**

لقد جمع الله في هذه الآية عبرة لكل من تعلق بالدنيا وطمع فيها. قال الحسن البصري: **"والله ما ألهاهم صلاتهم ولا زكاتهم ولا حجهم ولا عمرتهم، ولكن ألهاهم التكاثر في الأموال والأولاد"**.

هذه الآية توبخ الإنسان على اشتغاله عما خلق له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء.

**ثانياً: الآية الثانية – "حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ"**

﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ 2

بعد أن وصف الله تعالى حالة التلهي والتكاثر، جاءت هذه الآية لترسم الخط النهائي لهذه الرحلة الطويلة.

**أ. معنى "زرتم المقابر"**

ورد في تفسير هذه العبارة ثلاثة أقوال رئيسية:

1. **حتى يأتيكم الموت ويدخلكم القبور:** أي حتى متم ودفنتم في المقابر.
2. **حتى عدتكم الموتى وتفاخرتم بهم:** أي حتى افتخرتم بالأموات، لأن "زيارة الموتى" تفيد معنى الافتخار بكثرتهم. وهذا في المباهاة والتفاخر بالأموات بعد المباهاة بالأحياء.
3. **حتى عدتكم المقابر وأهلها وباهيتهم بأهل القبور من أسلافكم.**

وقد ثبت في الحديث الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: **"ألهاكم التكاثر"** فقال: **"يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟"**

وهذا الحديث يلخص موقف المسلم من المال: أنه مجرد زاد إلى الموت، فما لم يأكله الإنسان ويستعمله ويقضي به حقوق الله وما يخرج منها فلا قيمة له. فالموت هو القاطع لكل أمل في الدنيا، والموت هو الذي يعيد "عبد المال" إلى رشده، وقد فات الوقت.

### ب. بلاغة التعبير القرآني

إن تعبير "زرتم المقابر" يحمل معنى القرب من الموت (زيارة القبور تشير إلى أن الموت قريب منكم، وأنكم ستدخلونها لا محالة)، وفي نفس الوقت قد يشير إلى أنهم صاروا من أهل القبور. والجميل في لفظ "الزيارة" أنها تشير إلى أن هذه الدنيا ما هي إلا محطة عابرة، وما القبور إلا زيارة، ثم بعد ذلك السفر إلى الدار الآخرة.

وهذا التعبير أبلغ في الزجر والتحذير من أن يلهو الإنسان بالدنيا ويغفل عن طاعة الله حتى يأتيه الموت بغتة أو على حين غفلة، فلا يجد أمامه إلا القبر.

### ثالثاً: تأكيد الوعيد (الآيات 3-4)

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) ﴾

أ. معنى "كلا"

"كلا" هنا للردع والزجر، أي ليس الأمر كما تظنون، وليس ما أنتم عليه من الغفلة والإقبال على الدنيا هو النهاية.

### ب. التأكيد والمبالغة بالتكرار

إن تكرار الآية مرتين "سوف تعلمون" ثم "سوف تعلمون" فيه من التأكيد العظيم ما يقطع النفس ويتركها في دهشة، فهل هناك شيء لا يعلمه الإنسان الآن لكنه سيعلمه بعد الموت؟ وهل هناك أشد من هذا التحذير؟

قال المفسرون: معنى الآية: كلا سوف تعلمون - يا عبادي - عاقبة أمركم هذا، وما يؤول إليه من العذاب غداً يوم القيامة، حين يتبين لكم كل شيء. ثم تأكد الوعيد بقوله: "ثم كلا سوف تعلمون" للمرة الثانية. وهكذا كانت الآية تزجر "عبد المال" عن غفلته وتذكره بأنه سيعلم ما هو فيه عند رؤية العذاب.

### رابعاً: العلم اليقيني ورؤية النار (الآيات 5-7)

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ﴾

أ. العلم اليقيني

"كلا لو تعلمون علم اليقين"، أي لو كان عندكم علم اليقين (وهو العلم الثابت الذي لا يتطرق إليه شك)، أي لو عرفتم حق المعرفة حقيقة الدنيا والآخرة، وأن ما أنتم فيه من تكاثر هو زائل وما بعده هو الباقي، لما انغمستم في التكاثر ولم ألهاكم عن عبادته وطاعته.

## ب. رؤية الجحيم

"لترون الجحيم": أي والله لترون النار بأعينكم. وهذا تهديد عظيم، فهي تؤكد على وجوب رؤية النار في الآخرة عياناً.

وهذا التعبير - الرؤية - أشد من مجرد الخبر، لأنه انتقال من علم اليقين (العلم بالخبر) إلى عين اليقين (المشاهدة الحسية). وقد أكد الله ذلك بقوله: "ثم لترونها عين اليقين" أي تشاهدونها مشاهدة لا ريب فيها. فأما العلم اليقين فهو ما يدرك بالاستدلال والأخبار، وأما عين اليقين فهو ما يحصل بالمشاهدة والمعاناة.

**خامساً: السؤال عن النعيم (الآية 8) ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾**

## أ. النعيم المقصود

اختلف المفسرون في المراد "بالنعيم" الذي سيسأل عنه الإنسان يوم القيامة، وهذه الأقوال وإن تنوعت إلا أنها تدل على معنى واحد:

- النعيم العام: كل نعيم أنعم الله به على عباده من الصحة والأمن والعافية والمال والولد وغير ذلك . قال ابن القيم: "فلا بد من السؤال عن شكرها، ومن لم يشكرها فقد خسر خسراناً ميبئاً".
- الأمن والعافية:
- الصحة:
- الماء البارد: فبعض المفسرين قالوا: "وهل كل هذه النعم تسألون عنها؟!"
- الطعام والشراب: يشير بعض المفسرين إلى أن النعيم المسؤول عنه يشمل ما آتاه الله لكم من الأكل والشرب في الدنيا، وكيف شكرتم الله عليها؟ فشكرها طاعته، وكفرها إعراضه.

## ب. معنى السؤال

السؤال هنا ليس سؤال استعلام (لأن الله يعلم كل شيء)، ولكنه سؤال تبيكيت وتوبيخ للمقصرين الذين لم يشكروا الله على نعمه، واغتروا بها واستعملوها في غير طاعته. فإذا قيل له: "ألم أنعم عليك بصحتك وأمنك ومالك وولدك؟ ألم أمدك بالقوة والجاه والسلطان؟" فيقر بذلك. ثم يقال: "ما عملت في ذلك؟" فتقطع به الحجج.

وقد أشار السلف إلى أن أول ما يسأل عنه العبد من النعيم هو إن كان شكرها في حقها وعمل بطاعة الله، أو كفرها واستعملها في معصيته.

**سادساً: الدروس المستفادة من سورة التكاثر**

بعد أن انتهينا من استعراض آيات هذه السورة الكريمة، يمكننا استخلاص عدد من الدروس والعبر، التي ترتبط مباشرة بموضوع "عبد المال":

**الدرس الأول: أن التكاثر في الأموال والأولاد هو أصل الإلهاء**

"ألهاكم التكاثر"، فالمال – عندما يكون هدفًا وغاية – يلهي الإنسان عن أعظم مهمة في حياته: عبادة الله وطاعته. فمن شأن كثرة المال أن تثقل كاهل الإنسان وتجعله أسيرًا لها.

**الدرس الثاني: أن هذه الغفلة تمتد حتى الموت**

قال تعالى: "حتى زرتم المقابر"، فالإنسان الذي ألهاه التكاثر يموت على غفلته، ويُدفن – ثم لا يزال في تلك الغفلة حتى يُبعث. فهو لم ينتبه إلى حقيقة الدنيا والآخرة إلا بعد أن نزل القبر، فقد فات الأوان. وهذا هو حال "عبد المال" الذي لم يصح من سكرته إلا عند الموت.

**الدرس الثالث: أن التكاثر سينتهي بندامة لا تنفع**

"كلا سوف تعلمون" ثم "ثم كلا سوف تعلمون". العلم الذي سيعلمونه يوم القيامة هو علم اليقين الذي لا ينفع لأنه بعد فوات الأوان. و "عبد المال" سيعلم يومئذ خطأ منهجه، ولكن لن ينفعه علمه.

**الدرس الرابع: أن النهاية المحتومة هي رؤية النار**

"لترون الجحيم" ثم "لترونها عين اليقين". نار الله الموقدة هي مصير "عبد المال" الذي لم يخرج حق الله في ماله، والذي انشغل بالتكاثر عن عبادته.

**الدرس الخامس: أن النعيم مسؤول عنه**

"لئن سألكم عن النعيم". وفي هذا دلالة على أن المال والولد والجسم والعافية – كل ذلك سيسأل عنه يوم القيامة. ومن أسوأ "عبيد المال" أولئك الذين جمعوا المال من غير حق، وأنفقوه في غير طاعة الله، وضيعوا حقوق الله فيه. وهذا ما ينذر به قوله في آية أخرى: "ثم لتسألن يومئذ عن النعيم" [التكاثر: 8]. والنعيم يشمل كل نعم الله، وعلى رأسها المال.

**خاتمة الفصل: سورة التكاثر – جرس إنذار لـ"عبد المال"**

إن سورة التكاثر – رغم قصرها – تمثل جرس إنذار مدوٍ لكل من تعلق بالمال والأولاد وألهاه التكاثر عن ذكر الله والدار الآخرة. فإنه – أيها القارئ – لو أن عاقلاً تدبر هذه الآيات ووعاها وعمل بها، ما استعبده الدنيا، ولا ألهته الأموال والأولاد عن طاعة الله. وأي إنسان يجد نفسه قد استغرقت في المنافسة في جمع المال والتفاخر به، فليذكر قول الله تعالى: "ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر". فليراجع نفسه ويعتصم بحبل الله قبل أن يزيغ قلبه عن الحق، ويسعى في مرضاته قبل أن يحل به الموت على غفلة، فيصبح – والعياذ بالله – في زمرة من قال الله فيهم: "لترون الجحيم" ثم "لترونها عين اليقين"، ثم يسأل عن نعيمه الذي استعمله في غير ما خلق له.

نسأل الله أن لا يجعلنا من الذين يلهيهم التكاثر عن عبادته وطاعته، وأن يجعلنا من الذين يشكرون نعمه ويتقون ربه ويرضون بقضائه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الفصل الرابع

## آيات أخرى عن جمع المال وكثره

**تمهيد:** من سورة التكاثر إلى تنويعات التحذير

بعد أن استعرضنا في الفصول السابقة أبرز وأشهر السور التي تناولت موضوع "عبد المال" (سورة الهمزة، سورة القصص في قصة قارون، سورة التكاثر)، نتناول في هذا الفصل آيات أخرى متفرقة تتحدث عن فتنة المال والكنز والبخل والحرص، لنرى تنوع النماذج القرآنية التي تعالج هذه الظاهرة.

إن تكرار هذه الآيات في القرآن دلالة على عظم الخطر، وأن المال إذا أسيء استخدامه يمكن أن يكون سببًا في هلاك الإنسان في الدنيا والآخرة. فهذه الآيات تأتي لتؤكد على أن المال ليس محمودًا في ذاته، ولا مذمومًا في ذاته، وإنما ميزان الخير والشر هو كيفية التعامل معه.

وسنتناول في هذا الفصل مجموعة مختارة من آيات الكتاب الحكيم، نعرضها تحليليًا وموضوعيًا، ونستشهد بأقوال أئمة المفسرين فيها، ثم نلخص الدروس والعبر مما اشتملت عليه في توجيه عباد المال.

وسنقسم هذا الفصل إلى عدة محاور: آيات الكنز والذين يكتزون، آيات البخل والحرص، آيات عن إنفاق المال في سبيل الله، وآيات عن محبة المال والطمع.

### أولاً: آيات الكنز – الوعيد الأكبر لمنع الحقوق

أخطر الآيات القرآنية في موضوعنا هي تلك التي تتحدث عن الكنز، والآية التي تتصدرها هي قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) ﴾ التوبة: 34-35

هذه الآية هي عنوان التحذير لمن يمنع حق الله في ماله، وهي تمثل قمة الردع لـ"عبد المال" الذي يجمع المال ويحرم الإنفاق في سبيل الله.

### أ. السياق العام للآية

نزلت هذه الآية في سياق الحديث عن أحبار اليهود ورهبان النصارى، الذين كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. قال المفسرون: إن الله يقسم الناس في هذا السياق إلى ثلاث طبقات:

1. **الأحبار والرهبان:** وهم علماء الضلال الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله.
2. **أرباب الأموال:** وهم الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله.
3. **العامة:** وهم عالة على هؤلاء وأولئك، فإذا فسد العلماء والعباد وأرباب الأموال، فسدت الأمة كلها.

وهذا يبين أن دور "عبد المال" في المجتمع هو دور مهلك ومدمر إذا تركوا لشأنهم.

### ب. معنى "الكنز"

اختلف المفسرون في معنى "الكنز":

- **القول الأول (وأشهرها):** الكنز هو المال الذي لم تؤد زكاته. قال ابن عمر رضي الله عنهما: "ما أدت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز". وهذا هو القول الراجح.
- **القول الثاني:** الكنز هو مطلق المال المدخر، ولكن دخوله في الوعيد مشروط بألا تؤدى زكاته. وهذا يرجع إلى المعنى الأول.
- **القول الثالث:** حدد بعض الصحابة الكنز بمقدار معين من المال، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة، وما فوقها كنز". ولكن هذا التحديد لم يثبت.
- **القول الرابع:** الكنز هو كل مال لا ينفق في سبيل الله، بغض النظر عن قدره، وكثير من المفسرين حكموا بأن الوعيد خاص بمن منع الزكاة الواجبة. وهذا أظهر الأقوال.
- **الخلاصة:** الكنز المحرم شرعًا هو كل مال لا تؤدى زكاته. فإذا أدى الإنسان زكاته المفروضة، فليس بكنز، ولو دفنه تحت الأرض.

### ج. جزاء الكنز المحرم

لقد وصف الله جزاء الكنز بأفظع وأبشع صورة:

"يوم يُحْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم ظهورهم"

هذا العذاب لا يقتصر على حرق الأموال فقط، بل تتعداه إلى الكي بهذه الأموال - أي تسخيرها - لتكون وسيلة للعذاب. وهذا من أشد أنواع العذاب؛ لأنها نفس النقود التي أحبها وكدسوها ومنعوا حق الله فيها. فهي تنقلب عليهم عذابًا يوم القيامة.

ثم يقال لهم تقريبًا: "هذا ما كنزتم لأنفسكم" أي هذا جزاء ما كنزتم "فذوقوا ما كنتم تكنزون."

### ثانيًا: آيات البخل والحرص - دوافع "عبد المال"

إذا كان "عبد المال" يتميز بالحرص الشديد على المال ومنع حقوق الله فيه، فإن القرآن لم يغفل عن وصف هذه الصفات، وقد وردت في أكثر من موضع آيات تنهى عن البخل والحرص:

**أولاً - قوله تعالى:**

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۚ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: 180].

هذه الآية تُحذّر البخلاء الذين يظنون أن منع المال عن مصارفه (كالصدقات والزكاة) هو خير لهم وزيادة لثروتهم. والواقع أنه شر لهم، وسيلقون عقوبته في الآخرة.

معنى "سيطوقون": "سيجعل الله ما بخلوا به يوم القيامة كالطوق يطوقون به أعناقهم عذاباً ونكلاً. وقد ورد في حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا جعل يوم القيامة شجاعاً أقرع..." فأشار إلى نفس المعنى، أن البخل يتحول عذاباً على صاحبه يوم القيامة.

وقد ذكر المفسرون أن الآية تبين أن الله هو مالك السماوات والأرض وميراثها، فما يمسكه البخيل هو لله، وسيرته الله من عباده. فالدنيا زائلة، والمال إلى الله، والبخيل هو الخاسر الحقيقي.

**ثانياً - قوله تعالى:**

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ النساء: 37.

هذه الآية تصف "عبد المال" في أسوأ صورته: فهو لا يبخل وحده، بل يأمر الآخرين بالبخل! ويضاف إلى ذلك أنه يكتُم فضل الله ونعمه عن الناس، وهذا من كفر النعمة. وقد توعد الله هؤلاء بعذاب مهين.

**ثالثاً - قوله تعالى:**

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ ﴾ [الإسراء: 83].

وهذا يبين أن الإنسان إذا أوتي مالاً أعرض عن ربه وتكبر وابتعد، وهذه حال "عبد المال" في حالة الجمع.

**ثالثاً: آيات عن جم المال ونعمته واختباره**

المال نعمة، ولكنه اختبار وابتلاء. وقد وردت آيات كثيرة تذكر هذه الناحية:

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ التغابن: 15

هذه الآية تضع القاعدة الذهبية في التعامل مع المال والولد: أنهما فتنة واختبار وابتلاء. و"الفتنة" هنا: هي المحنة والاختبار والامتحان، والنجاح فيها هو استخدام هذه النعم في طاعة الله، والهلاك هو استخدامها في معصيته.

كما ورد في سورة الكهف: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: 45]. وهذا مثال على سرعة زوال الدنيا وزخرفها، فليس المال إلا زينة وشيء يذهب.

وأيضاً في سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8]. فالله يصف الإنسان بأنه شديد الحب للمال (الخير هنا بمعنى المال)، وحب شديد قد يخرج به عن طاعة الله.

#### رابعاً: نماذج من أقوال المفسرين في هذه الآيات

قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير آية الكنز: قال: "كل مال تؤدي زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفوناً، وكل مال لا تؤدي زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً."

قول الطبري في تفسير آية آل عمران (الذين يبخلون) قال: "إن الله يبشرهم بسوء العذاب، فالجزاء من جنس العمل، فيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة عذاباً على أعناقهم."

قال النحاس في تفسير البخل: أن الإنسان إذا منع ما فضل عن حاجته، فهو من البخل المذموم الذي توعده الله عليه بالعذاب.

ومعنى "البخل" عند السلف: هو منع المال الذي فضل عن حاجتك، ولكن حرص من يسمى "عبد المال" ليس مجرد منع الفضل، بل قد يشمل منع الأساسيات من حقوقه. وهذا أمر خطير.

خلاصة أقوال المفسرين في قوله تعالى "والذين يكنزون" أن هذه الآية عامة لكل من منع زكاة ماله أو حق الله فيه؛ فكل من جمع المال ومنع حق الله منه، فهو داخل في الوعيد.

#### خامساً: الدروس المستفادة من آيات جمع المال وكنزه

1. أن المال نعمة عظيمة يجب شكرها، وشكرها يكون بطاعة الله وإنفاقه في ما يرضيه. فمن جعل المال في يده لا في قلبه فهو المؤمن الصادق.
2. أن كنز المال ومنع الزكاة من أكبر الكبائر، وقد توعده الله عليه بالعذاب الأليم يوم القيامة.
3. أن البخل والحرص من صفات "عبد المال" اللتين تفسد عليه دينه ودنياه.
4. أن المال إذا لم يُنفق في سبيل الله فهو خاسر على صاحبه، حتى ولو كثر فأنى له بالخلود.
5. أن سؤال الله عن النعيم يشمل أنواع النعم كلها، وأول ما يسأل عنه المال؛ من أين اكتسبته وفيه أنفقته.
6. إن التكاثر في الأموال والأولاد يصد الإنسان عن طاعة الله، ويكون سبب تعاسته في الدنيا والآخرة.

#### خاتمة الفصل: تأكيد وتثبيت

إن الآيات التي تناولناها في هذا الفصل تمثل عينة من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى إصلاح علاقة الإنسان بالمال، وتحذره من الوقوع في براثن الشيطان من خلال حب المال. وقد رأينا أن القرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وأشار إليها، ويّين للمؤمنين الصراط المستقيم في التعامل مع المال.

فالخلاصة أن المال نعمة إن شكرت وأحسن استعمالها، ونقمة إن كفرت وأسيء استعمالها. فالواجب على المؤمن أن يأخذ من الدنيا بقدر ما يبلغه الآخرة، وألا يغتر بزخرفها فيترك عبادته خالقها. ولتكن نصب عيني كل إنسان هذه الآيات التي تحرض على استعمال المال في طاعة الله وخير عبادته، وتحذر من كثره ورده عن موارده المشروعة.

نسأل الله أن يرزقنا المال الحلال، وأن يعيننا على شكره وحسن عبادته، وأن يعيذنا من فتنة المال وفتنة الدنيا، وأن يجعلنا من الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قوامًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

### خاتمة الباب الثالث

بهذا نكون قد استكملنا الباب الثالث من كتابنا. عرجنا في فصوله الأربعة على نماذج من الآيات والسور التي تتناول شخصية "عبد المال" من زوايا متعددة. بدأنا في الفصل الأول بسورة الهمزة التي رسمت ملامح هذه الشخصية وصولاً إلى مصيرها في نار جهنم. ثم انتقلنا في الفصل الثاني إلى قصة قارون لنرى تحول الإنسان من عابد إلى "عبد مال" وكيف كانت عاقبته الخسف في الأرض. ثم في الفصل الثالث وقفنا عند سورة التكاثر التي تحدثت عن التلهي بالتكاثر في الأموال والأولاد حتى الموت. وأخيرًا في الفصل الرابع تناولنا آيات أخرى متنوعة تؤكد على خطورة جمع المال وكثره ومنع حق الله فيه.

إن هذه الآيات والسور تقدم لنا - مجتمعة - صورة كاملة وشاملة لحقيقة "عبد المال": فهو الذي تعلق قلبه بالدنيا حتى ألهته عن ذكر ربه، وجمع المال وكثره ومنع الحقوق الواجبة فيه، واغتر به فظن أنه سيخلده، وكانت عاقبته الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من هذه الحال.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## الباب الرابع

# "عبدالمال" في السنة النبوية

### تمهيد الباب

بعد أن استعرضنا في الباب الثالث صورة "عبد المال" كما رسمها القرآن الكريم في سورة الهمزة، وقصة قارون، وسورة التكاثر، وآيات الكنز والجمع، ننتقل في هذا الباب إلى المصدر الثاني من مصادر التشريع: السنة النبوية، ذلك البحر الزاخر بالأحاديث التي تحذر من فتنة المال وتصف "عبيد المال" وتدعو عليهم.

لقد كان النبي ﷺ أحرص الناس على هداية أمته، وأشدهم شفقة عليها، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها، ولم يغفل عن تحذير أمته من أعظم فتنة تواجهها في دينها ودنياها. وقد كثرت الأحاديث النبوية في هذا الباب تنوعًا وتكرارًا، مما يدل على عظم الخطر، وشدة الحاجة إلى التنبيه والتذكير.

وفي هذا الباب، سنتناول السنة النبوية من أربع زوايا:

- **الفصل الأول:** شرح حديث "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم" – وهو الحديث الأم في هذا الباب، الذي يلخص شخصية "عبد المال" في جمل وجيزة.
- **الفصل الثاني:** فتنة المال – أحاديث التحذير والندارة، لنقف على حجم الخطر الذي حذر منه النبي ﷺ.
- **الفصل الثالث:** صفات عبيد المال من خلال السنة، لنستكمل الصورة التي بدأناها في الباب الثاني.
- **الفصل الرابع:** الدعاء على "عبد المال" – بين الدعاء عليهم والتبرؤ من حالهم.

وسنعمد في هذا الباب على المنهجية نفسها التي اتبعناها في الأبواب السابقة: تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية (البخاري، مسلم، الترمذي، وغيرها)، والرجوع إلى شروح الحديث المعتمدة (فتح الباري، شرح النووي، عمدة القاري، وغيرها)، مع الاستشهاد بأقوال العلماء المحققين.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يعيذنا من فتنة المال كما أعاذ منها أنبياءه وعباده الصالحين.

## الفصل الأول

## شرح حديث "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم"

## تمهيد: الحديث الأم في الباب

إذا أردنا أن نقف على أوضح صورة رسمها النبي ﷺ لشخصية "عبد المال"، فإننا نقف عند حديث عظيم، رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه:

"تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ "

وفي رواية أخرى عند البخاري: "تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعَسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ "

وهذا الحديث هو العمدة في هذا الباب، فقد جمع النبي ﷺ فيه خصائص "عبد المال" بأوجز عبارة وأبلغها، وجعله نموذجاً يُحتذى في التحذير من عبودية المال. وفي هذا الفصل، سنقوم بشرح هذا الحديث شرحاً وافياً، متبعين ألفاظه ومعانيه، مستعينين بشروح العلماء.

## أولاً: تخريج الحديث ودرجة صحته

الراوي: أبو هريرة رضي الله عنه، أحد أكثر الصحابة رواية للحديث.

## المخرجون:

• رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَّ مَنَّعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ وغير ذلك.

• رواه ابن ماجة في سننه.

• رواه أبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث.

درجة الحديث: صحيح باتفاق المحدثين.

## ثانياً: شرح الألفاظ

## أولاً: "تَعَسَ"

"تعس" فعل ماضٍ من التَّعَسَى، وهو السقوط على الوجه أو العثار. قال العلماء في معناه:

• قال الشيخ محمد المنجد: "تعسَ معناها: هلك، دعاءٌ عليه بالخيبة، والهلاك ضد السعادة، شقي وهلك وانكب على وجهه."

• وقال غيره: "تعس يعني خاب."

• وجاء في شرح الموسوعة الحديثية: "تعس: عَثُرَ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ."

فهي كلمة وعيد ودعاء بالخيبة والهلاك، تدل على غضب الله على صاحب هذه الصفة، وسوء عاقبته.

**ثانياً: "عَبْدُ الدِّينَارِ" و"عَبْدُ الدَّرْهِمِ"**

الدينار: هو النقد من الذهب، والدينار الإسلامي زنته مثقال. والدرهم: هو النقد من الفضة.

وإضافة "العبد" إلى الدينار والدرهم هي من باب المجاز، كما بينا في الفصل الأول من الباب الثاني. قال الشيخ خالد السبت: "الذي يتعلق قلبه بالمال سواء كان ديناراً أو ريالاً أو دولاراً أو غير ذلك، بحيث إنه يكون مسخراً لهذا المال يتفانى في جمعه من غير نظر في طرق تحصيله هل هو من الحلال أو من الحرام." وقال أيضاً: "هو وإن لم يصل للدينار ويسجد، لكنه في الواقع قد عبّد قلبه ونفسه وجوارحه لهذا الدينار."

**ثالثاً: "الْخَمِيصَةَ" و"الْخَمِيْلَةَ"**

الخميصة: كساء أسود مربع. والقטיפيفة: الثوب الذي قد أُخْمِلَ. والخمييلة: نوع من الثياب الفاخرة.

وقد أشار العلماء إلى أن ذكر هذه الأصناف ليس حصراً للمذموم، بل هو تمثيل لكل ما يتعلق به الناس من حطام الدنيا. قال الشيخ خالد السبت نقلاً عن القرطبي: "من الناس من ترتبط همته وترتفع بثوب يلبسه أو بمركب يركبه." فالمرأة - مثلاً - حينما تستعبد لها الأزياء، ويتعلق قلبها بها، وتبقى.

**رابعاً: "إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ"**

هذه هي العلامة الفارقة لـ"عبد المال": أن رضاه وسخطه مرتبطان بالعطاء المادي، لا برضا الله ورسوله. قال الشيخ خالد السبت: "فمن كانت هذه حالته سيكون مصيره الهلاك والخسران، وعلامة هذا الصنف من الناس حرصه الشديد على الدنيا، فإن أُعْطِيَ منها رَضِيَ، وإن لَمْ يُعْطَ منها سَخِطَ."

**خامساً: "تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ"**

انتكس: أي سقط على رأسه، والمراد أنه يتعثر لأجل المال حتى يخسر الدنيا والآخرة. شيك: أي أصابته شوكة. انتقش: أي أخرجها. والمعنى: أنه لا يفلح، ولا يخرج مما وقع فيه. قال النبي ﷺ: "تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ"، أي أنه إذا دخل في مكروه أو بلاء بسبب حبه للمال، لا يستطيع الخروج منه.

**ثالثاً: شرح المعنى الإجمالي**

الحديث يحمل معنى عميقاً: أن من الناس من تكون الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، وهدفه الأول والأخير. وهذا الصنف من الناس تكون علاقته بالمال علاقة عبودية، لا علاقة تسخير. فالدنيا عنده ليست وسيلة، بل غاية.

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً آخر في نفس الحديث لبيان النقيض، فقال: "طُوبَى لِعَبْدٍ أَخَذَ بَعِنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ الرَّأْسَ، مُغْبِرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ."

فالمجاهد في سبيل الله - الذي لا يهيمه مظهره، ولا يطلب جاهًا ولا شهرة، ولا يبالي بمكانته عند الناس - هو النقيض التام لـ "عبد المال". هذا يعيش لله، وذاك يعيش للمال. وهذا هو الفرق الجوهرى.

### رابعًا: ما يستفاد من الحديث

1. ذم التعلق بالدنيا: الحديث يدعو إلى الزهد في الدنيا، وعدم جعلها أكبر هم الإنسان.
2. ذم الحرص على المال: من كانت هذه حالته، كان مصيره الهلاك والخسران.
3. التحذير من جعل الرضا والسخط مرتبًا بالعطاء المادي: فهذا من علامات ضعف الإيمان.
4. جواز الدعاء على أهل المعاصي على سبيل العموم: فقد دعا النبي ﷺ على "عبد الدينار" بالتعس.
5. مدح التواضع وعدم الاهتمام بالمظهر: وهو ما جاء في وصف المجاهد.
6. أن المال لا يضر صاحبه ما دام في يده، وإنما يضره إذا استقر في قلبه: وهذا ما بينه العلماء في شرح هذا الحديث.

### خاتمة الفصل: الحديث عنوان الباب

بهذا الحديث العظيم يكون النبي ﷺ قد وضع لنا عنوانًا لهذا الباب، وعلامة فارقة لشخصية "عبد المال". فمن كانت الدنيا أكبر همه، ورضاه وسخطه مرتبطان بالمال، وتعلق قلبه بالدرهم والدينار حتى صار أسيرًا لهما - فهذا هو "عبد المال" الذي تعس وهلك في الدنيا والآخرة.

نسأل الله أن لا يجعلنا من عبید المال، وأن يرزقنا حب الآخرة والزهد في الدنيا.

## الفصل الثاني

### فتنة المال - أحاديث التحذير والندارة

#### تمهيد: فتنة أمي المال

إذا كان حديث "تعس عبد الدينار" قد رسم لنا صورة "عبد المال"، فإن هناك أحاديث أخرى تتناول الظاهرة من زاوية أخرى: التحذير من فتنة المال، وبيان أنها من أعظم الفتن التي تبتلى بها هذه الأمة.

وقد كثرت الأحاديث في هذا الباب، وكلها تصب في نفس المعنى: أن المال إذا أسىء استخدامه وتحول إلى غاية وليس وسيلة، فإنه يصير فتنة تزلزل الإيمان وتفسد الدين. وفي هذا الفصل، سنستعرض أبرز هذه الأحاديث، مع تخريجها وشرحها.

#### أولاً: حديث "إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمي المال"

عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"

## تخريج الحديث:

- رواه الترمذي (2336) وقال: "حديث حسن صحيح غريب."
- رواه أحمد. (17471)
- رواه ابن حبان (3223) وصححه.
- رواه الحاكم (1/318) وصححه.

## شرح الحديث:

"الفتنة" هنا بمعنى الابتلاء والاختبار والمحنة التي تزلزل الإيمان. وقد جعل النبي ﷺ فتنة هذه الأمة هي المال، وهذا يدل على عظم الخطر. قال العلماء: "وفي الحديث: التحذير من فتنة المال التي تشغل عن طاعة الله وتلهي عن المعروف، ولا يُعمل فيه بما أراد الله." وهذا الحديث يوضح أن فتنة المال ليست أمرًا عارضًا، بل هي الفتنة الخاصة بهذه الأمة، كما أن لكل أمة فتنة تخصها. فهي خطر دائم ومستمر.

## ثانيًا: حديث "الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم"

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا إِنَّ الدِّينَارَ وَالدَّرْهَمَ أَهْلَكَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ"

## تخريج الحديث:

- رواه ابن حبان. (694)
- رواه الطبراني في المعجم الأوسط.
- صححه الألباني وغيره.

## شرح الحديث:

هذا الحديث يحمل تحذيرًا شديدًا: إن حب المال كان سبب هلاك الأمم السابقة، وسيكون سبب هلاك هذه الأمة أيضًا إن لم تنتبه. والهلاك هنا ليس بالضرورة هلاكًا ماديًا، بل هلاك في الدين والآخرة. قال الشيخ عبد الرزاق البدر في شرحه: "الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم" أي أضلاهم وأبعدوهم عن الله، وأوقعوهم في المعاصي والآثام.

## ثالثًا: حديث "ما ذئبان جائعان أرسلنا في غنم"

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا ذَيْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرْفِ لِدِينِهِ"

## تخريج الحديث:

- رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
- رواه الطبراني.

## شرح الحديث:

هذا مثل عظيم ضربه النبي ﷺ لبيان فساد دين المرء بسبب حرصه على المال والشرف. فالذئبان الجائعان إذا أرسلوا في غنم، يفسدونها ويهلكانها. ولكن حرص الإنسان على المال والشرف أشد إفساداً لدينه من هذين الذئبين للغنم.

ووجه الشبه: أن الذئبين يفسدان الغنم بإتلافها، وحرص المال والشرف يفسد دين الإنسان بإتلاف إيمانه وتقواه. والذئبان لا يتركان الغنم إلا وقد أفسداها، وكذلك الحرص على المال لا يترك دين الإنسان إلا وقد أفسده.

القول الآخر: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ جَائِعَانِ بَاتَا فِي زُرْبِيَّةٍ غَنَمٍ أَغْفَلَهَا أَهْلُهَا بِأَسْرَعٍ فَسَادًا فِيهَا مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ . " وفي هذا أبلغ في التحذير.

رابعاً: حديث "إن هذا المال خضرة حلوة"

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: " يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ "

## تخريج الحديث:

- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.
- وهو حديث متفق عليه.

## شرح الحديث:

شبه النبي ﷺ المال بالثمرة الخضراء الحلوة التي تشتهيها النفوس وتميل إليها. ولكن هذا المال المشتته له حالتان:

1. من أخذه بسخاوة نفس: أي بغير حرص ولا طمع ولا استشراف نفس، بورك له فيه، وكان عوناً له على الخير.
2. من أخذه بإشراف نفس: أي بطمع وحرص شديد، لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، أي لا يكفي أبداً.

وهذا الحديث يبين أن المال في ذاته ليس مذموماً، ولكن طريقة الحصول عليه والنية في ذلك هي التي تحدد بركته من عدمها.

**خامساً: حديث "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً"**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"

تخريج الحديث:

- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

شرح الحديث:

هذا الحديث يصور حقيقة النفس البشرية في حب المال: كلما ازدادت ثروة الإنسان ازداد شغفه بالمزيد، فهي شهوة لا تكتفي ولا تنتهي. "ولو كان له واديان من مال لابتغى ثالثاً" أي لو امتلأت يداه بالمال، لطلب المزيد. "ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب" أي أن الموت فقط هو الذي يقطع هذه الرحلة التي لا تنتهي. وهذا الحديث يبين أن "عبد المال" يعيش في حالة من الجوع الدائم للمال، لا يشبع أبداً، وهذا من أشد صور العبودية للمال.

**سادساً: حديث "من كانت الدنيا أكبر همه"**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ"

تخريج الحديث:

- رواه الترمذي وابن ماجه.
- وصححه الألباني وغيره.

شرح الحديث:

هذا الحديث يضع المقابلة بين من جعل الآخرة همه، ومن جعل الدنيا همه:

- من جعل الآخرة همه: يجعل الله غناه في قلبه (أي يجعله غنياً بالله، غير محتاج إلى الناس)، ويجمع له شمله (أي يلمّ شعثه ويوحد أمره)، وتأتيه الدنيا راغمة (أي ذليلة منقادة له).
- من جعل الدنيا همه: يجعل الله فقره بين عينيه (أي يشعر بالفقر الدائم)، ويفرق عليه شمله (أي يشتت أمره)، ولا يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له.

وهذا الحديث يوضح أن من جعل المال أكبر همه، فإنه يعيش في فقر نفسي دائم، حتى ولو كان غنياً مادياً. وهذا هو حال "عبد المال".

## سابعاً: أحاديث أخرى في التحذير

1. حديث "نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ : " رواه أحمد وصححه الألباني .يبين أن المال ليس مذموماً في ذاته، بل هو نعمة إذا كان صاحبه صالحاً.
2. حديث "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَالِهِ: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ : " رواه الترمذي .وهذا يدل على شدة السؤال عن المال يوم القيامة.
3. حديث "أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الْأَجْوَفَانَ: الْفَرْجُ وَالْفَمُ : " رواه الترمذي .والمراد بالفرج والفم ما يقع فيهما من المعاصي، وكثير منها متعلق بالمال (كالربا والرشوة والغش).

## خاتمة الفصل: التحذير المتكرر

لقد تكرر تحذير النبي ﷺ من فتنة المال في أحاديث متعددة، بألفاظ متنوعة، لتأكيد خطورة هذه الفتنة على دين المسلم. فالمال يمكن أن يكون نعمة عظيمة، ولكنه يمكن أن يكون فتنة مدمرة، بحسب كيفية التعامل معه. ومن أراد السلامة، فليجعل المال في يده لا في قلبه، وليجعل الآخرة أكبر همه، وليتذكر أن المال سيسأل عنه يوم القيامة.

## الفصل الثالث

## صفات عبید المال من خلال السنة

## تمهيد: من هم عبید المال؟

بعد أن استعرضنا في الفصلين السابقين الأحاديث التي تحذر من فتنة المال، وتلك التي ترسم صورة "عبد المال"، يحين الآن أن نجمع الصفات التي وصف بها النبي ﷺ "عبيد المال"، لنرى الصورة الكاملة لهذه الشخصية كما رسمها الوحي.

وقد وردت هذه الصفات في أحاديث متفرقة، بعضها في حديث "تعس عبد الدينار" نفسه، وبعضها في أحاديث أخرى. وسنقسم هذه الصفات إلى ثلاثة أقسام: الصفات القلبية، والصفات السلوكية، والصفات الاجتماعية، كما فعلنا في الباب الثاني عند حديثنا عن مواصفات "عبد المال".

## أولاً: الصفات القلبية (ما في القلب)

## 1. التعلق القلبي بالمال

وهو أصل جميع الصفات الأخرى. ف"عبد المال" هو الذي يتعلق قلبه بالمال تعلقاً يجعله أسيراً له. قال النبي ﷺ في وصفه: "تعس عبد الدينار" أي الذي تعلق قلبه بالدينار. وقد فسر العلماء ذلك بأنه "الذي يتعلق قلبه بالمال سواء كان ديناراً أو ريالاً أو دولاراً". وهذا التعلق القلبي هو العبودية المجازية التي تحدثنا عنها في الباب الثاني.

**2. ارتباط الرضا والسخط بالعطاء المادي**

وهذه من أبرز صفات "عبد المال" القلبية: "إِنَّ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". "فرضاه عن الله وعن الناس مرتبط بالعطاء المادي، لا برضا الله ورسوله. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "وهذا حال من عبد المال، إن أعطي رضي وإن منع سخط."

**3. الحرص الشديد الذي لا يشبع**

وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا". "فهذا الحرص لا يشبع أبدًا، بل كلما ازداد المال ازداد الطمع."

**4. جعل الدنيا أكبر همّه**

وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ". "ف"عبد المال" تجده دائم التفكير في المال، وكيفية جمعه، وكيفية حفظه، فهو لا يكاد يفكر في غير المال."

**5. حب المال والشرف**

وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: "حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرْفِ". "ف"عبد المال" لا يكتفي بحب المال، بل يحب الشرف والجاه والمنصب أيضًا."

**ثانياً: الصفات السلوكية (ما في العمل)****1. عدم التمييز بين الحلال والحرام في الكسب**

وهو ما عبر عنه الشيخ خالد السبت في شرحه للحديث: "يتفانى في جمعه من غير نظر في طرق تحصيله هل هو من الحلال أو من الحرام". "وهذا يتفق مع قول النبي ﷺ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ" (رواه البخاري).

**2. منع حقوق الله الواجبة في المال**

وهو ما عبر عنه الشيخ خالد السبت: "ثم بعد ذلك لا يؤدي حقوق الله -تبارك وتعالى- بهذا المال، فيمنع الزكاة الواجبة والنفقات الواجبة فضلاً عن النفقات المستحبة."

**3. قطع الأرحام والإضرار بالآخرين من أجل المال**

وهو ما عبر عنه الشيخ خالد السبت: "يقطع الأرحام ويقطع ما أمر الله بصلته ويقارف كل ما لا يليق من أجل تحصيل هذا المال."

**4. الغفلة عن ذكر الله في الصلاة**

وهو ما عبر عنه الشيخ خالد السبت: "المسجد لا يعرفه، وإن صلى فقلبه مشغول، يصلي وهو يحسب الحسابات ويخطط للصفقات."

**5. الخوف الدائم على المال**

وهو ما عبر عنه الشيخ خالد السبت: "يخاف عليه البوائق، ويخاف عليه التحول من يده إلى يد غيره." وقد يصل الأمر إلى درجة أنه لا يستطيع أن يدفع نقدًا لأحد، بل يتعامل بالبطاقات أو الشيكات خوفًا من فراق النقود.

**ثالثًا: الصفات الاجتماعية (ما في العلاقات)****1. هجر الأهل والأقارب**

قال الشيخ خالد السبت: "أهله لا يعرفونه، جيرانه لا يعرفونه، قراباته لا يعرفونه." "ف"عبد المال" يكون منشغلًا بماله عن أهله وجيرانه وأقاربه، فلا يعرفون عنه إلا القليل.

**2. التعلق بالملابس الفاخرة والمظهر**

وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بذكر "الخميصة" و"القطيفة" في الحديث. فقد يكون "عبد المال" من الذين ترتبط هممتهم بثوب يلبسونه أو بمركب يركبونه.

**3. التكبر على الناس**

وهو ما عبر عنه النبي ﷺ في وصف "عبد المال" بأنه "إن أعطي رضي، وإن لم يُعط سخط." فعدم الرضا عند الحرمان من المال قد يصل إلى التكبر والاستعلاء على الناس.

**رابعًا: صفات إضافية من أحاديث أخرى****1. حب المال ينبت النفاق في القلب**

ورد في بعض الآثار: "حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل." أي أن حب المال المفرط يفسد القلب ويجعله ينحرف عن الصراط المستقيم.

**2. المال يلهي عن ذكر الله**

وهو ما أشار إليه النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، منها قوله: "إن هذا المال خضرة حلوة"، فشبهه بالفاكهة التي تشتتها النفوس وتلهيها عن غيرها.

**خاتمة الفصل: صورة كاملة لـ"عبد المال"**

من خلال هذه الصفات التي جمعناها من السنة النبوية، نرى صورة كاملة لـ"عبد المال": هو ذلك الإنسان الذي تعلق قلبه بالمال حتى صار أسيرًا له، فرضاه وسخطه مرتبطان به، وهو لا يشبع من جمعه أبدًا، ولا يبالي بحلال ولا حرام في سبيل تحصيله، يمنع حقوق الله فيه، ويقطع الأرحام من أجله، وينشغل به عن ذكر الله في صلواته، ويعيش في خوف دائم على ماله، ويتعلق بالمظهر الفاخر، ويتكبر على الناس.

هذه الصورة – المستخلصة من السنة النبوية – تتطابق تمامًا مع ما استخلصناه من القرآن الكريم في الباب السابق، وتؤكد أن "عبد المال" شخصية واحدة، وإن تنوعت مظاهرها في العصور والأزمان.

## الفصل الرابع

### الدعاء على "عبد المال" – بين الدعاء عليهم والتبرؤ من حالهم

#### تمهيد: الدعاء على أهل المعاصي

من المظاهر اللافتة في السنة النبوية أن النبي ﷺ لم يكتفِ بتحذير "عبيد المال" ووصفهم، بل دعا عليهم صراحة، فقال: "تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ". وهذا الدعاء ليس دعاءً عابراً، بل هو وعيد شديد، وبيان لمصيرهم المحتوم إن لم يتوبوا.

وفي هذا الفصل، سنتناول هذا الجانب: الدعاء على "عبد المال" في السنة النبوية، وبيان معناه، وحكمه، وما يستفاد منه.

#### أولاً: نص الدعاء في الحديث

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ"

وهذا الدعاء تكرر فيه لفظ "تعس" أربع مرات، مما يدل على شدة الوعيد والغضب الإلهي على هذه الصفة.

#### ثانياً: معنى الدعاء ودلالته

"تعس" كما بينا سابقاً: دعاء بالخيبة والهلاك والسقوط على الوجه. وهو من الدعاء على أهل المعاصي، وليس دعاءً بالكفر أو الخروج من الملة.

وقد فسر العلماء هذا الدعاء بأنه ليس دعاءً على شخص معين بعينه، بل هو دعاء على الوصف والصفة، أي على من اتصف بهذه الصفات. وهذا من باب "الذم للوصف لا للشخص".

وقد قال النبي ﷺ في تنمة الحديث: "تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ". وهذا دعاء عليه بأن يظل يتعثر ويقع في المهالك، ولا يستطيع الخروج مما وقع فيه.

#### ثالثاً: هل يجوز الدعاء على "عبد المال"؟

السؤال الذي يطرح نفسه: هل يجوز للمسلم أن يدعو على "عبد المال" مثلما دعا النبي ﷺ؟

الجواب: الدعاء على شخص معين بعينه لا يجوز، إلا إذا كان ظالماً معيناً، فيجوز الدعاء عليه بالعدل. أما الدعاء على الوصف والصفة – أي على من اتصف بهذه الصفات – فهذا جائز، بل هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد قال العلماء: "جواز الدعاء على أهل المعاصي على سبيل العموم . "أي أن يدعو الإنسان: "اللهم أهلك عبيد المال، واهددهم، أو أذقهم سوء عاقبتهم" - وهذا جائز.

#### رابعاً: بين الدعاء عليهم والتبرؤ من حالهم

المطلوب من المسلم تجاه "عبيد المال" هو أمران:

#### الأمر الأول: الدعاء عليهم بالهداية والتوبة

فالمسلم يدعو لهم بالتوبة والرجوع إلى الله، كما يدعو على صفتهم بالزوال والاندثار. وهذا من باب الرحمة بهم، لا من باب الانتقام منهم.

#### الأمر الثاني: التبرؤ من حالهم وصفاتهم

وهذا يعني أن المسلم يتبرأ من صفات "عبد المال" في نفسه، فلا يتصف بها، ويكرهها في قلبه، ويحاربها في نفسه وفي مجتمعه. وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ..." (رواه مسلم). فالتغيير يبدأ من النفس، ثم باللسان، ثم باليد.

#### خامساً: العبرة من الدعاء النبوي

1. شدة تحذير النبي ﷺ من هذه الصفة: تكرر الدعاء عليهم يدل على عظم خطر هذه الصفة على دين المسلم.
2. أن المال قد يكون سبباً في هلاك صاحبه: كما دعا النبي ﷺ على "عبد الدينار" بالتعس، فالمال إذا لم يُستخدم في طاعة الله، كان سبباً في الخسران.
3. أن الدعاء على أهل المعاصي جائز، بل قد يكون مطلوباً في بعض الحالات، للردع والزجر.
4. أن "عبد المال" يعيش في شقاء في الدنيا والآخرة: فالتعس والانتكاس وعدم الانتقاش كلها تدل على شقائه في الدنيا، وفي الآخرة له عذاب أليم.

#### خاتمة الفصل: موقفنا من "عبيد المال"

إن موقف المسلم من "عبيد المال" يجب أن يكون موقفاً متوازناً:

- لا نكرههم كأشخاص، بل نكره صفاتهم وأفعالهم.
- ندعو لهم بالهداية والتوبة، كما ندعو على صفتهم بالزوال.
- نحذر أنفسنا من الاتصاف بصفاتهم، ونتبرأ من حالهم.
- نحارب الظاهرة في المجتمع، بالوعظ والتوجيه والإصلاح.

وهذا هو المنهج النبوي في التعامل مع "عبيد المال": التحذير، والدعاء، والتبرؤ، مع رحمة القلب بهم، ورجاء توبتهم.

### خاتمة الباب الرابع

بهذا نكون قد استكملنا الباب الرابع من كتابنا، حيث استعرضنا في فصوله الأربعة صورة "عبد المال" في السنة النبوية. بدأنا في الفصل الأول بشرح حديث "تعس عبد الدينار" - الحديث الأم في هذا الباب - وبيننا ألفاظه ومعانيه وما يستفاد منه. ثم انتقلنا في الفصل الثاني إلى أحاديث التحذير من فتنة المال، فرأينا كيف حذر النبي ﷺ أمته من هذه الفتنة العظيمة. وفي الفصل الثالث جمعنا صفات "عبيد المال" من خلال السنة، فرسمنا صورة كاملة لهذه الشخصية. وختمنا في الفصل الرابع بالحديث عن الدعاء على "عبد المال" بين الدعاء عليهم والتبرؤ من حالهم.

وقد تبين لنا من خلال هذا الباب أن السنة النبوية زاخرة بالتحذير من فتنة المال، وأن "عبد المال" شخصية مذمومة في الإسلام، ذات صفات قلبية وسلوكية واجتماعية سيئة، وأن مصيرها الخيبة والهلاك في الدنيا والآخرة، كما دعا عليها النبي ﷺ.

نسأل الله أن لا يجعلنا من عبيد المال، وأن يرزقنا حب الآخرة والزهد في الدنيا، وأن يجعل المال في أيدينا لا في قلوبنا، وأن يعيننا على شكره وحسن عبادته.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## الباب الخامس

# نماذج تاريخية لـ "عبدالمال"

### تمهيد الباب

بعد أن استعرضنا في البابين السابقين صورة "عبد المال" كما رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية، ننتقل في هذا الباب إلى التاريخ، لنرى كيف تجسدت هذه الشخصية في واقع البشر عبر العصور. فليس "عبد المال" مجرد مفهوم نظري، بل هو نموذج بشري تكرر في كل زمان ومكان، وإن اختلفت المظاهر وتنوعت الصور.

والتاريخ – كما قالوا – مرآة العبر، وفيه من العظات ما يكفي لمن اعتبر. ولذلك اخترنا في هذا الباب ثلاثة نماذج تاريخية تمثل مراحل مختلفة من "عبودية المال":

- **الفصل الأول: نعود إلى قارون** – ذلك النموذج القرآني الفريد – ولكن من زاوية مختلفة: ليس كقصة قرآنية كما في الباب الثالث، بل كنموذج تاريخي حي نستخلص منه الدروس في سياقه التاريخي الواقعي.
- **الفصل الثاني: ننتقل إلى شعراء الجاهلية** الذين جعلوا المال غاية شعرهم، فباعوا كلماتهم ومواهبهم في سوق المال، وصاروا من أبرز "عبيد المال" في تاريخ الأدب العربي.
- **الفصل الثالث: نقف عند قصة عجيبة** من تراثنا الإسلامي، يرويها الإمام ابن الجوزي في كتابه "صيد الخاطر"، عن تاجر بخيل قتله بخله، لتكون عبرة لكل من يستعبد المال ويبخل به حتى على نفسه.

وسنعمد في هذا الباب على المنهجية نفسها التي اتبعناها في الأبواب السابقة: الاستناد إلى المصادر التاريخية والأدبية الموثوقة، والرجوع إلى كتب التراث، مع تقديم التحليل والاستنباط، لنخرج بدروس وعبر تنير الطريق أمام من يريد السلامة من عبودية المال.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يتعظون بمن سبقهم، ويعتبرون بمن مضى قبلهم.

## الفصل الأول

### قارون – أستاذ عبّاد المال

تمهيد: لمحة تاريخية عن قارون

إذا أردنا أن نبحث عن أستاذ "عباد المال" في التاريخ، فإننا لا نجد نموذجًا أبلغ ولا أشهر من قارون. فهو – كما وصفه الباحثون – "أستاذ عبّاد المال" بامتياز، ذلك الرجل الذي جمع بين الثراء الفاحش والطغيان المفرط والشح البغيض. وقصته ليست عن المال فقط، بل عن البغي حين يفسد القلب.

وقد ورد اسم قارون في القرآن الكريم أربع مرات، وجاءت قصته بتفصيل في سورة القصص، مما يدل على عظم العبرة فيها، وأنها ليست مجرد قصة عابرة، بل درس خالد لكل من أوتي مالاً فاغتر به.

وفي هذا الفصل، سنتناول قصة قارون من منظور تاريخي، مستعرضين سيرته وتحولاته، ومستخلصين الدروس والعبر التي تجعله بحق "أستاذ عبّاد المال".

**أولاً: نسب قارون – من أين جاء؟**

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ القصص: 76

يبدأ القرآن تعريف قارون بهذه الآية الموجزة: إنه كان من قوم موسى، أي من بني إسرائيل. وقد اختلف المفسرون في صلة القرابة بينه وبين موسى عليه السلام على أقوال متعددة:

- **القول الأول (الراجح عند أكثر العلماء)**: أنه ابن عم موسى عليه السلام. قال النخعي وقتادة وغيرهما: "كان ابن عم موسى لحا؛ وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهث." فقد كان قارون من أقرب الناس إلى موسى عليه السلام.
- **القول الثاني**: أنه عم موسى لأبيه وأمه. قال به ابن إسحاق.
- **القول الثالث**: أنه ابن خالة موسى.

وليس الخلاف في هذه المسألة كبيراً، فالمقصود أن قارون كان من بني إسرائيل، ومن أقرب المقربين إلى موسى عليه السلام. وكان في بداية أمره مؤمناً، بل كان من أقرأ بني إسرائيل للتوراة بعد موسى وهارون عليهما السلام. وهذا يجعل تحوله إلى "عبد المال" أكثر إيلاّماً وأعظم عبرة.

**ثانياً: نعمة المال – كنوز تفوق الوصف**

بعد أن بين الله أن قارون كان من قوم موسى، انتقل إلى ذكر النعمة العظيمة التي أوتيتها:

﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ القصص: 76

لقد أوتي قارون من المال والكنوز ما لم يؤته أحد في زمانه. و"مفاته" - أي مفاتيح خزائنه - كانت ثقيلة لدرجة أن الجماعة القوية من الرجال كانت تعجز عن حملها. قال الأعمش عن خيثمة: "كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حملت على ستين بغلاً أغر محجلاً". أي أن مجرد مفاتيح خزائنه كانت تحتاج إلى ستين بغلاً لحملها، فما بالك بالخزائن نفسها؟! وهذه النعمة العظيمة كانت يمكن أن تكون سبباً في سعادته في الدنيا والآخرة لو شكرها واستعملها في طاعة الله. ولكنها صارت - لسوء اختياره - سبب هلاكه.

### ثالثاً: البغي - نقطة التحول

ثم تأتي الآية بالخبر المحوري: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: 76]. وقد اختلف المفسرون في مظاهر هذا البغي، وكلها تصب في صورة "عبد المال" الذي نعرفه:

1. الزيادة في طول الثوب - قال شهر بن حوشب: "بغيه أنه زاد في طول ثوبه شبراً ترفعاً على قومه". وهذا الفعل يدل على الكبر والخيلاء.
2. الاستخفاف بالناس - قال قتادة: "بغيه استخفافه بهم بكثرة ماله وولده".
3. الشرك والكفر - قال الضحاك: "بغيه كفره بالله عز وجل".
4. الظلم والاستغلال - قيل: كان قارون عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فكان يظلمهم.
5. الحسد لموسى وهارون - يروى أن قارون لما رأى النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون، وجد في نفسه وحسدهما.
6. نسبة النعمة إلى نفسه - قال ابن بحر: "بغيه نسبه ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته". وهذه المظاهر كلها هي صور "عبد المال" الذي نصبه المال فجعله متكبراً ظالماً حاسداً جاحداً.

### رابعاً: النصيحة والرد - الغرور في أوجه

عندما نصحه قومه - وكان فيهم علماءهم وصلحاءهم - بثلاث وصايا خالدة:

﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا \* وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: 76-77]

فكان رد قارون قمة الغرور والجهود:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 78]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "أي: أنا لا أفترق إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمحبته لي". وهذا هو الغرور بعينه: ظنه أن عطاء الله له هو لتكريمه، لا لابتلائه واختباره.



1. البداية المشرقة لا تعصم من النهاية المظلمة: كان قارون من قوم موسى، ومن أقاربه، وكان عالماً بالتوراة، ثم تحول إلى "عبد المال" بعد أن استغنى وطمع. وهذا يعني أن أي إنسان عرضة لهذه الفتنة.
2. المال لا يعكس مكانة العبد عند الله: قارون كان أكثر الناس مالاً في عصره، ولكن كانت عاقبته الخسف في الأرض. فالله يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب، ابتلاءً واختباراً.
3. التحول يبدأ بالغرور: الغرور هو أول خطوة في طريق "عبد المال": أن يظن الإنسان أن ماله جاء بفضل الله أو بعلمه أو بكرامته عند الله.
4. صفات "عبد المال" تنطبق على قارون بالكامل: جمع المال وتعيده، والبغي والكبر، ومنع الحقوق، والرد على الناصحين بالعناد، والخروج في الزينة، وظن أن ماله سيخلده.
5. المصير المحتوم: عاقبة قارون كانت خسف الأرض به وبداره، وفي الآخرة له عذاب أليم. فالدنيا قصيرة، والآخرة هي دار القرار.
6. العبرة لمن يعتبر: لم ينفع قارون نسبه ولا قوته ولا ماله، ولا منصبه عند فرعون، ولا مكانته عند بني إسرائيل. كل ذلك لم يدفع عنه عذاب الله لحظة واحدة.

### خاتمة الفصل: قارون – أستاذ عباد المال

لقد كان قارون بحق "أستاذ عبادة المال". فهو النموذج الأكمل والأبلغ لكل من استعبد المال وطمع به. قصته ليست مجرد قصة قديمة، بل هي تحذير لكل زمان ومكان، لكل من أوتي مالاً فاغتر به، وظن أنه سيخلده، وبغى على الناس بسبب ماله.

فليتذكر كل من يملك مالاً أنه ليس بأغنى من قارون، ولا بأقوى منه، ولا بأكثر منه كنوزاً. وإن كانت عاقبة قارون الخسف في الدنيا والعذاب في الآخرة، فكيف بمن دونه في المال والقوة؟! نسأل الله أن لا يجعلنا من الذين يغترون بالمال، وأن يعيذنا من البغي والطمغيان، وأن يجعلنا من الشاكرين الصابرين.

## الفصل الثاني

### نماذج من شعراء الجاهلية الذين ألتهم أموالهم

#### تمهيد: الشعر بين الكرامة والمتاجرة

كان الشعر في الجاهلية من أرفع المنازل وأعلى المقامات. فالشاعر كان لسان قومه، ومدافعاً عن أعراضهم، ومخلداً لمآثرهم. ولكن مع مرور الزمن، تحول الشعر عند بعضهم إلى وسيلة للتكسب وجمع المال، فأصبح الشعراء يتعاملون مع كلماتهم كما يتعامل التجار مع بضائعهم. وقد قال أحد الباحثين: "أصبح الشعر تجارة وأصبح الشعراء تجاراً يعرضون أنفسهم على من يزيد."

وفي هذا الفصل، سنستعرض نماذج من شعراء الجاهلية الذين جعلوا المال غاية شعرهم، فكانوا من "عبيد المال" الذين ألهمتهم أموالهم عن الكرامة وعن المروءة وعن غايات الشعر النبيلة.

### أولاً: النابغة الذبياني – أول من جعل الكلمة طريقاً إلى المال

النابغة الذبياني (زياد بن معاوية، توفي نحو 605م) هو من أبرز شعراء الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. وقد عُرف بقصائد المديح التي كان ينشدها في بلاط الملوك، وخاصة عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

وقد وصفه الباحثون بأنه "أول من جعل الكلمة طريقاً إلى المال". فقد كان يتنقل بين الملوك، يمدح من يعطيه المال، ويهجو من يبخل عليه. وقد بلغ من أمره أنه كان "يأكل ويشرب في صحاف الذهب والفضة" بسبب ما كان يناله من جوائز الملوك.

#### قصة النابغة مع النعمان بن المنذر:

يُروى أن النابغة مدح النعمان بن المنذر بقصيدة عظيمة، فأعطاه النعمان مالاً وفيراً. ولكن النابغة لم يكتفِ، فعاد يطلب المزيد، حتى ضاق به النعمان وأمر بطرده. وفي رواية أخرى، أن النابغة هجا النعمان عندما لم يعطه ما يريد، ثم اضطر للاعتذار والتوسل إليه.

#### تحليل شخصية النابغة كـ"عبد المال":

1. جعل المال غاية شعره: لم يعد الشعر عنده وسيلة للتعبير عن المروءة والشجاعة، بل أصبح وسيلة لجمع المال.
2. التنقل بين الممدوحين حسب العطاء: كان يمدح من يعطيه، ويهجو من يبخل عليه، وهذا من أخلاق "عبد المال".
3. فقدان الكرامة والمروءة: وصل به الأمر إلى أن يتوسل ويذل نفسه من أجل المال، وهذا من أشد صور عبودية المال.

### ثانياً: الحطيئة – شاعر الهجاء الذي جعل المال سلاحاً

الحطيئة (جرول بن أوس، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام (هو نموذج آخر لـ"عبد المال" من الشعراء. وقد عُرف بلسانه الحاد وهجائه القاسي.

وقد استعمل الحطيئة الهجاء وسيلة لجمع المال. فكان إذا نزل على قوم، فإن أكرمه مدحهم، وإن لم يعطوه شيئاً هجاهم. وقد قال عنه أحد الباحثين: "اشترؤا عرضكم وسمعتكم ولو ببعض المال".

#### قصة الحطيئة مع عمر بن الخطاب:

يُروى أن الحطيئة هجا بعض الناس، فرفعوا أمره إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فأمر عمر بحبسه، أو بقطع لسانه. فتوسل الحطيئة، وطلب العفو، فعفا عنه عمر بعد أن وعظه.

## تحليل شخصية الحطيئة ك"عبد المال":

1. جعل الهجاء وسيلة للابتزاز: كان يهدد الناس بالهجاء ليأخذ منهم المال، وهذا من أخلاق "عبد المال".
2. فقدان المروءة: وصل به الأمر إلى أن يهجو من لا يستحق الهجاء، لمجرد أنه لم يعطه مالاً.
3. التناقض الأخلاقي: كان يمدح من يعطيه ويهجو من لا يعطيه، وهذا يدل على أن المال هو معياره الوحيد.

## ثالثاً: أبو العتاهية – شاعر الزهد الذي عبد المال

أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم، توفي 211هـ) من شعراء العصر العباسي، لكنه يمثل استمراراً لظاهرة "عبادة المال" في الشعر العربي. وقد عُرف بشعر الزهد، لكن سيرته تظهر حرصاً شديداً على المال. وقد وصفه أحد الباحثين بأنه "من أحرص الناس على جمع المال، وقد بلغ به التذلل مبلغاً جعله يتمنى لو جعل من خده نعلًا لحذاء الخليفة". وهذه صورة قاسية لرجل بلغ به التذلل من أجل المال إلى هذا الحد. وقد قال عنه الباحثون: "إن في هذه القصة لدليلاً على حرص أبي العتاهية السيئ وصغر نفسه وعقله، كما فيها على هذا الشاعر الغني الذي يعبد المال ويصطنع الزهد".

## من أشعار أبي العتاهية في هذا المعنى:

إذا المرء لم يُعتق من المال نفسه... تملكه المال الذي هو مالكة

وهو في هذا البيت يعترف بحقيقة عبودية المال، ويحذر منها، ولكن يبدو أنه كان أسيرها كما يحذر منها.

## تحليل شخصية أبي العتاهية ك"عبد المال":

1. التناقض بين القول والفعل: كان يتحدث عن الزهد، لكنه كان شديد الحرص على المال.
2. التذلل من أجل المال: بلغ به الأمر إلى التذلل للخلفاء والأمراء من أجل العطاء.
3. المال في القلب: كان المال في قلبه، وإن لم يكن في يديه بقدر ما يتمنى.

## رابعاً: نماذج أخرى – ظاهرة التكسب بالشعر

لم تكن هذه النماذج استثناءً، بل كانت ظاهرة واسعة في الشعر العربي. فقد اتخذ كثير من الشعراء المديح وسيلة من وسائل التكسب والعيش، والوصول إلى الجاه والسلطان.

وقد وصف أحد الباحثين هذه الظاهرة بقوله: "أصبح الشعر تجارة وأصبح الشعراء تجاراً يعرضون أنفسهم على من يزيد". "وأصبح الشعراء يوصفون بـ"باعة الشعر".

وقد ذكر الباحثون أن "العرب في الجاهلية لم يكونوا كما يمثلهم هذا الشعر أجواداً منفقين للمال، مهينين لكرامته، وإنما كان منهم الجواد والبخيل، وكان منهم المتلاف والحريص".

**خامساً: الدروس والعبر من نماذج الشعراء**

1. تحول الموهبة إلى سلعة: عندما يجعل الإنسان موهبته - مهما كانت - وسيلة لجمع المال، فإنه يفقد قدسيته وكرامتها.
2. فقدان الكرامة: من جعل المال غايته، فقد كرامته ومروءته، وصار يتذلل لأجل المال.
3. التناقض الأخلاقي: من كان معياره المال، تناقضت أقواله وأفعاله، فلم يعد يصدق في شيء.
4. المال لا يجلب السعادة: هؤلاء الشعراء - رغم ما جمعوه من مال - عاشوا في ذل وتناقض، ولم ينفعهم مالهم عند الموت.
5. التحذير من اتخاذ المال معياراً: هذه النماذج تحذرنا من أن نجعل المال معياراً لقيمة الناس أو للأعمال.

**خاتمة الفصل: الشعراء وفتنة المال**

لقد ألهمت أموال هؤلاء الشعراء عن غايات الشعر النبيلة، وعن الكرامة والمروءة، وعن الصدق مع النفس ومع الناس. فصاروا من "عبيد المال" الذين يمدحون من يعطيهم ويهجون من يبخل عليهم، ويتنقلون بين الممدوحين حسب العطاء.

وهذه النماذج - وإن كانت من الماضي - تذكرنا بأن فتنة المال لا تفرق بين زمان ومكان، ولا بين شاعر وعالم، ولا بين غني وفقير. فمن لم يضبط علاقته بالمال، كان عرضة لأن يصبح "عبداً له"، مهما كانت موهبته أو مكانته.

**الفصل الثالث****التاجر البخيل الذي قتله بُخله - قصة من صيد الخاطر****تمهيد: ابن الجوزي وصيد الخاطر**

الإمام ابن الجوزي (ت 597هـ) هو أحد أبرز علماء الإسلام في القرن السادس الهجري، وقد ترك لنا تراثاً ضخماً في مختلف العلوم. ومن أبداع كتبه كتاب "صيد الخاطر"، وهو كتاب جمع فيه خواطره وتأملاته ومواعظه. وقد أفرد ابن الجوزي في هذا الكتاب باباً ممتعاً عن "بخلاء ابن الجوزي"، جمع فيه قصصاً عجيبة عن البخلاء الذين أهلكهم بخلهم. ومن أعجب هذه القصص قصة التاجر البخيل الذي قتله بُخله، والتي سنرويها في هذا الفصل.

**أولاً: القصة كما رواها ابن الجوزي**

يروى ابن الجوزي -رحمه الله- في "صيد الخاطر" قصة عجيبة عن تاجر بخيل، وهذه خلاصتها:  
مرض أحد البخلاء مرضاً ظن أنه لن يبرأ منه، فخلا بابن له بخيل مثله، وقال له:

"إن أخاك مشغول باللعب بالطيور، مبذر وسفيه، وأختك متزوجة تركي، وأنت على سيرتي، ولي في الموضوع الفلاني ألف دينار، فإذا مت فخذها وحدك!"

فما صدق الولد! مضى فأخذها فوراً، وخبأها في مكان آخر.

ولكن الأب برئ من مرضه! فعندما تعافى طلب ماله من ابنه، فرفض الولد أن يعيده.

ثم مرض الولد بعد مدة، واشتد به المرض، فأخذه أبوه يتوسل إليه ويبكي عنده، رجاء أن يدلّه على موضع المال، ويقول:

"حبيبي، يبدو أن مرضك قاتل! دلني على موضع مالي وإلا ضاع مني ومنك!"

ولكن الولد رفض بشدة، ثم مات، وضاع المال.

فمات الأب قهراً وحسرة!

### ثانياً: تحليل القصة – مظاهر عبودية المال

هذه القصة – على قصرها – تحمل في طياتها أبلغ صور "عبودية المال" وأكثرها إيلاماً:

#### 1. البخل على الابن:

الأب البخيل لم يخبر ابنه بالمال إلا وهو على فراش الموت، ولما ظن أنه سيموت. وهذا يدل على أن المال كان أعلى على قلبه من أقرب الناس إليه، حتى في لحظة الموت.

#### 2. سرعة الابن في أخذ المال:

"فما صدق الولد! مضى فأخذها فوراً". هذه السرعة في أخذ المال تدل على أن الولد كان أيضاً من "عبيد المال"، وأن البخل قد ورثه عن أبيه.

#### 3. رفض الولد رد المال بعد براء الأب:

عندما برئ الأب وطلب ماله، رفض الولد أن يعيده. وهذا يدل على أن المال قد استحوذ على قلبه حتى صار لا يبالي بأبيه، ولا يبالي بحقه.

#### 4. توسل الأب إلى ابنه عند مرضه:

الأب الذي كان في قمة قوته وصحته لم يهتم بابنه، ولكن عندما مرض الابن وأوشك على الموت، أصبح الأب يتوسل إليه ويبكي عنده، ليس حزناً على ابنه، بل خوفاً على ماله! وهذا من أشد مظاهر عبودية المال.

#### 5. موت الابن والمال ضائع:

مات الابن وهو متمسك بماله، ولم يدل أباه عليه، فضاع المال. ثم مات الأب قهراً وحسرة على ماله الذي ضاع.

**6. قتلهاما البخل:**

لقد قتل البخل الأب والابن معاً. فالأب قتله الحسرة على ماله الضائع، والابن قتله الحرص على المال حتى وهو في سكرات الموت.

**ثالثاً: نماذج أخرى من بخلاء ابن الجوزي**

لم تكن هذه القصة هي الوحيدة في كتاب ابن الجوزي، بل أورد قصصاً أخرى عجيبة عن البخلاء:

**القصة الثانية - جامع التراب:**

"بلغني أن رجلاً كان يكنس المساجد ويجمع ترابها ثم ضربه لبنات، فقيل له: لماذا؟! قال: هذا تراب مبارك وأريد أن يجعله على لحدي. وحين مات حمل أهله من اللبن ما يكفي، وتركوا بعضه في البيت، وانفذوا وصيته فضرب المطر اللبنة الباقية، فتفسخت عن دنانير كثيرة، فنبشوا قبره فإذا كل لبنة مملوءة بالدنانير."

**القصة الثالثة - التاجر الأعزب:**

"حدثني شيخي أنه كان بمدينة " صور " تاجر أعزب ساكن غرفة صغيرة حقيرة، فإذا ضوى الليل مر البقال، فأخذ خبزة وجوزة ودخل الغرفة، فأحزم النار في الجوزة، فتضيء بمقدار ما ينزع ثوبه ويحترق القشر، فيأخذها ويدهن بها الخبزة ويأكلها وينام. وحين مات وجدوا خلفه ثروة كبيرة."

**القصة الرابعة - العالم البخيل:**

"رأيت -يقول ابن الجوزي- عالماً قد مرض فاستلقى عند بعض أصدقائه يخدمه ويعالجه وينفق عليه حتى مات عنده، فوجدوا وراءه ثروة من الدنانير."

**القصة الخامسة - الحماة البخيلة:**

"مرضت حماتي فطلبت تمرًا، وهي ملقاة في صفه، فجاء ولدي وقال: جدتي تأكل الدنانير! فدخلت عليها فإذا هي تضع الدنانير في التمر وتبلعه، فزجرتها فقالت: أخاف أن تتزوج على ابنتي. فحلفت لها ألا أفعل، فكفت وماتت فوجدنا لها آلاف الدنانير."

**رابعاً: الدروس والعبر من قصص البخلاء****1. البخل يقتل صاحبه:**

هذه القصص تثبت أن البخل ليس مجرد صفة سيئة، بل هو مرض يقتل صاحبه، كما قتل التاجر البخيل وابنه، وكما قتل جامع التراب والعالم والتاجر الأعزب.

**2. المال لا ينفع عند الموت:**

كل هؤلاء البخلاء جمعوا المال وكدسوه، ولكن المال لم ينفعهم عند الموت. بل كان سبباً في تعذيبهم في الدنيا (بالحسرة والقهر) وفي الآخرة.

## 3. البخل يدمر العلاقات:

البخل دمر العلاقة بين الأب وابنه، وجعل كل منهما يضحى بالآخر من أجل المال. وهذا من أشد صور عبودية المال.

## 4. البخلاء لا يستمتعون بمالهم:

التاجر الأعزب عاش في غرفة صغيرة حقيرة، يأكل خبزاً جافاً، وهو يملك ثروة من الدنانير. وهذا يدل على أن البخل يحرم صاحبه من الاستمتاع بالدنيا.

## 5. البخل قد يكون مقنعاً:

بعض البخلاء يظهرون بمظهر الزهد والورع، كما في قصة العالم البخيل، ولكن باطنهم مليء بحب المال. وهذا من أخطر صور النفاق.

## 6. العاقبة الوخيمة:

عاقبة البخلاء في الدنيا هي الحسرة والقهر والموت المومع، وفي الآخرة لهم عذاب أليم.

**خامساً: ابن الجوزي وعلاج البخل**

لم يكتفِ ابن الجوزي بسرد هذه القصص، بل كان يهدف من ورائها إلى علاج هذه الآفة في النفوس. وقد قال عن كتابه "صيد الخاطر" إنه كتاب مواظب ونصائح. فقصص البخلاء كانت وسيلة للتحذير من البخل، ولتشجيع الناس على الكرم والإنفاق في سبيل الله.

وقد قال ابن الجوزي في موضع آخر: "البخل داء عضال، وهو من أخلاق الكفار، وهو يورث الحسرة والندامة في الدنيا والآخرة". وهذا يوضح موقفه من هذه الصفة الذميمة.

**خاتمة الفصل: التاجر البخيل – عبرة لكل زمان**

قصة التاجر البخيل الذي قتله بُخله – وقصص البخلاء الأخرى في "صيد الخاطر" – تقدم لنا عبرة بالغة لكل من يستعبد المال ويبخل به. فهي تذكرنا بأن المال ليس غاية في نفسه، وأن البخل لا يجلب إلا الحسرة والندامة، وأن الموت يأتي على حين غفلة، فلا ينفع المال ولا الجاه ولا السلطان.

فليتذكر كل من يمسك ماله ولا ينفقه في سبيل الله، ولا يبذله في الخير، أن عاقبته قد تكون كعاقبة هذا التاجر البخيل: يموت وفي قلبه حسرة على ماله، ويترك ماله لمن لا يشكره، ويذهب إلى ربه ووزره عليه.

نسأل الله أن يعيذنا من البخل والشح، وأن يرزقنا الكرم والجود، وأن يجعل المال في أيدينا لا في قلوبنا، وأن يعيننا على شكره وحسن عبادته.

**خاتمة الباب الخامس**

بهذا نكون قد استكملنا الباب الخامس من كتابنا، حيث استعرضنا في فصوله الثلاثة نماذج تاريخية لـ"عبد المال" من عصور مختلفة:

- في الفصل الأول، عدنا إلى قارون –أستاذ عبّاد المال – واستعرضنا قصته من منظور تاريخي، ورأينا كيف تحول من قريب إلى موسى عليه السلام إلى نموذج للبغي والطغيان بسبب المال، وكيف كانت عاقبته الخسف في الأرض.
  - في الفصل الثاني، انتقلنا إلى شعراء الجاهلية الذين جعلوا المال غاية شعرهم، فرأينا النابغة الذبياني الذي جعل الكلمة طريقاً إلى المال، والحطيئة الذي جعل الهجاء وسيلة للابتزاز، وأبا العتاهية الذي عبد المال مع أنه تكلم عن الزهد.
  - في الفصل الثالث، وقفنا عند قصة عجيبة من تراثنا الإسلامي، يرويها الإمام ابن الجوزي في "صيد الخاطر"، عن التاجر البخيل الذي قتله بُخله، ورأينا كيف أن البخل قد يصل بالإنسان إلى أن يضحى بأقرب الناس إليه من أجل المال، ثم يموت حسرة على ماله.
- وهذه النماذج الثلاثة – وإن اختلفت في الزمان والمكان والمظهر – تشترك في جوهر واحد: عبودية المال التي أعمت أصحابها عن الحق، وألتهتهم عن الآخرة، وأهلكتهم في الدنيا قبل الآخرة.
- فمن أراد السلامة، فليتعض بهذه النماذج، وليجعل المال في يده لا في قلبه، وليذكر أن المال اختبار وابتلاء، وأن العاقبة للمتقين.
- والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

# الباب السادس

## مصير "عبدالمال"

### تمهيد الباب

بعد أن استعرضنا في الأبواب السابقة شخصية "عبد المال" تعريفاً ومواصفات، ورأينا صورته في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتتبعنا نماذجه التاريخية في مختلف العصور، يحين الآن أن نقف عند المحطة الأهم والأخطر: **مصير "عبد المال"**.

إن الحديث عن المصير ليس مجرد فضول معرفي، بل هو الغاية من كل ما سبق. فكل التحذيرات والندارات التي جاءت في القرآن والسنة، وكل النماذج التاريخية التي استعرضناها، إنما هدفها أن نعرف أين تؤدي بنا هذه العبودية للمال، لنعتبر ونتقي، ولنصحح مسارنا قبل فوات الأوان.

وقد قسمنا هذا الباب إلى أربعة فصول، تتدرج مع "عبد المال" في رحلته من الدنيا إلى الموت، فما بعده من برزخ، ثم إلى المصير النهائي في الآخرة:

- **الفصل الأول: المصير في الدنيا** – وهو ما يعيشه "عبد المال" في حياته الدنيوية من تعاسة وقسوة قلب وضياح علاقات وعذاب نفسي.
- **الفصل الثاني: المصير عند الموت** – حيث تنكشف الحقيقة وتظهر الحسرة والندامة على ما فات.
- **الفصل الثالث: المصير في البرزخ** – وهي المرحلة التي تلي الموت وتسبق البعث، وفيها يذوق "عبد المال" جزاء ما قدمت يداه.
- **الفصل الرابع: المصير في الآخرة** – حيث الحطمة ونار الله الموقدة والعذاب الأليم الذي لا ينقطع.

وسنعمد في هذا الباب على المنهجية نفسها التي اتبعناها في الأبواب السابقة: الاستناد إلى النصوص الشرعية من القرآن والسنة، والرجوع إلى أقوال العلماء والمفسرين، مع تقديم التحليل والاستنباط، لنخرج بدروس وعبر تصلح لمن أراد السلامة.

نسأل الله أن يعيدنا من عذاب الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

## الفصل الأول

## المصير في الدنيا – التعاسة، قسوة القلب، ضياع العلاقات، العذاب النفسي

## تمهيد: العقوبة قبل العقوبة

قد يظن "عبد المال" أنه بجمعه للمال وتكديسه يحقق السعادة والراحة، وأن كثرة المال هي مفتاح الطمأنينة. ولكن الواقع – كما يصوره القرآن والسنة وتجارب الحياة – يخبرنا بعكس ذلك تمامًا. فـ"عبد المال" يعيش في الدنيا عذابًا حقيقيًا، وإن كان لا يشعر به أحيانًا بسبب انشغاله بالجمع. وهذا ما عبر عنه العلماء بأن "الدنيا عقوبة قبل العقوبة"، أو كما قال بعض السلف: "إن للذنوب عقوبات في الدنيا قبل الآخرة."

وفي هذا الفصل، سنتتبع أربعة مظاهر لهذا العذاب الدنيوي: التعاسة النفسية، وقسوة القلب، وضياع العلاقات، والعذاب النفسي المزمن.

## أولاً: التعاسة – حياة البؤس والشقاء

إن "عبد المال" – رغم ما يملك من ثروات – يعيش حياة تعيسة شقية. وهذا ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله في حديث "تعس عبد الدينار": "تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ... فكلمة "تعس" تعني الخيبة والهلاك والسقوط على الوجه، وهذا دعاء عليه بالشقاء في الدنيا قبل الآخرة.

وقد ورد في الحديث الآخر عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيِّنَ عَيْنِيهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ" (رواه الترمذي وابن ماجه). ومعنى "جعل فقره بين عينيه" أنه لا يشعر بالغنى أبدًا، بل يعيش في فقر نفسي دائم، يرى نفسه محتاجًا إلى المزيد، فلا يطمئن قلبه ولا تستقر نفسه.

وهذه التعاسة تظهر في عدة مظاهر:

1. **القلق الدائم على المال**: "عبد المال" يعيش في خوف دائم على ماله: يخاف عليه من السرقة، ومن الخسارة، ومن تقلبات السوق، ومن أن ينتقل إلى يد غيره. قال الشيخ خالد السبت في شرحه لـ"عبد المال": "يخاف عليه البوائق، ويخاف عليه التحول من يده إلى يد غيره". وهذا الخوف يمنعه من الاستمتاع بحياته، ويجعله في حالة تأهب دائم.
2. **عدم الشعور بالاكْتفاء أبدًا**: قال النبي ﷺ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ" (رواه البخاري ومسلم). فـ"عبد المال" لا يشبع من جمع المال أبدًا، وكلما ازداد ماله ازداد طمعه، فلا يذوق طعم الرضا والقناعة.
3. **ضييق العيش مع كثرة المال**: قد يملك "عبد المال" الملايين، ولكنه يعيش حياة ضيقة، يبخل على نفسه وعلى أهله، كما في قصص البخلاء التي رواها ابن الجوزي: التاجر الأعزب الذي كان يملك ثروة ويعيش على خبز جاف في غرفة حقيرة. فهذا ضيق عيش مع سعة مال.

وقد عبّر عن هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: 124]. والمعيشة الضنك ليست فقط ضيق الرزق، بل هي ضيق العيش ولو مع كثرة المال، كما قال المفسرون: "هي ضيق القلب والروح وعدم الطمأنينة."

### ثانياً: قسوة القلب – أعظم عقوبة

من أشد عقوبات "عبد المال" في الدنيا قسوة القلب. فالمال إذا استعبد القلب جعله قاسياً، لا يلين لذكر الله، ولا يتأثر بمواعظ القرآن، ولا يرق لمشاعر الناس.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَالْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ". وقال أيضاً: "وَمَا دَخَلَتِ الْقَسْوَةُ فِي قَلْبٍ إِلَّا أَفْسَدَتْ إِدْرَاكَهُ لِلْحَقِّ". فهذه القسوة تحرم صاحبها من لذة الإيمان، ومن حلاوة المناجاة، ومن التأثر بآيات الله.

وقد وصف الله القلوب القاسية في القرآن فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: 22]. فالويل والهلاك لمن قست قلوبهم عن ذكر الله. وهذا الويل يشمل "عبد المال" الذي ألهاه المال عن ذكر الله، فقست قلبه.

وقال مالك بن دينار رحمه الله: "مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ". "فقسوة القلب هي أعظم عقوبة في الدنيا، لأنها تحرم العبد من لذة الطاعة، وتجعله بعيداً عن ربه.

ومظاهر قسوة القلب عند "عبد المال" كثيرة:

- لا يدمع عينه عند سماع القرآن، ولا يتأثر بالمواعظ.
- لا يرق قلبه للمحتاجين والمساكين.
- لا يشعر بآلام الآخرين، ولا يبالي بمشاعرهم.
- يصبح جاقاً في تعامله مع أهله وأقاربه.
- يغلب عليه الجمود العاطفي، فلا يفرح لفرح أحد ولا يحزن لحزنه.

وهذه القسوة هي نتيجة طبيعية للتعلق بالمال والانشغال به عن الله. قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: 14]. فالذنوب – ومن أعظمها حب المال والحرص عليه – ترين على القلوب، فتغطيها وتجعلها قاسية.

### ثالثاً: ضياع العلاقات – الحياة في عزلة

إن "عبد المال" – بشغفه الدائم بالمال وانشغاله عن كل شيء – يفقد تدريجياً أهم العلاقات في حياته، ويعيش في عزلة اجتماعية ونفسية.

ضبياع العلاقة مع الله: هذه هي الخسارة الكبرى. ف"عبد المال" يضيع علاقته بربه بسبب انشغاله بالمال. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9]. فالانشغال بالمال عن ذكر الله هو خسران حقيقي.

ضبياع العلاقة مع الأسرة: قال الشيخ خالد السبت في وصف "عبد المال": "أهله لا يعرفونه، جيرانه لا يعرفونه، قراباته لا يعرفونه". فهو منشغل بماله عن أهله، فلا يعرف أحوالهم، ولا يشاركهم أفراحهم وأحزانهم. زوجته تعيش معه في بيت واحد، لكنه غائب عنها بقلبه وذهنه. أولاده لا يعرفون أباهم إلا اسماً.

ضبياع العلاقة مع الأقارب والأصدقاء: يقطع "عبد المال" الأرحام، ويهجر الأصدقاء، ويتجنب الناس، ظناً منه أن ذلك يوفر له وقتاً لجمع المال. قال الشيخ خالد السبت: "يقطع الأرحام ويقطع ما أمر الله بصلته ويقارف كل ما لا يليق من أجل تحصيل هذا المال". وهذا القطع للرحمة هو من كبائر الذنوب، كما قال النبي ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ" متفق عليه.

ضبياع العلاقة مع المجتمع: "عبد المال" لا يشارك في مناسبات المجتمع، ولا يعين المحتاجين، ولا يقوم بحقوق الجيرة. يصبح منعزلاً في برجه العاجي، لا يعرفه الناس ولا يعرفهم.

وهذه العزلة – وإن كانت اختيارية في البداية – تصبح إجبارية في النهاية، فيجد "عبد المال" نفسه وحيداً، لا أنيس له ولا صديق، ولا قريب يأنس به، ولا جار يسأل عنه.

#### رابعاً: العذاب النفسي – أمراض الروح

"عبد المال" يعيش في عذاب نفسي مستمر، وإن كان لا يسميه بذلك. وهذا العذاب يأخذ أشكالاً متعددة:

**القلق والتوتر:** هو دائم القلق على ماله، دائم التوتر من خسارته. وهذا القلق يمنعه من النوم الهانئ، ومن الراحة النفسية. قال بعض السلف: "إن للدرهم والدينار همًا وغمًا لا يعلمه إلا من جربه."

**الحسد والغيرة:** "عبد المال" يحسد من هو أغنى منه، ويغار من منافسيه في السوق، ويعيش في صراع دائم مع نفسه ومع الآخرين.

**عدم الرضا والقناعة:** لا يرضى أبداً بما عنده، ولا يقنع بما أوتي، بل يظل في حالة من التذمر الدائم، وكأنه محروم من كل شيء.

**الاكتئاب والإحباط:** حين يخسر "عبد المال" شيئاً من ماله – ولو كان قليلاً – يصاب بالاكتئاب والإحباط، وقد يصل به الأمر إلى اليأس من رحمة الله.

**الخوف من الموت والفقر:** "عبد المال" يخاف الموت لأنه يخاف أن يفارق ماله، ويخاف الفقر لأنه لا يتصور الحياة بدونه. وهذا الخوف يزيده تعاسة وشقاء.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا العذاب النفسي في قوله: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ" ...فالتعس – كما بينا – هو الخيبة والهلاك، وهو يشمل الهلاك النفسي والروحي قبل الجسدي.

## خاتمة الفصل: حقيقة العذاب الدنيوي

إن "عبد المال" - رغم ما يملك من ثروات - يعيش حياة بائسة شقية، يعاني فيها من قلق دائم، وقسوة قلب، وعزلة اجتماعية، وعذاب نفسي. وهو في هذا العذاب لا يشعر بحقيقة ما هو فيه، لأنه أعماه حب المال عن رؤية الحقيقة.

وقد عبّر عن هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: 131]. فزهرة الدنيا - ومنها المال - إنما هي فتنة وابتلاء، لا سعادة ولا راحة.

فمن أراد السعادة الحقيقية، فليجعل المال في يده لا في قلبه، وليجعل الآخرة أكبر همه، وليتذكر أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، كما قال النبي ﷺ: "لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنِ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ عَنِ النَّفْسِ" متفق عليه).

## الفصل الثاني

### المصير عند الموت - الحسرة والندامة

#### تمهيد: لحظة الحقيقة

عندما يحين أجل "عبد المال"، وتأتيه سكرات الموت، تنكشف له الحقيقة التي كان يغفل عنها طوال حياته. في تلك اللحظة الفارقة، يرى ماله بعين مختلفة، ويدرك أنه كان وهمًا وخداعًا، وأنه ضيع عمره في جمع شيء لا ينفعه الآن.

وهذه اللحظة - لحظة الموت - هي من أشد اللحظات على "عبد المال"، لأنه يترك ماله الذي كان يشغله طوال عمره، ويذهب إلى ربه بلا زاد ولا عدة. وفي هذا الفصل، سنتتبع مشهد الموت من زاوية "عبد المال"، لنرى كيف تكون حاله، وما هي الحسرة والندامة التي تنتابه.

#### أولاً: حب الدنيا وكراهية الموت

من أبرز صفات "عبد المال" أنه يحب الدنيا حبًا شديدًا، ويكره الموت كراهية بالغة. وهذا أمر طبيعي، لأنه إذا كان قد جعل الدنيا كل همه، فإن مفارقتها تكون أشد شيء عليه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذه الحقيقة في حديثه عن الوهن الذي سيصيب الأمة، فقد قال: "يُوشِكُ الْأُمَّمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكْلَةُ إِلَىٰ قِصْعَتِهَا"، فقيل: "أمن قلة نحن يومئذ؟" قال: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ"، قيل: وما الوهن؟ قال: "حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".

ف"عبد المال" - الذي أحب الدنيا وألتهته عن الآخرة - يكره الموت كراهية شديدة، لأنه يخاف أن يفارق ما أحب، ويخاف أن ينتقل إلى عالم لا يعرف فيه المال ولا الجاه.

### ثانياً: سكرات الموت - انكشاف الحقيقة

عندما تبدأ سكرات الموت في التغطية على "عبد المال"، تظهر الحقيقة جلية أمام عينيه. يرى ماله الذي كان يجمع ويكدس، وإذا به لا ينفعه شيئاً. يرى أهله وهم حوله، وإذا بهم لا يستطيعون دفع الموت عنه. يرى عمره الذي ضيعه في الجمع، وإذا به يذهب سدى.

وهذا المشهد وصفه القرآن في أكثر من موضع:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: 99-100].

هذا هو حال "عبد المال" عند الموت: يتمنى الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، ولكن فات الأوان. وكلمة "كلا" تفيد الردع والمنع، فلا رجعة ولا عودة.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّن الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: 10-11].

فهذا التمني عند الموت - أن لو أخرني الله لأتصدق وأكن من الصالحين - هو حسرة وندامة على ما فات. ولكن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها.

### ثالثاً: الحسرة على المال الضائع

عند الموت، يرى "عبد المال" حقيقة المال التي كان يغفل عنها: أنه كان يجمع لغيره، ويتركه لورثته، ويذهب هو بوزره.

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ." "

فهو يرى أهله وماله يرجعان عنه، ولا يبقى معه إلا عمله. وإن كان عمله في جمع المال من حرام أو منع حقوق الله فيه، فإنه يبقى عليه وبالاً.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "يَا ابْنَ آدَمَ، اعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَوْقَ قُوَّتِكَ إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِنًا لِغَيْرِكَ." وهذا المعنى يتجلى بوضوح عند الموت: فالمال الذي جمعه طوال عمره يصبح ملكاً لغيره، ويذهب هو خالي الوفاض.

**رابعاً: الندامة التي لا تنفع**

عند الموت، يندم "عبد المال" على ما فاته من خير، وعلى ما ضيعه من عمر، وعلى ما جمعه من مال لم ينفعه. ولكن هذه الندامة لا تنفع، لأنها جاءت بعد فوات الأوان.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ \* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: 54-55].

فالندامة النافعة هي التي تكون قبل الموت، أما الندامة عند الموت فهي حسرة لا تنفع.

**خامساً: مشهد الموت في السنة النبوية**

وصف النبي ﷺ حال المحتضر - ومنهم "عبد المال" - في أحاديث كثيرة، منها:

حديث "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة": وهذا يدل على أن "عبد المال" - الذي كان مشغولاً بالمال طوال حياته - قد لا يكون آخر كلامه هذه الكلمة، لأنه مشغول بماله وهمومه.

حديث "إن المؤمن إذا حضرته الوفاة، بشرته الملائكة بالجنة": "...أما "عبد المال" - الذي كان بعيداً عن الله - فقد تبشره الملائكة بالنار، أو يكون في حالة من الخوف والروع.

وقد ورد في بعض الآثار أن "عبد المال" يرى عند الموت ما يسوءه، وقد يتمنى لو لم يكن جمع ذلك المال، أو لو أنه أنفقه في سبيل الله.

**خاتمة الفصل: الموت - موقف الحقيقة**

لحظة الموت هي لحظة الحقيقة لكل إنسان، ولكنها أشد على "عبد المال" ممن سواه. فهو يترك كل ما أحب وجمع، ويذهب إلى ربه بلا زاد، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ولو لحظة واحدة ليتوب ويعمل صالحاً، ولكن هيهات.

فليتذكر "عبد المال" - وكل من يخشى أن يكون من عبید المال - أن الموت آت لا محالة، وأن المال لن ينفعه يوم يأتيه، وأن الندامة لن تنفع بعد فوات الأوان. فليتب قبل أن يموت، وليعمل صالحاً قبل أن يفوت الأجل.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: 18].

## الفصل الثالث

### المصير في البرزخ

#### تمهيد: المرحلة بين الدنيا والآخرة

بعد الموت، ينتقل "عبد المال" إلى مرحلة جديدة: البرزخ، وهي المرحلة التي تلي الموت وتسبق يوم القيامة. والبرزخ - لغة - هو الحاجز بين شيئين، وشرعاً هو الفاصل بين الدنيا والآخرة، وهو حياة القبر التي يعيشها الإنسان بعد موته حتى يبعث.

وهذه المرحلة - وإن كانت غيبية لا ندركها بحواسنا - قد أخبرنا الله ورسوله عنها بما يكفي لنعلم أن "عبد المال" يذوق فيها جزاء ما قدمت يداها. وفي هذا الفصل، سنتناول مصير "عبد المال" في البرزخ، مستعينين بالنصوص الشرعية وأقوال العلماء.

#### أولاً: حقيقة عذاب القبر وعذاب البرزخ

عذاب القبر - أو عذاب البرزخ - هو حقيقة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. قال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]. فهذه الآية تثبت عذاباً في البرزخ قبل قيام الساعة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ - الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

وقد قال ابن القيم رحمه الله: "عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر." فالعذاب يلحق الروح والجسد، سواء دفن الإنسان أم لم يدفن.

#### ثانياً: أسباب عذاب البرزخ لـ"عبد المال"

إن "عبد المال" - بصفاته وأفعاله - يستحق عذاب البرزخ لأسباب متعددة:

1. **الظلم والاعتداء على حقوق الناس:** إذا كان "عبد المال" قد ظلم الناس في أموالهم، أو أكل حقوقهم بالباطل، فإنه يعذب في قبره على ذلك. وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ مرّ بقبرين، فقال: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَيْبِرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ." "فمن كان يمشي بالنميمة - وهي من صفات "الهمزة اللزمة" - فإنه يعذب في قبره.
2. **منع حقوق الله في المال:** إذا كان "عبد المال" قد منع الزكاة الواجبة، أو ضيع حقوق الله في ماله، فإنه يعذب على ذلك.
3. **أكل الربا والحرام:** إذا كان "عبد المال" قد أكل الربا أو المال الحرام، فإنه يعذب في قبره. فقد روى البخاري أن النبي ﷺ رأى في منامه رجلاً يسبح في نهر ويلقم الحجر، فقيل له: "إِنَّهُ أَكَلَ الرِّبَا."

4. الغلظة والقسوة: إذا كان "عبد المال" قد عاش في قسوة قلب وغلظة مع الناس، فإنه يعذب على ذلك.

### ثالثاً: صور عذاب البرزخ لـ"عبد المال"

لم يحدد لنا الوحي صوراً مفصلة لعذاب كل "عبد مال" بعينه، ولكن هناك صوراً عامة لعذاب البرزخ قد تنطبق عليه:

1. **ضمة القبر:** وهي الضمة الشديدة التي تصيب الميت في قبره. وقد قال النبي ﷺ: "لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ". وهذه الضمة تكون أشد على من كان بعيداً عن الله.
2. **عرض النار عليه:** قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: 46]. فيرى "عبد المال" النار في قبره، ويعلم أن مصيره إليها إن لم يتب.
3. **عذاب الروح:** قد تعذب الروح وحدها، أو مع الجسد، بحسب ما تستحقه. وقد قال ابن القيم: "عذاب القبر يكون على الروح والجسد".
4. **الحشرات والهوام:** قد يسلط الله على "عبد المال" في قبره من الحشرات والهوام ما يعذبه، جزاء على ما كان يفعله في الدنيا.
5. **الوحشة والظلمة:** يعيش "عبد المال" في قبره في وحشة وظلمة، لا أنيس له ولا نور، لأنه كان بعيداً عن الله في الدنيا.

### رابعاً: هل يخفف عذاب البرزخ عن "عبد المال"؟

قد يخفف عذاب البرزخ عن بعض العصاة بسبب أعمال صالحة قدموها، أو بسبب دعاء المسلمين لهم، أو بسبب صدقة جارية، أو بسبب شفاعة النبي ﷺ. ولكن "عبد المال" – الذي كان بعيداً عن الله، مقصراً في حقوقه، ظالماً للناس – قد لا يكون له من يشفع له، أو قد لا تنفعه الشفاعة. وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ". فإذا كان أهله يبكون عليه، فإن ذلك يزيده عذاباً، لأنه كان سبباً في بكائهم بموته، وهم لا ينتفعون ببكائهم.

### خامساً: النجاة من عذاب البرزخ

النجاة من عذاب البرزخ تكون بالتوبة قبل الموت، والعمل الصالح، والإخلاص لله، وأداء حقوق الناس، والصدقة الجارية، والدعاء للموتى. ولكن "عبد المال" – الذي لم يتب في الدنيا – قد يفوته هذا كله. قال ابن القيم رحمه الله: "فمن نجا في البرزخ، كان ناجياً يوم القيامة، ولا شك". فالنجاة من عذاب البرزخ علامة على النجاة في الآخرة، والعكس صحيح.

### خاتمة الفصل: البرزخ – مرحلة الانتظار المحفوف بالعذاب

البرزخ هو المرحلة التي يذوق فيها "عبد المال" جزاء ما قدمت يدها، قبل أن يبعث إلى الحساب الأكبر. وهي مرحلة عذاب ونكال لمن كان بعيداً عن الله، مقصراً في حقوقه، ظالماً للناس.

فليتذكر "عبد المال" – وكل من يخشى أن يكون من عبيد المال – أن الموت ليس نهاية المطاف، بل هو بداية مرحلة جديدة، قد تكون أشد من الدنيا. فليتب قبل أن يموت، وليعمل صالحاً قبل أن يفوت الأجل، وليؤد حقوق الله وحقوق الناس، ليكون من الناجين في البرزخ والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 64].

### الفصل الرابع

### المصير في الآخرة – الحطمة، نار الله الموقدة، والعذاب الأليم

#### تمهيد: دار القرار

بعد أن مر "عبد المال" بمراحل الدنيا والموت والبرزخ، يحين الموعد الأكبر: يوم القيامة، حيث يبعث الناس لرب العالمين، ويجازون بأعمالهم. وفي هذا اليوم العظيم، يرى "عبد المال" مصيره النهائي، الذي لا مفر منه ولا خلاص.

وهذا المصير – كما وصفه القرآن والسنة – هو أشد ما يمكن أن يتصوره العقل: الحطمة، نار الله الموقدة، والعذاب الأليم الذي لا ينقطع. وفي هذا الفصل، سنتبع مصير "عبد المال" في الآخرة، آية آية، وحدثاً حديثاً، لنرى العاقبة المحتومة لمن استعبد المال وألتهته الدنيا عن طاعة ربه.

#### أولاً: الحطمة – نار الله الموقدة

إن المصير النهائي لـ "عبد المال" – كما وصفته سورة الهمزة – هو الحطمة، وهي نار الله الموقدة التي تحطم كل ما يلقي فيها.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ \* نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ \* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ \* إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ \* فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة: 4-9]

وهذه الآيات ترسم صورة مرعبة لمصير "عبد المال":

- "لينبذن في الحطمة": أي ليطحن في النار التي تحطم كل شيء. والنبذ يعني الإلقاء بقوة واحتقار، فلا كرامة له ولا حرمة.
- "نار الله الموقدة": نار خاصة بالله، أوقدها بنفسه، وجعلها لعقاب من يستحق العقاب. وقد أضافها إلى نفسه لبيان عظمتها وشدة إحراقها.

- "التي تطلع على الأفتدة : "تصل النار إلى القلوب، فتحرقها وتحطمها. وهذا أشد أنواع العذاب، لأن القلب هو مركز الإحساس والإيمان.
  - "إنها عليهم مؤصدة : "مطبقة عليهم، مغلقة الأبواب، لا مخرج منها ولا خلاص.
  - "في عمد ممددة : "في أعمدة ممتدة من حديد أو نار، تمنعهم من الخروج، وتزيدهم عذابًا.
- وهذا المصير – كما بينا في تفسير سورة الهمزة – هو جزاء من جمع المال وعدده، ومنعه حقوق الله فيه، واغتر به وظن أنه سيخلده.

### ثانياً: عذاب الكنز – تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم

لقد وصف القرآن عذابًا خاصًا لمن يكتزون المال ولا ينفقونه في سبيل الله:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ التوبة: 34-35.

وهذا العذاب أفظع ما يمكن تصوره: الأموال التي كانوا يكتزونها في الدنيا – الذهب والفضة – تُحْمَى في نار جهنم، ثم تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. وهذه الأعضاء الثلاثة – الجباه والجنوب والظهور – هي مواضع الكبر والتولي والإعراض عن الله.

ثم يقال لهم تقريبًا وتوبيخًا: "هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ . "فهذا هو جزاء الكنز: المال الذي جمعه ومنعوا حقوق الله فيه يتحول إلى عذاب عليهم.

### ثالثاً: الحساب العسير والسؤال عن المال

يوم القيامة، يقف "عبد المال" بين يدي الله للحساب، ويُسأل عن ماله: من أين اكتسبه، وفيم أنفقه.

روى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ " رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

ف"عبد المال" – الذي كان همه الوحيد جمع المال – يُسأل عنه سؤالاً عسيرًا:

- من أين اكتسبه؟ هل كان من حلال أم من حرام؟ هل كان من ربا أم رشوة؟ هل كان من غش أم ظلم؟
- وفيم أنفقه؟ هل أنفقه في طاعة الله أم في معصيته؟ هل أدى زكاته وحقوقه؟ هل أنفقه على أهله وأقاربه؟

فإن كان قد اكتسبه من حرام، أو أنفقه في حرام، أو أنفقه في حرام، فإنه يستحق العذاب الأليم.

## رابعاً: الحجز عن الجنة – أصحاب الجحيم محبوسون

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ."

فأصحاب الجحيم – أي أصحاب الغنى والمال – محبوسون عن دخول الجنة، حتى يُحاسبوا على أموالهم. وهذا يعني أن "عبد المال" – الذي كان غنياً – سيكون محبوساً عن الجنة، منشغلاً بالحساب، بينما يدخل المساكين الجنة قبله.

وهذا الحبس – وإن كان مؤقتاً لمن وفقه الله – يعتبر عذاباً في حد ذاته، لأنه يرى غيره يدخل الجنة وهو محبوس في الحساب. وقد لا يدخل الجنة أبداً إن كان من أهل النار.

## خامساً: العذاب الأليم – دار البوار

إن لم يتب "عبد المال" من عبوديته للمال، ولم يصلح ما أفسد، فإن مصيره النهائي هو النار، دار البوار والخلود. قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْمَى \* نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى \* تَدْعُو مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى \* وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: 15-18]. فهذه الآيات تصف النار بأنها تنزع الشوى – أي جلود الرأس والأطراف – وتدعو من أدبر وتولى عن الله، وجمع المال فأوعاه في وعائه. وهذا هو "عبد المال" بعينه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]. فمن أكل مال اليتيم ظلماً – وهو من صور "عبد المال" – فإنما يأكل ناراً في بطنه، وسيصلى ناراً يوم القيامة.

## خاتمة الفصل: الحطمة – المصير المحتوم

إن مصير "عبد المال" في الآخرة – كما وصفه القرآن والسنة – هو أفظع ما يمكن أن يتصوره العقل. فالنار تنتظره، والمال الذي جمعه يتحول إلى عذاب عليه، والحساب العسير ينتظره، والحجز عن الجنة ينتظره، والعذاب الأليم في النار ينتظره.

فهذا هو المصير المحتوم لمن استعبد المال وألهته الدنيا عن طاعة ربه. فمن أراد النجاة، فليتب قبل فوات الأوان، وليجعل المال في يده لا في قلبه، وليجعل الآخرة أكبر همه.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ رُحِخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران: 185

## خاتمة الباب السادس

بهذا نكون قد استكملنا الباب السادس من كتابنا، حيث تتبعنا مصير "عبد المال" في مراحل الأربع:

- في الفصل الأول، رأينا مصيره في الدنيا، وكيف يعيش في تعاسة وشقاء، وقسوة قلب، وضياح علاقات، وعذاب نفسي، رغم ما يملك من ثروات.

- في **الفصل الثاني**، وقفنا عند لحظة الموت، ورأينا الحسرة والندامة التي تنتابه حين يرى حقيقة ماله، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ولو لحظة واحدة.
  - في **الفصل الثالث**، انتقلنا إلى مرحلة البرزخ، ورأينا كيف يذوق "عبد المال" عذاب القبر، ويعيش في وحشة وظلمة، ويعرض على النار.
  - في **الفصل الرابع**، وصلنا إلى المصير النهائي في الآخرة، ورأينا الحطمة، ونار الله الموقدة، والعذاب الأليم الذي ينتظر "عبد المال" الذي لم يتب.
- وهذه المراحل الأربع ترسم لنا صورة كاملة لمصير "عبد المال" – من الدنيا إلى الموت إلى البرزخ إلى الآخرة – وهي صورة تثير الرعب والخوف، وتدعو إلى التوبة والرجوع إلى الله.
- فليتذكر كل من يملك مالاً، أو يطمع في جمعه، أن المال نعمة عظيمة إن شكرتها واستعملتها في طاعة الله، ونقمة عظيمة إن كفرتها واستعملتها في معصية الله. فاختر لنفسك أي المصيرين تريد: سعادة الدنيا والآخرة، أم شقاء الدنيا وعذاب الآخرة؟
- والله موفق والهادي إلى سواء السبيل.

## الباب السابع

### "عبدالمال" ظاهرة عصرية

#### تمهيد الباب

بعد أن استعرضنا في الأبواب السابقة شخصية "عبد المال" كما رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية، وتتبعنا نماذجه التاريخية في مختلف العصور، ورأينا مصيره المحتوم في الدنيا والآخرة، ننتقل في هذا الباب إلى **الواقع المعاصر**، لنرى كيف تحولت هذه الظاهرة من حالات فردية إلى ظاهرة اجتماعية شاملة، وكيف أصبحت "عبادة المال" السمة الأبرز لعصرنا الحالي.

إن ما كان في الماضي صفة لبعض الأفراد أصبح اليوم ثقافة سائدة، تغذيها وسائل الإعلام، وتُسرع بها أنظمة الاقتصاد العالمي، وتعمقها الفجوات الطبقيّة. فلم يعد "عبد المال" استثناءً، بل أصبح النموذج السائد في كثير من المجتمعات، يقلده الصغير قبل الكبير، ويتسابق إليه الفقير قبل الغني.

وفي هذا الباب، سنتناول هذه الظاهرة من أربع زوايا:

- **الفصل الأول:** تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال – كيف تطور الشرك؟ لنتتبع التحول التاريخي من عبادة الأوثان الحجرية إلى عبادة الأوثان العصرية.
  - **الفصل الثاني:** الإعلام وعبادة المال – دور وسائل الإعلام في تعزيز ثقافة المادية، وكيف أصبحت الشاشات معابد جديدة لهذه العبادة.
  - **الفصل الثالث:** التفاوت الطبقي والفقير كمحركات لعبادة المال، وكيف يولد الحرمان تعلقًا مفرطًا بالمال.
  - **الفصل الرابع:** المقارنة بين المجتمعات – الشرق والغرب في ميزان عبادة المال، لنرى هل هذه الظاهرة عالمية أم تختلف باختلاف الثقافات؟
- وسنعمد في هذا الباب على المنهجية نفسها التي اتبعناها في الأبواب السابقة: الاستناد إلى المصادر الشرعية مع ربطها بالواقع المعاصر، والرجوع إلى الدراسات الاجتماعية والنفسية، مع تقديم التحليل الموضوعي، لنخرج بصورة واضحة عن حجم الظاهرة في عصرنا.
- نسأل الله أن يعيدنا من فتنة المال، وأن يجعلنا من الذين يعقلون ويتدبرون.

## الفصل الأول

### تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال – كيف تطور الشرك؟

#### تمهيد: من الحجر إلى الدولار

إذا تأملنا تاريخ البشرية، نجد أن الإنسان ظل عبر العصور يعبد أشياء متنوعة: عبد الحجر، وعبد الشجر، وعبد الكواكب، وعبد النار، وعبد البشر. ثم جاء الإسلام ليظهر هذه العبادة ويوجهها إلى خالق السموات والأرض وحده. ولكن مع مرور الزمن، لم تختف عبادة الأصنام، بل تحولت من صورتها التقليدية إلى صورة جديدة أكثر خداعًا وأشد خطرًا: عبادة المال.

والمتمثل في واقعنا المعاصر يجد أن المال قد حل محل الأصنام في قلوب كثير من الناس. فكما كان عابد الوثن يخضع لصنمه، ويطيعه، ويقدم له القرابين، ويخشى غضبه، ويرجوه في الشدة، كذلك "عبد المال" اليوم يخضع للمال، ويطيعه، ويقدم له وقته وجهده وحتى دينه، ويخشى فقده، ويرجوه في كل شدة.

فكيف حدث هذا التحول؟ وكيف تطور الشرك من صورته التقليدية إلى هذه الصورة الحديثة؟ هذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

**أولاً: العبادة في جوهرها - الخضوع والطاعة**

لفهم تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال، لا بد أن ننظر إلى جوهر العبادة، وليس إلى شكلها الخارجي.

العبادة في جوهرها هي الخضوع والطاعة والانقياد مع الحب والتعظيم والخوف. فمن خضع لشيء وأطاعه وأحبه وخافه، فقد عبده، سواء كان هذا الشيء حجراً أو شجراً أو مالا أو شهوة أو هوى.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية: 23.

فهذه الآية تبين أن الهوى قد يتخذ إلهاً من دون الله، أي أن الإنسان يخضع لهويته ويطيعه، فيكون قد اتخذها إلهاً. وهذا هو جوهر عبادة المال: الخضوع له والطاعة له.

وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ". "...فوصفهم بالعبودية، وإن كانت مجازية، لأنهم خضعوا للمال وأطاعوه وانقادوا له.

**ثانياً: تطور عبادة الأصنام عبر التاريخ**

لقد مرت عبادة الأصنام بمراحل متعددة عبر التاريخ البشري:

**المرحلة الأولى - عبادة الحجر والخشب:** كانت أقدم صور العبادة، حيث كان الإنسان يعبد ما يصنعه بيديه من حجر أو خشب.

**المرحلة الثانية - عبادة الكواكب والنجوم:** تطورت العبادة إلى عبادة ما يراه في السماء من شمس وقمر ونجوم.

**المرحلة الثالثة - عبادة البشر:** عبد بعض الناس بعضهم البعض، كفرعون الذي ادعى الألوهية، والنمرود الذي تحدى الله.

**المرحلة الرابعة - عبادة الأهواء والشهوات:** وهذه هي المرحلة التي نعيشها، حيث يعبد الإنسان هواه وشهوته، ويعبد المال الذي يحقق له هذه الشهوات.

وهذه المرحلة الأخيرة هي الأكثر خطورة، لأنها خفية لا يشعر بها صاحبها، فهو يظن أنه على حق، وهو في الحقيقة يعبد ما لا ينبغي عبادته.

**ثالثاً: كيف تحول المال إلى صنم العصر؟**

هناك عوامل متعددة أدت إلى تحول المال إلى صنم معبود في عصرنا:

**أولاً - بروز المال كمعيار وحيد للقيمة:**

في المجتمعات المعاصرة، صار المال هو المقياس الوحيد لنجاح الإنسان وقيمه. فالإنسان يُقيم بمقدار ما يملك، وليس بمقدار ما يقدم من خير أو ما يتحلى به من أخلاق. فقد كتب أحد المحللين الغربيين: "كان المال

في يوم ما مجرد أداة – اليوم هو معبود مثل الإله. نعيش من أجله، نضحى بالوقت والقيم للحصول عليه، ونقيس قيمتنا به بشكل متزايد."

### ثانياً – تقديس الأغنياء وتصويرهم كآلهة:

في عصرنا، يُرفع الأغنياء إلى منزلة الآلهة. يُصوِّرون كأبطال، ويُحتذى بهم، وتُقلد حياتهم. وقد أصبح الأغنياء "نجوماً" يُتابعهم الملايين، وتُصوَّر حياتهم الفاخرة على أنها المثال الأعلى للنجاح. وهذه الظاهرة تُسمى في الأدبيات الغربية – "Wealth Porn" إباحية الثراء – حيث تُعرض حياة الأغنياء الفاخرة بطريقة مثيرة تدفع المشاهدين إلى التعلق بالمال.

### ثالثاً – النظام الاقتصادي القائم على النمو الدائم:

يقوم النظام الاقتصادي العالمي على فكرة النمو الدائم والتراكم المستمر. وهذا النظام يخلق ثقافة لا تشبع، تطالب دائماً بالمزيد. كما قال أحد المحللين: "هذا الإله لا يشبع أبداً. كلما أخذ أكثر، طلب أكثر."

### رابعاً – تحويل كل شيء إلى سلعة:

في عصر الرأسمالية الاستهلاكية، تحول كل شيء إلى سلعة: الوقت، والاهتمام، والعلاقات، وحتى المشاعر. وحين يصبح كل شيء قابلاً للشراء والبيع، يصبح المال هو الإله الوحيد الذي يمنح القيمة لكل شيء.

### خامساً – تغييب القيم الروحية:

مع تقدم المادية، تراجعت القيم الروحية والأخلاقية في كثير من المجتمعات. وحل محلها القيم المادية: النجاح، الثراء، الاستهلاك. كما كتب أحد المحللين: "استبدلنا المعنى بالمادية. حيث سعت البشرية يوماً إلى الهدف والحكمة والتواصل، نطارد الآن أرقاماً على شاشة."

### رابعاً: ملامح عبادة المال في العصر الحديث

تتجلى عبادة المال في عصرنا في ملامح متعددة:

1. الهوس بالثراء السريع: أصبح الشباب يبحثون عن طرق سريعة للثراء، دون مبالاة بالحلال والحرام.
2. ثقافة "الاستعراض": "حيث يتباهى الناس بثرواتهم على وسائل التواصل الاجتماعي، ويقيمون أنفسهم بما يظهرون لا بما يبطنون.
3. تقديس النجاح المادي: أصبح النجاح يُقاس بالمال، والفشل يُقاس بالفقر، بغض النظر عن الأخلاق أو الدين.
4. الاستهلاك كعبادة: أصبح الشراء والاستهلاك طقساً يومياً، وكأنه عبادة يؤديها الإنسان.
5. تحويل العلاقات الإنسانية إلى معاملات مالية: حتى العلاقات الأسرية والزوجية أصبحت تُقَيَّم بمقياس المال.

**خامساً: التحذير النبوي من هذا التحول**

لقد حذر النبي ﷺ أمته من هذا التحول قبل أن يحدث بأربعة عشر قرناً. فقد قال: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ" رواه البخاري وقال أيضاً: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ" رواه الترمذي وهذه النبوات تتحقق اليوم أمام أعيننا: فقد أصبح المال هو المعبود، وأصبح الحرمان منه هو العذاب، وأصبح السعي وراءه هو الغاية الوحيدة للحياة.

**خاتمة الفصل: التحول الخفي**

إن تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال لم يكن تحولاً مفاجئاً، بل كان عملية تدريجية بدأت بتحويل المال من وسيلة إلى غاية، ثم من غاية إلى معبود. واليوم، نعيش في عصر أصبح فيه المال هو الإله الجديد، ومعابده الأسواق والبورصات، وكهنته رجال الأعمال والمصرفيون، وقرايبه أوقاتنا وأرواحنا وأخلاقنا. فمن أراد النجاة من هذه العبودية الخفية، فليذكر دائماً أن العبادة الحقيقية هي لله وحده، وأن المال وسيلة لا غاية، وأن القيمة الحقيقية للإنسان ليست في ما يملك، بل في ما يقدم من خير وفي ما يتصف به من أخلاق. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: 56 .

**الفصل الثاني****الإعلام وعبادة المال – دور وسائل الإعلام في تعزيز ثقافة المادية****تمهيد: الإعلام – معبد العصر الجديد**

إذا كانت الأصنام في الماضي تُعبد في المعابد، فإن الإعلام في عصرنا هو المعبد الجديد الذي تُقدّم فيه قرايب المال والوقت والاهتمام. فوسائل الإعلام – بكل تنوعها – أصبحت الأداة الأقوى في تعزيز ثقافة المادية، وتقديس المال، وتصوير الأغنياء كآلهة يُحتذى بها.

ففي الماضي، كان الناس يتعلمون القيم من الأسرة والمدرسة والمسجد. أما اليوم، فإن الشاشات – سواء كانت تلفازاً أو هاتفاً ذكياً – هي المصدر الأول للقيم والتوجهات. وهذه الشاشات، في معظمها، تروج لثقافة المال والاستهلاك، وتُصوّر الثراء على أنه الغاية الوحيدة في الحياة.

وفي هذا الفصل، سنتناول دور الإعلام في تعزيز "عبادة المال" من خلال عدة محاور: الإعلانات، والبرامج الواقعية، ووسائل التواصل الاجتماعي، والأفلام والمسلسلات.

**أولاً: الإعلانات – الخطب اليومية لعبادة الاستهلاك**

الإعلانات التجارية هي الشكل الأكثر وضوحًا لترويج ثقافة المادية. فهي لا تقدم منتجًا فقط، بل تقدم حلمًا وهوية وقيمة، وتُوجي للمشاهد أنه لن يكون سعيدًا أو ناجحًا أو مقبولًا اجتماعيًا إلا إذا اشترى هذا المنتج.

وتستخدم الإعلانات تقنيات نفسية متطورة:

- الربط بين المنتج والمكانة الاجتماعية: فمن يشتري سيارة فاخرة أو ساعة غالية، يصبح – في نظر الإعلان – شخصًا ناجحًا ومحترمًا.
- خلق الاحتياج: حيث تُوجي الإعلانات للمشاهد أنه بحاجة إلى شيء لم يكن يعرف أنه يحتاجه.
- تكرار الرسائل: بتكرار الإعلانات يوميًا، تُزرع في العقل الباطن رسائل مفادها أن السعادة تكمن في المال والاستهلاك.

وقد وصف أحد الباحثين هذه الظاهرة بقوله: "الإعلان يُعمق تقديس الثروة من خلال خلق رغبات مستمرة للرفاهية والمكانة... وتشير هذه الإعلانات إلى أن شراء المنتجات الراقية يرفع من القيمة الاجتماعية للفرد وتحقيقه لذاته."

**ثانيًا: البرامج الواقعية – تقديس حياة الأغنياء**

تُعد البرامج الواقعية (Reality TV) من أخطر وسائل تعزيز "عبادة المال"، لأنها تُصوّر حياة الأغنياء والمشاهير على أنها النموذج المثالي للحياة، وتُوجي للمشاهدين أن هذه الحياة ممكنة ومتاحة للجميع.

فبرامج مثل "Keeping Up with the Kardashians" وغيرها تُعرض حياة مليئة بالرفاهية والثراء، وتُصوّر الأغنياء كأبطال يستحقون الإعجاب والتقليد. وقد كتب أحد الباحثين: "المشاهدون يتعرضون باستمرار لملابس المصممين، والطائرات الخاصة، والمنازل التي تبلغ قيمتها ملايين الدولارات، مما يُروّج بمهارة لفكرة أن مثل هذا النمط من الحياة ليس مرغوبًا فيه فحسب، بل يمكن تحقيقه أيضًا من خلال الحلم الرأسمالي."

وقد أظهرت الدراسات أن التعرض المكثف لمثل هذه المحتويات يرتبط بزيادة المادية، وانخفاض الرضا عن الحياة، وزيادة التوتر.

**ثالثًا: وسائل التواصل الاجتماعي – معبد الاستعراض**

إذا كانت الإعلانات والبرامج الواقعية هي الوسائل التقليدية لنشر ثقافة المادية، فإن وسائل التواصل الاجتماعي هي الثورة الأحدث والأخطر في هذا المجال.

فمنصات مثل إنستغرام وتيك توك ويوتيوب أصبحت ساحات للاستعراض المالي، حيث يتباهى الناس بثرواتهم، ويعرضون حياتهم الفاخرة، ويقيسون قيمتهم بعدد الإعجابات والمتابعين.

وقد وُصفت هذه الظاهرة بأنها "إباحية الثراء (Wealth Porn)"، حيث تُعرض حياة الأغنياء بطريقة مثيرة، وكأنها فيلم سينمائي.

وتتجلى خطورة وسائل التواصل الاجتماعي في عدة جوانب:

1. **المقارنة المستمرة:** فالمستخدم يقارن حياته اليومية المتواضعة بحياة الأغنياء التي تُعرض على الشاشة، فيشعر بالنقص والإحباط.
2. **تحويل الثراء إلى "جمالية":** أصبح الثراء قيمة جمالية تُعرض وتستهلك، وليس مجرد حالة مادية.
3. **ثقافة "النجاح الوهمي":** حيث يُصوّر النجاح على أنه مجرد مظهر خارجي، وليس إنجازًا حقيقيًا.
4. **تأثير المؤثرين:** حيث يستخدم المؤثرون نفوذهم للترويج للمنتجات الفاخرة وأنماط الحياة المادية، مما يُؤثر في ملايين المتابعين.

#### رابعاً: الأفلام والمسلسلات – أساطير الثراء المعاصرة

تلعب الأفلام والمسلسلات دورًا كبيرًا في تشكيل تصورات الناس عن المال والثراء. فهي غالبًا ما تُصوّر الأغنياء بشكل إيجابي، وتبرز حياتهم الفاخرة بطريقة جذابة.

فعلى سبيل المثال، فيلم "The Wolf of Wall Street" رغم أنه ينتقد فساد البورصة – إلا أن المشاهد البصرية لحياة البطل الفاخرة (القصور، اليخوت، الحفلات) جعلت كثيرًا من المشاهدين **يعجبون** بثرائه بدلاً من أن يدينوا فساده.

وهكذا، تصبح الأفلام والمسلسلات أساطير معاصرة تُروّج لعبادة المال، وتُصوّر الأغنياء كأبطال خارقين.

#### خامساً: الآثار المدمرة للإعلام المادي

لوسائل الإعلام المادية آثار مدمرة على الأفراد والمجتمعات:

1. **تدمير العلاقات الإنسانية:** أظهرت الدراسات أن المادية – التي يروّج لها الإعلام – تؤثر سلبًا في العلاقات الشخصية. فمن كان ماديًا، يميل إلى تفضيل العمل على العلاقات، ويتوقع من الآخرين معايير غير واقعية.
2. **انخفاض الرضا عن الحياة:** أظهرت الدراسات أن التعرض المكثف للمحتويات المادية يرتبط بانخفاض الرضا عن الحياة وزيادة التوتر.
3. **تفاقم الفجوة الطبقيّة:** فالإعلام الذي يُصوّر الثراء على أنه الحلم المتاح للجميع يُخفي الحقيقة أن الفجوة الطبقيّة آخذة في الاتساع.
4. **تشويه الأولويات:** يُشوّه الإعلام أولويات الناس، فيجعلهم يسعون وراء المال والمظهر، ويتجاهلون القيم الروحية والأخلاقية.

### خاتمة الفصل: الإعلام بين النعمة والنقمة

الإعلام في ذاته ليس شرًا، بل هو أداة يمكن استخدامها في الخير أو الشر. ولكن الواقع أن معظم وسائل الإعلام المعاصرة تُستخدم لتعزيز ثقافة المادية والاستهلاك، وتقديس المال، وتصوير الأغنياء كآلهة.

فمن أراد السلامة من فتنة الإعلام، فليتحكم في استهلاكه الإعلامي، وليختار المحتويات التي تُقربه من الله، لا التي تُبعده عنه، وليتذكر أن ما يُعرض على الشاشات ليس هو الحقيقة الكاملة، بل هو صورة منتقاة تهدف إلى البيع والترويج، وليس إلى الهداية والإصلاح.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الحشر: 18

### الفصل الثالث

#### التفاوت الطبقي والفقير كمحرك لعبادة المال

##### تمهيد: الفقر والغنى – وجهان لعملة واحدة

غالبًا ما نتصور أن "عبادة المال" هي صفة خاصة بالأغنياء فقط. ولكن الحقيقة – كما تكشفها الدراسات الاجتماعية والنفسية – هي أن الفقراء قد يكونون أكثر تعلقًا بالمال من الأغنياء، وأن التفاوت الطبقي هو أحد أكبر محركات هذه الظاهرة.

فالفقر – أو الشعور بالفقر – يخلق نوعًا من الهوس بالمال، حيث يصبح المال هو الحلم الأكبر، والغاية الأسمى، والوسيلة الوحيدة للخلاص من واقع مؤلم. وفي المقابل، فإن التفاوت الطبقي الصارخ بين الأغنياء والفقراء يُؤلّد مشاعر الحرمان النسبي، التي تدفع الناس إلى السعي وراء المال بكل السبل.

وفي هذا الفصل، سنتناول العلاقة بين التفاوت الطبقي والفقر من جهة، وعبادة المال من جهة أخرى، ونسلط الضوء على الآليات النفسية والاجتماعية التي تربط بينهما.

##### أولاً: التفاوت الطبقي – أرض خصبة لعبادة المال

التفاوت الطبقي – أي الفجوة الهائلة بين الأغنياء والفقراء – هو أحد أكبر محركات عبادة المال في العصر الحديث. فكلما اتسعت الفجوة بين الطبقات، زاد التعلق بالمال، وزادت الرغبة في امتلاكه.

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن عدم المساواة الاقتصادية تزيد من المادية والاستهلاك التفاخري. ففي المجتمعات التي تعاني من تفاوت طبقي حاد، يصبح المال هو المقياس الوحيد للقيمة، ويصبح السعي وراءه هو الغاية الأسمى.

وتفسير ذلك يرجع إلى عدة عوامل:

1. **المقارنة الاجتماعية:** في مجتمع يعاني من تفاوت طبقي، يكون الناس دائماً في حالة مقارنة مع من هم أعلى منهم. وهذه المقارنة تولد شعوراً بالنقص، وتدفع إلى السعي وراء المال لتعويض هذا النقص.
2. **المكانة الاجتماعية:** في المجتمعات المادية، تُحدّد المكانة الاجتماعية بالمال. فمن لا يملك المال، لا يملك قيمة في نظر المجتمع. وهذا يدفع الناس إلى التعلق بالمال كوسيلة للحصول على القبول والاحترام.
3. **الخوف من الفقر:** حين يكون التفاوت كبيراً، يزداد الخوف من السقوط في قاع المجتمع. وهذا الخوف يدفع الناس إلى التمسك بالمال، والسعي وراء جمعه.

### ثانياً: الفقر – محرك خفي لعبادة المال

قد يكون الفقراء – من حيث المبدأ – أكثر تعلقاً بالمال من الأغنياء. فالفقر يخلق نوعاً من الهوس بالمال، حيث يصبح المال هو الحلم الأكبر. وهذا ما تؤكدته الدراسات التي تُظهر أن الأفراد الأصغر سناً والأفراد ذوي الثروات المنخفضة هم الأكثر عرضة لعبادة المال. وتفسير ذلك يعود إلى عدة أسباب:

1. **الحرمان والندرة:** حين يكون المال نادراً، يصبح أثنى وأغلى. فالفقراء يرون في المال مفتاح الخلاص من واقعهم الصعب.
2. **الحلم بالخروج من الفقر:** الفقراء يحلمون بالثراء كوسيلة للهروب من الفقر. وهذا الحلم قد يتحول إلى هوس.
3. **الشعور بالظلم:** حين يرى الفقير الأغنياء يعيشون في رفاهية، بينما هو يعاني، يزداد شعوره بالظلم، وتزداد رغبته في المال كوسيلة لتحقيق العدالة.
4. **التأثير الإعلامي:** الفقراء هم الأكثر تعرضاً للمحتويات الإعلامية التي تُصوّر حياة الأغنياء، مما يزيد من شعورهم بالحرمان، ويزيد من تعلقهم بالمال.

### ثالثاً: الغنى – اختبار أشد من الفقر

في المقابل، قد يكون الغنى – في بعض الأحيان – اختباراً أشد من الفقر، لأن المال يحمل معه إغراءات خفية، ويمنح صاحبه قدرة على التأجيل والتسويق. فالغني الذي يعبد المال لا يختلف عن الفقير الذي يعبده. كلاهما أسير للمال، وإن اختلفت الصورة. فالفقير يعبد المال لأنه لا يملكه، والغني يعبده لأنه يملكه ويخاف أن يفقده.

وقد قال النبي ﷺ: "مَا ذُئِبَانَ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ" (رواه الترمذي). فالحرص على المال – سواء كان الفقراء أو الأغنياء – يفسد الدين.

#### رابعاً: الآليات النفسية – كيف يولد التفاوت عبادة المال؟

هناك آليات نفسية عدة تفسر كيف يولد التفاوت الطبقي عبادة المال:

1. **الحسد والغيرة:** حين يرى الفقير الغني، يشعر بالحسد والغيرة. وهذه المشاعر تدفعه إلى السعي وراء المال بأي ثمن.
2. **القلق الاجتماعي:** في المجتمعات المادية، يشعر الناس بالقلق من فقدان مكانتهم الاجتماعية. وهذا القلق يدفعهم إلى السعي وراء المال.
3. **الهوية المادية:** يبدأ الناس في تعريف أنفسهم بما يملكون، وليس بما هم عليه. فتصبح هويتهم مرتبطة بمالهم، وهذا يزيد من تعلقهم به.
4. **الاستهلاك التعويضي:** يحاول بعض الناس تعويض نقصهم النفسي أو الاجتماعي من خلال الاستهلاك والشراء. وهذا يزيد من تعلقهم بالمال.

#### خامساً: الحل الإسلامي – بين العدل والزكاة

يقدم الإسلام حلاً عملياً للحد من التفاوت الطبقي، وبالتالي الحد من عبادة المال:

1. **نظام الزكاة:** الزكاة هي الوسيلة الأساسية لإعادة توزيع الثروة وتقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء.
2. **تحريم الاحتكار:** الإسلام يحرم احتكار السلع الأساسية، ويحث على تداول المال بين الناس.
3. **الحث على الإنفاق:** الإسلام يحث على الإنفاق في سبيل الله، ويذم البخل والكنز.
4. **الأخوة الإيمانية:** الإسلام يخلق رابطة أخوة بين المؤمنين، تتجاوز الفوارق المادية.
5. **القناعة والرضا:** الإسلام يعلم الناس القناعة والرضا بما قسمه الله، ويذكرهم أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

وقد قال النبي ﷺ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ" (متفق عليه). فهذا هو الغنى الحقيقي الذي يقي الإنسان من عبودية المال.

#### خاتمة الفصل: التفاوت – أرض خصبة

إن التفاوت الطبقي هو أرض خصبة لتنمو فيها عبادة المال. فكلما اتسعت الفجوة بين الطبقات، زاد التعلق بالمال، وزادت المادية، وزادت المشاكل الاجتماعية والنفسية.

فمن أراد السلامة من هذه الآفة، فليعمل على تقليل التفاوت في مجتمعه، وليحرص على العدل في توزيع الثروة، وليذكر أن المال اختبار وابتلاء، وأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس والتقوى.

قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ الحشر: 7

## الفصل الرابع

### المقارنة بين المجتمعات – الشرق والغرب في ميزان عبادة المال

**تمهيد:** ظاهرة عالمية بأوجه مختلفة

بعد أن استعرضنا في الفصول السابقة تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال، ودور الإعلام في تعزيز هذه الظاهرة، وتأثير التفاوت الطبقي عليها، نتناول في هذا الفصل الأخير سؤالاً مهماً: هل عبادة المال ظاهرة عالمية موحدة، أم أنها تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات؟

الإجابة: عبادة المال ظاهرة عالمية، ولكنها تختلف في مظاهرها وحدثها وآلياتها بين المجتمعات الشرقية والغربية. فكل مجتمع له خصوصيته الثقافية والتاريخية التي تشكل علاقته بالمال.

وفي هذا الفصل، سنقارن بين الشرق والغرب في علاقتهما بالمال، مسلطين الضوء على أوجه التشابه والاختلاف، ومحاولين فهم كيف تعمل العوامل الثقافية والدينية والتاريخية على تشكيل هذه العلاقة.

#### أولاً: الغرب – عبادة المال في أبهى صورها

في المجتمعات الغربية – وخاصة في ظل النظام الرأسمالي – وصلت عبادة المال إلى أقصى درجاتها. فالمال أصبح الإله الجديد، والمعابد الجديدة هي البورصات والأسواق المالية.

مظاهر عبادة المال في الغرب:

1. تقديس النجاح المادي: النجاح في الغرب يُقاس بالمال. فالغني هو الناجح، والفقير هو الفاشل.
2. ثقافة "الإنجاز": حيث يُنظر إلى الثراء على أنه نتيجة للجهد والذكاء، والفقير على أنه نتيجة للكسل والفسل.
3. الاستهلاك كقيمة: أصبح الاستهلاك قيمة في حد ذاته. فالإنسان الغربي يُعرّف نفسه بما يشتري، وليس بما هو عليه.
4. تأثير الإعلام: الإعلام الغربي هو الأكثر ترويجاً لثقافة المادية والاستهلاك.
5. علمنة المجتمع: مع تراجع الدين في الغرب، حل المال محل القيم الروحية.

عبادة المال في الغرب – رؤية نقدية:

يصف أحد المحللين الغربيين هذه الظاهرة بقوله: "كان المال في يوم ما مجرد أداة - اليوم هو معبود مثل الإله. نعيش من أجله، نضحى بالوقت والقيم للحصول عليه، ونقيس قيمتنا به بشكل متزايد. الأمم تطيع قوانينه، والعلاقات تنهار في سبيله، والكوكب يعاني لإرضاء جوعه."

ويضيف: "لقد استبدلنا المعنى بالمادية. حيث سعت البشرية يومًا إلى الهدف والحكمة والتواصل، نطارد الآن أرقامًا على شاشة. يُرفع المليارديرات إلى منزلة المشاهير، وتُبجّل الشركات، ويُنظر إلى الفقر ليس كفشل نظامي بل كضعف شخصي."

### ثانيًا: الشرق - بين الروحانية والمادية

في المقابل، فإن المجتمعات الشرقية - وخاصة المجتمعات الإسلامية - كانت تقوم على قيم روحية وجماعية، تختلف عن القيم المادية الفردية في الغرب.

ولكن مع العولمة وانتشار الثقافة الاستهلاكية الغربية، بدأت المجتمعات الشرقية تتبنى - تدريجيًا - نفس القيم المادية.

### مظاهر عبادة المال في الشرق:

1. تأثير العولمة: مع انتشار الإعلام الغربي والثقافة الاستهلاكية، بدأت المجتمعات الشرقية تتبنى نفس القيم المادية.
2. الصراع بين القديم والجديد: تعاني المجتمعات الشرقية من صراع بين قيمها الروحية التقليدية والقيم المادية المستوردة.
3. الاستهلاك التفاخري: أصبح الاستهلاك التفاخري - أي شراء السلع الفاخرة لإظهار المكانة - ظاهرة منتشرة في الشرق.
4. تأثير وسائل التواصل: وسائل التواصل الاجتماعي لها نفس التأثير في الشرق كما في الغرب، إن لم يكن أكثر.
5. تفاقم التفاوت الطبقي: التفاوت الطبقي في الشرق - خاصة في الدول النامية - هو الأكثر حدة، مما يزيد من التعلق بالمال.

### الخصوصية الشرقية:

رغم انتشار المادية في الشرق، إلا أن هناك خصوصيات تميز المجتمعات الشرقية عن الغربية:

1. الدين: الدين لا يزال له حضور في المجتمعات الشرقية، مما يوفر نوعًا من المقاومة للمادية المطلقة.
2. الجماعية: المجتمعات الشرقية لا تزال تميل إلى الجماعية أكثر من الفردية، مما يخفف من حدة المادية.

3. القيم العائلية: القيم العائلية لا تزال قوية في الشرق، مما يقلل من التعلق المفرط بالمال.
4. المقاومة الثقافية: هناك مقاومة ثقافية للقيم الغربية في بعض المجتمعات الشرقية.

### ثالثاً: أوجه التشابه - ظاهرة عالمية

رغم الاختلافات بين الشرق والغرب، هناك أوجه تشابه كثيرة في ظاهرة عبادة المال:

1. المال كمعيار للقيمة: في كلتا الحضارتين، صار المال هو المقياس الأساسي لقيمة الإنسان.
2. تأثير الإعلام: في كلتا الحضارتين، يلعب الإعلام دورًا محوريًا في تعزيز ثقافة المادية.
3. الاستهلاك التفاخري: في كلتا الحضارتين، أصبح الاستهلاك التفاخري ظاهرة منتشرة.
4. تفاقم التفاوت الطبقي: في كلتا الحضارتين، يتسع التفاوت بين الأغنياء والفقراء.
5. تدهور العلاقات الإنسانية: في كلتا الحضارتين، تؤدي المادية إلى تدهور العلاقات الإنسانية.

### رابعاً: الإسلام - الوسطية بين الروح والمادة

في هذا السياق، يقدم الإسلام نموذجًا وسطًا بين المادية المطلقة في الغرب والروحانية المفرطة في بعض التقاليد الشرقية.

فالإسلام:

- لا يرفض المال، بل يعتبره نعمة من الله ووسيلة للحياة.
- لا يعبد المال، بل يجعله في يد العبد لا في قلبه.
- يُقَرُّ بالملكية الخاصة، لكنه يقيد بها بالضوابط الشرعية.
- يُقَرُّ بالتفاوت في الأرزاق، لكنه يدعو إلى العدل والتكافل.
- يُحَرِّم الكنز، ويحث على الإنفاق والزكاة.

وهذا النموذج الوسطي هو الحل الأمثل لمواجهة ظاهرة عبادة المال في عصرنا.

### خامساً: الدروس المستفادة من المقارنة

1. عبادة المال ظاهرة عالمية: لا تخص ثقافة دون أخرى، وإن اختلفت مظاهرها.
2. العولمة تُسرِّع انتشارها: مع انتشار الإعلام والثقافة الاستهلاكية، تنتشر عبادة المال في كل مكان.
3. الدين حصن ضدها: المجتمعات التي تحتفظ بقيمتها الدينية تكون أكثر مقاومة لعبادة المال.
4. التوازن مطلوب: لا المادية المطلقة ولا الزهد المفرط، بل الوسطية التي يعرفها الإسلام.

5. **الحل في القيم:** الحل الحقيقي لمواجهة عبادة المال هو في إحياء القيم الروحية والأخلاقية.

### خاتمة الفصل: الشرق والغرب – وجهان لعملة واحدة

في النهاية، نجد أن الشرق والغرب – رغم اختلافاتهما الثقافية والتاريخية – يشتركان في ظاهرة عبادة المال. وقد أصبح العالم – بفضل العولمة – قرية واحدة، تنتشر فيها نفس القيم المادية، وتُعبَد فيها نفس الأصنام.

ولكن الإسلام – بنموذجه الوسطي – يقدم الحل الأمثل: أن نأخذ من الدنيا ما يحتاجه أبداننا، ونترك منها ما يشغل قلوبنا عن خالقنا. فالمال وسيلة لا غاية، والغنى الحقيقي هو غنى النفس، والقيمة الحقيقية للإنسان ليست في ما يملك، بل في ما يقدم من خير وفي ما يتصف به من أخلاق.

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: 77 .

### خاتمة الباب السابع

بهذا نكون قد استكملنا الباب السابع من كتابنا، حيث تناولنا "عبد المال" كظاهرة عصرية من أربع زوايا:

- في **الفصل الأول**، تتبعنا تحول عبادة الأصنام إلى عبادة المال، ورأينا كيف تطور الشرك من صورته التقليدية إلى صورته الحديثة، حيث أصبح المال هو الإله الجديد في عصرنا.
- في **الفصل الثاني**، استعرضنا دور الإعلام في تعزيز ثقافة المادية، ورأينا كيف أصبحت وسائل الإعلام – من إعلانات وبرامج واقعية ووسائل تواصل اجتماعي – معابد جديدة لهذه العبادة، تُقدَّم فيها قرابين الوقت والاهتمام.
- في **الفصل الثالث**، حللنا العلاقة بين التفاوت الطبقي والفقر من جهة، وعبادة المال من جهة أخرى، ورأينا كيف يولد الحرمان تعلقًا مفرطًا بالمال، وكيف يكون الفقراء أحيانًا أكثر تعلقًا بالمال من الأغنياء.
- في **الفصل الرابع**، قارنا بين المجتمعات الشرقية والغربية في علاقتها بالمال، ورأينا أن عبادة المال ظاهرة عالمية، وإن اختلفت مظاهرها وحدتها بين الثقافات، وأن الإسلام يقدم نموذجًا وسطًا بين المادية المطلقة والروحانية المفرطة.

وهذه الفصول الأربعة ترسم لنا صورة كاملة عن حجم ظاهرة "عبادة المال" في عصرنا، وعن العوامل التي تغذيها وتوسع انتشارها، وعن الحلول الممكنة لمواجهة لها.

فمن أراد السلامة من هذه الآفة العالمية، فليتمسك بدينه، وليجعل المال في يده لا في قلبه، وليذكر أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، وأن القيمة الحقيقية للإنسان ليست في ما يملك، بل في ما يقدم من خير وفي ما يتصف به من أخلاق. ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## الباب الثامن

# كيف تتعامل مع "عبدالمال"؟

### تمهيد الباب

بعد أن استعرضنا في الأبواب السابقة شخصية "عبد المال" من كل جوانبها – تعريفًا ومواصفات، وصورة في القرآن والسنة، ونماذج تاريخية، ومصيرًا محتومًا، وظاهرة عصرية متفشية – يحين الآن السؤال الأهم: كيف نتعامل مع هذه الظاهرة؟

فالمعرفة بحد ذاتها ليست غاية، بل هي وسيلة للتغيير والإصلاح. وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39]. فالمطلوب بعد المعرفة هو السعي والعمل.

وهذا الباب يُشكّل خريطة طريق عملية للتعامل مع ظاهرة "عبد المال" على مستويات متعددة، تبدأ بالفرد وتندرج إلى الأسرة فالمجتمع فالحكومة فالإعلام، لأن التغيير الحقيقي لا يتحقق بجهد منفرد، بل بتضافر الجهود على كل المستويات.

- **الفصل الأول:** دور الفرد في تصحيح علاقته بالمال – وهو الأساس الذي تقوم عليه كل الجهود الأخرى.
- **الفصل الثاني:** دور الأسرة – لأن التربية الصحيحة هي الدرع الأول ضد فتنة المال.
- **الفصل الثالث:** دور المجتمع والمؤسسات – من خلال محاربة الفساد وتفعيل الزكاة.
- **الفصل الرابع:** دور الحكومات – بإقامة الأنظمة المالية العادلة التي تمنع الاستغلال.
- **الفصل الخامس:** دور الدعوة والإعلام – في بناء الوعي المجتمعي وتصحيح المفاهيم.

وقد التزمنا في هذا الباب بالمنهجية نفسها التي اتبعناها في الأبواب السابقة: الاستناد إلى النصوص الشرعية، والرجوع إلى أقوال العلماء، مع تقديم رؤية عملية قابلة للتطبيق، مستشهدين بما يناسب من أحاديث وآثار.

نسأل الله أن يجعل هذا الباب نافعًا لمن قرأه، وهاديًا لمن تبعه، ومخرجًا لنا جميعًا من عبودية المال إلى عبودية الله وحده.

## الفصل الأول

## دور الفرد في تصحيح علاقته بالمال – علاج حب المال عملياً

## تمهيد: التغيير يبدأ من الداخل

قبل أن نطالب المجتمع أو الحكومة أو الإعلام بتغيير شيء، علينا أن نبدأ بأنفسنا. فالتغيير الحقيقي يبدأ من داخل الإنسان، من قلبه قبل يديه. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]. فهذه سنة الله في خلقه: التغيير يبدأ من الداخل، ثم يمتد إلى الخارج.

لذلك، كان لزاماً أن نبدأ هذا الباب بدور الفرد في تصحيح علاقته بالمال، لأن الفرد هو اللبنة الأولى في أي بناء اجتماعي. فإذا صلح الفرد، صلح المجتمع. وإذا فسد، فسد الكل.

وفي هذا الفصل، سنقدم خطة عملية من سبع خطوات لعلاج حب المال، مستندين إلى ما جاء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء.

## أولاً: الخطوة الأولى – التوبة والاستغفار

أول خطوة في علاج أي انحراف هي التوبة إلى الله والاستغفار عما مضى. ف"عبد المال" – سواء كان غنياً أو فقيراً – يحتاج إلى أن يتوب إلى الله من تعلق قلبه بالمال، ومن تقديمه على طاعة الله، ومن تفريطه في حقوق الله وحقوق الناس.

والتوبة النصوح لها شروط:

1. الإقلاع عن الذنب – أي ترك التعلق المفرط بالمال، وترك ما كان يفعله من حرام في سبيل جمعه.
2. الندم على ما فات – أن يندم على ما ضيعه من عمر في جمع المال، وما فرط فيه من حقوق الله.
3. العزم على عدم العودة – أن يعزم عزيمة صادقة على ألا يعود إلى هذه العبودية للمال.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]. فهذه الآية تفتح باب الأمل لكل من أسرف على نفسه، ومنهم "عبد المال" الذي أسرف في حب المال.

## ثانياً: الخطوة الثانية – تصحيح النية وتجديد الإخلاص

الخطوة الثانية هي تصحيح النية، بأن يجعل العبد همه في طلب المال هو الإنفاق في طاعة الله، لا مجرد الجمع والادخار. فالمال يجب أن يكون وسيلة للعبادة، لا غاية في نفسه.

يقول ابن القيم رحمه الله في هذا المعنى: "فَمَتَى كَانَ الْمَالُ فِي يَدِكَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ لَمْ يَضُرَّكَ وَلَوْ كَثُرَ، وَمَتَى كَانَ فِي قَلْبِكَ ضُرَّكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِكَ مِنْهُ شَيْءٌ". فالعلاج يكمن في إخراج المال من القلب، وجعله في اليد فقط.

وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (رواه البخاري ومسلم). فمن نوى بماله طاعة الله، كان ماله في ميزان حسناته. ومن نوى به المفاخرة والتباهي، كان وبالاً عليه.

ويمكن للفرد أن يجدد نيته كل يوم، بأن يقول في نفسه: "اللهم اجعل مالي وسيلة لطاعتك، وبارك لي فيه، ولا تجعله فتنة لي".

### ثالثاً: الخطوة الثالثة – الإكثار من ذكر الموت والآخرة

إن أكثر ما يعين العبد على التخلص من حب المال هو تذكر الموت وما بعده. فالمال لا ينفع عند الموت، ولا يشفع للعبد يوم القيامة.

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ".

فمن تذكر هذا الحديث كلما تعلق قلبه بالمال، هان عليه المال، وازداد إقباله على العمل الصالح.

وقد قال ابن القيم رحمه الله: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، أو منهما معاً". فالزهد في الدنيا – أي عدم التعلق بها – هو الطريق إلى الرغبة في الآخرة.

### رابعاً: الخطوة الرابعة – الإنفاق والبذل – العلاج العملي

من أعظم العلاجات لحب المال هو الإنفاق في سبيل الله. فالنفس إذا تعودت على البذل والعطاء، خفت تعلقها بالمال، وازدادت بركته.

وقد ورد في أحد المواقع الدعوية: "وأما العلاج والحل فإنه يكون بالإنفاق والبذل". فهذا هو العلاج العملي: أن يجعل الإنسان لنفسه صدقة دورية، أو يتصدق كلما شعر بتعلق قلبه بالمال.

وقد قال النبي ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ" (رواه مسلم). فالصدقة لا تنقص المال، بل تزيده بركة، وتطهر النفس من الشح والبخل.

ويمكن للفرد أن يبدأ بصدقات صغيرة، ثم يزيدها تدريجياً، حتى يصبح الإنفاق عادة لديه، ويزول التعلق المفرط بالمال.

**خامساً: الخطوة الخامسة – القناعة والرضا بقضاء الله**

القناعة هي كنز لا يفنى. فمن قنع بما قسمه الله له، عاش سعيدًا مطمئنًا. ومن لم يقنع، ظل في تعب وهم لا ينتهي.

وقد قال النبي ﷺ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ" (متفق عليه). فالغنى الحقيقي ليس كثرة المال، بل غنى النفس، وهو القناعة والرضا.

وقد قال بعض السلف: "القناعة كنز لا يفنى". "فمن ملك القناعة، ملك السعادة في الدنيا والآخرة.

ويمكن للفرد أن يمارس القناعة من خلال:

- النظر إلى من هو أقل منه مالاً، كما قال النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله" (رواه مسلم).
- تذكر نعم الله الأخرى، كالصحة والأمن والأهل، فهي نعم لا تقدر بمال.
- الإيمان بأن الرزق بيد الله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6].

**سادساً: الخطوة السادسة – البعد عن أسباب التعلق بالمال**

العلاج لا يقتصر على فعل الخير، بل يشمل أيضًا ترك أسباب الشر. فمن أراد أن يتخلص من حب المال، فعليه أن يبتعد عن الأسباب التي تزيد هذا الحب:

1. تجنب النظر إلى حياة الأغنياء، خاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، لأن ذلك يزيد التعلق بالمال والحسد.
2. تجنب مجالس المفاخرة والتفاخر، حيث يتباهى الناس بأموالهم وممتلكاتهم.
3. تجنب الإعلانات التجارية التي تخلق رغبات مصطنعة في النفس.
4. تجنب الدخول في ديون غير ضرورية، لأن الدين يزيد التعلق بالمال والخوف من الفقر.

**سابعاً: الخطوة السابعة – الدعاء والتضرع إلى الله**

الدعاء هو سلاح المؤمن في كل شيء، ومنه في علاج حب المال. فالدعاء يغير الأقدار، ويفتح أبواب الرحمة. ومن الأدعية التي يمكن أن يدعو بها العبد:

- "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال" (رواه البخاري). فالبخل من آفات حب المال.
- "اللهم بارك لنا في أموالنا، ولا تجعلها فتنة لنا."

• "اللهم اجعل المال في أيدينا لا في قلوبنا. "

وقد قال النبي ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" (رواه الترمذي). فالدعاء عبادة وقربة، وهو من أعظم الأسباب لتغيير النفس.

### خاتمة الفصل: رحلة التغيير تبدأ بخطوة

إن علاج حب المال ليس عملية لحظية، بل هو رحلة مستمرة تحتاج إلى صبر ومثابرة. ولكنها رحلة تستحق العناء، لأنها تؤدي إلى الحرية الحقيقية: التحرر من عبودية المال إلى عبودية الله.

وخلاصة ما يمكن أن يفعله الفرد لتصحيح علاقته بالمال:

1. التوبة عما مضى.
2. تصحيح النية وتجديد الإخلاص.
3. تذكر الموت والآخرة.
4. الإنفاق والبذل كعلاج عملي.
5. القناعة والرضا بقضاء الله.
6. البعد عن أسباب التعلق بالمال.
7. الدعاء والتضرع إلى الله.

فمن سلك هذا السبيل، كان بإذن الله من الناجين من فتنة المال، ومن السعداء في الدنيا والآخرة.

## الفصل الثاني

### دور الأسرة – تربية النشء على القيم الصحيحة تجاه المال

#### تمهيد: الأسرة – المدرسة الأولى

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل القيم والمبادئ التي ستشكل شخصيته طوال حياته. وقد قال العلماء: "البيت هو المدرسة الأولى، وهو البيئة التي يتشكل فيها وعي الطفل." فما يخرسه الوالدان في أبنائهما منذ نعومة أظفارهم يبقى معهم مدى الحياة.

ومن هنا، كان دور الأسرة في تربية النشء على القيم الصحيحة تجاه المال دورًا محوريًا لا يمكن الاستغناء عنه. فالطفل الذي ينشأ على حب المال والحرص عليه، سيكون عرضة لأن يصبح "عبد مال" في المستقبل. والطفل الذي ينشأ على القناعة والإنفاق والبذل، سيكون بإذن الله من مالكي المال لا من عبيده.

وفي هذا الفصل، سنتناول دور الأسرة في تربية النشء على القيم الصحيحة تجاه المال، من خلال عدة محاور.

**أولاً: غرس القيم المالية الصحيحة منذ الصغر**

يجب على الوالدين أن يبدأوا في غرس القيم المالية الصحيحة في أبنائهم منذ سن مبكرة، وذلك من خلال:

1. **تعليمهم أن المال وسيلة لا غاية:** أن يفهم الطفل أن المال ليس هدفاً في حد ذاته، بل هو وسيلة للحصول على ما يحتاجه، ووسيلة لمساعدة الآخرين.
2. **تعليمهم قيمة العمل:** أن يتعلم الطفل أن المال يأتي من العمل والجهد، وليس من مجرد الطلب أو التمني.
3. **تعليمهم الفرق بين الحاجة والرغبة:** أن يميز الطفل بين ما يحتاجه حقاً، وما هو مجرد رغبة عابرة.
4. **تعليمهم الادخار والإنفاق المتوازن:** أن يتعلم الطفل كيف يدخر جزءاً من ماله، وكيف ينفق جزءاً آخر بحكمة.
5. **تعليمهم الزكاة والصدقة:** أن يتعلم الطفل أن جزءاً من ماله حق للفقراء والمساكين، وأن الإنفاق في سبيل الله من شيم المؤمنين.

وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن "التربية على التكافل تُعدّ الطفل ليكون عضواً نافعاً لمجتمعه، يُفكر في الآخرين كما يُفكر في نفسه". فهذه التربية تُنشئ جيلاً لا يعبد المال، بل يسخره لخدمة المجتمع.

**ثانياً: القدوة الحسنة – الأب والأم نموذجان**

أكبر مؤثر في تربية الأبناء هو القدوة. فالطفل يتعلم من تصرفات والديه أكثر مما يتعلم من كلامهما. فإذا كان الأب شديد الحرص على المال، بخيلاً، منشغلاً بالجمع عن أسرته، فإن الابن سيتعلم هذه الصفات منه. وإذا كان الأب كريماً، منفقاً، متوازناً في تعامله مع المال، فإن الابن سيتعلم منه ذلك.

وقد قال العلماء: "إن تربية الأبناء ليست مجرد توفير الاحتياجات المادية فقط، بل تشمل تقديم التوجيه السليم وغرس القيم النبيلة". فالتوجيه السليم يبدأ بالقدوة الحسنة.

ومن مظاهر القدوة الحسنة في التعامل مع المال:

- أن يرى الأبناء آباءهم يتصدقون ويبدلون في سبيل الله.
- أن يرى الأبناء آباءهم يقنعون بما آتاهم الله، ولا يتذمرون من قلة المال.
- أن يرى الأبناء آباءهم يعملون بجد، ولا يتكاسلون عن طلب الرزق الحلال.
- أن يرى الأبناء آباءهم يتعاملون بالعدل مع الناس، ولا يظلمون أحداً في سبيل المال.

**ثالثاً: التربية العملية – تدريب الأبناء على إدارة المال**

لا يكفي أن يتحدث الوالدان عن القيم المالية، بل يجب أن يدرّبا أبنائهما على تطبيق هذه القيم عملياً.

ومن وسائل التدريب العملي:

1. إعطاء الطفل مصروفًا منتظمًا، وتعليمه كيفية إدارته (الادخار، الإنفاق، التصدق).
  2. تشجيع الطفل على العمل في سن مبكرة، ولو بأعمال بسيطة، ليتعلم قيمة المال.
  3. إشراك الطفل في قرارات الإنفاق العائلية، ليتعلم كيفية التخطيط المالي.
  4. تعليم الطفل كتابة ميزانية بسيطة، ليتعلم تنظيم دخله ونفقاته.
  5. تشجيع الطفل على التبرع من ماله الخاص، ليتعلم البذل والعطاء.
- وهذه التربية العملية تجعل الطفل يمارس القيم التي يتعلمها، فتترسخ في نفسه وتصبح جزءًا من شخصيته.

#### رابعاً: الحماية من المؤثرات السلبية

في عصر وسائل التواصل الاجتماعي والإعلانات التجارية، يتعرض الأطفال لكم هائل من الرسائل التي تروج للمادية والاستهلاك. ولذلك، يجب على الأسرة أن تحمي أبناءها من هذه المؤثرات السلبية.

ومن وسائل الحماية:

1. مراقبة ما يشاهده الأطفال على التلفاز والإنترنت، وتوجيههم نحو المحتويات النافعة.
2. تعليم الأطفال النقد الإعلامي، بأن يفهموا أن الإعلانات تهدف إلى البيع، وليس إلى نصحتهم.
3. تعليم الأطفال القناعة، بأن يذكروهم بأن السعادة ليست في كثرة المال والممتلكات.
4. تشجيع الأطفال على ممارسة الأنشطة غير المادية، كالرياضة والقراءة والعمل التطوعي.

#### خامساً: تعليم الأولاد مسؤولية المال

يجب أن يتعلم الأبناء أن المال أمانة عندهم، وأنهم مسؤولون عنه أمام الله. قال تعالى: ﴿ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴾ متفق عليه .

ومن مظاهر تعليم المسؤولية:

- ✚ تعليمهم أن المال الذي بأيديهم ليس ملكًا مطلقًا لهم، بل هو عطاء من الله، وسيسألون عنه يوم القيامة.
- ✚ تعليمهم أن من حقوق المال: الزكاة، والإنفاق على الأقارب، والصدقة على الفقراء.
- ✚ تعليمهم أن المال الحرام لا بركة فيه، وأنه سبب للعذاب في الدنيا والآخرة.

## خاتمة الفصل: الأسرة – الدرع الأول

إن الأسرة هي الدرع الأول الذي يحمي الأبناء من فتنة المال. فإذا قامت الأسرة بدورها على أكمل وجه، نشأ جيل يعرف قيمة المال، ولا يستعبده المال. جيل يعرف أن المال وسيلة للعبادة، لا غاية في نفسه. جيل يعرف أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، لا كثرة المال. فليتق الله الآباء والأمهات في أبنائهم، وليغرسوا فيهم القيم الصحيحة تجاه المال، ليصبحوا من مالكي المال لا من عبده.

## الفصل الثالث

### دور المجتمع والمؤسسات – محاربة الفساد وتفعيل الزكاة

#### تمهيد: المجتمع – الرقيب والمساند

بعد أن تحدثنا عن دور الفرد ودور الأسرة، ننتقل إلى المستوى الأوسع: دور المجتمع والمؤسسات. فالفرد والأسرة لا يعيشان في فراغ، بل هما جزء من نسيج اجتماعي كبير، يؤثر فيه ويتأثر به. فالمجتمع الفاسد يفسد الأفراد، والمجتمع الصالح يصلحهم. ولذلك، كان لابد من الحديث عن دور المجتمع في مواجهة ظاهرة "عبد المال"، من خلال محورين رئيسيين: محاربة الفساد المالي، وتفعيل الزكاة، وهما الوسيلتان الأساسيتان لخلق مجتمع لا يعبد المال، بل يسخره لخدمة الله والناس.

#### أولاً: محاربة الفساد المالي – واجب المجتمع

الفساد المالي هو أحد أكبر محركات عبادة المال، لأنه يُشيع ثقافة أن المال يمكن الحصول عليه بأي وسيلة، وأن الغش والرشوة والاختلاس هي طرق مشروعة للثراء. والمجتمع الذي ينتشر فيه الفساد، ينتشر فيه أيضاً تعلق الناس بالمال، لأنهم يرون أن المال هو السبيل الوحيد للنجاة من الفقر والظلم. ولذلك، فإن محاربة الفساد المالي هي واجب على المجتمع بأسره، وليس على الحكومة فقط.

#### ✚ دور الرقابة المجتمعية:

يشير أحد المصادر إلى "أهمية تفعيل دور الرقابة المجتمعية في مكافحة الفساد من منظور إسلامي". فالرقابة المجتمعية تعني أن يكون أفراد المجتمع رقباء على بعضهم البعض، وأن يكشفوا الفساد أينما وجد، وألا يسكتوا عن الظلم والغش.

وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعِزَّهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" (رواه مسلم). فهذا الحديث يُلزم كل فرد في المجتمع بتغيير المنكر، ومن أعظم المنكرات الفساد المالي.

### ✚ نبذ ثقافة التغاضي عن الفساد:

في كثير من المجتمعات، أصبح التغاضي عن الفساد ثقافة سائدة، حيث يرى الناس أن الفساد أمر طبيعي، وأن "كل الناس تفعل ذلك". وهذه الثقافة هي التي تغذي عبادة المال، لأنها تجعل المال الحرام أمرًا مقبولاً.

ولذلك، يجب على المجتمع أن ينبذ هذه الثقافة، وأن يُعيد الاعتبار للقيم الأخلاقية، وأن يُعلّم الناس أن المال الحرام لا بركة فيه، وأن عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة.

### ✚ دعم المؤسسات الرقابية:

يجب على المجتمع أن يدعم المؤسسات الرقابية (كالأجهزة القضائية، وهيئات مكافحة الفساد، والرقابة المالية) وأن يُعينها على أداء دورها، وأن يُبلّغ عن الفساد أينما وجد.

### ثانياً: تفعيل الزكاة – الحل الإسلامي للتفاوت الطبقي

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي عبادة مالية عظيمة، ولكنها ليست مجرد عبادة فردية، بل هي نظام اجتماعي متكامل يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي وتوزيع الثروة بشكل عادل.

وقد أشار أحد المصادر إلى أن "الزكاة تعد، وعن طريق جبايتها، من الآليات الهامة لإشاعة التكافل بين أفراد المجتمع، ففي تحصيلها سد خلة المحتاجين، وحفظ كرامتهم، وصون عفتهم، وتخفيف معاناتهم."

### كيف تُفَعّل الزكاة دورها في محاربة عبادة المال؟

1. تقليل الفجوة بين الأغنياء والفقراء: الزكاة تعيد توزيع الثروة من الأغنياء إلى الفقراء، مما يقلل من التفاوت الطبقي الذي يُغذّي عبادة المال.
2. تطهير نفوس الأغنياء من الشح: الزكاة تُطهر نفس الغني من البخل والشح، وتُذكّره بأن المال ليس ملكاً له، بل هو عطاء من الله، وعليه أن يؤدي حق الله فيه.
3. إشعار الفقراء بالكرامة: الزكاة تعطي الفقير حقه دون أن يذل أو يتوسل، مما يحفظ كرامته، ويُقلل من تعلقه بالمال كوسيلة للخلاص.
4. ترسيخ التكافل الاجتماعي: الزكاة تُذكّر المجتمع بأنه جسد واحد، يتألم بعضه ببعض، وأن المال يجب أن ينتقل بين أفراد، لا أن يتراكم في أيدي قلة.

### تفعيل الزكاة في العصر الحديث:

في عصرنا، يمكن تفعيل الزكاة من خلال:

- إنشاء هيئات رسمية لجمع الزكاة وتوزيعها، لضمان وصولها إلى مستحقيها.
- توعية الناس بأحكام الزكاة، وكيفية حسابها، وأهميتها في بناء المجتمع.

- تشجيع الأغنياء على إخراج زكاتهم، وتذكيرهم بوعده الله لمن يؤديها، ووعيده لمن يمنعها.
- استخدام التكنولوجيا لتسهيل حساب الزكاة وتوزيعها.

### ثالثاً: دور المؤسسات الاجتماعية الأخرى

بالإضافة إلى محاربة الفساد وتفعيل الزكاة، هناك مؤسسات اجتماعية أخرى يمكنها أن تلعب دوراً في مواجهة ظاهرة "عبد المال":

1. المساجد: يمكن للمساجد أن تكون مراكز توعية، من خلال خطب الجمعة ودروس العلم، لتذكير الناس بفتنة المال، وتعليمهم كيفية التعامل معه.
2. المدارس والجامعات: يمكن للمناهج التعليمية أن تتضمن دروساً عن الأخلاق المالية، وعن خطورة التعلق بالمال، وعن قيمة العمل والإنفاق.
3. الجمعيات الخيرية: يمكن لهذه الجمعيات أن تكون قدوة في التعامل مع المال، وأن تُعلّم الناس كيف يسخرون أموالهم في خدمة المجتمع.

### خاتمة الفصل: المجتمع - رقيب ومعين

المجتمع الصالح هو المجتمع الذي يراقب نفسه، ويُصحح مساره، ويتضامن أفرادَه ضد الفساد والظلم. والمجتمع الذي يفعل الزكاة ويكافح الفساد، هو المجتمع الذي يقل فيه "عبيد المال"، ويزيد فيه "مالكو المال". فليكن دور المجتمع هو الرقابة على الفساد، ودعم العدالة، وتفعيل التكافل، حتى ننشئ مجتمعاً لا يعبد المال، بل يسخره في طاعة الله.

## الفصل الرابع

### دور الحكومات - الأنظمة المالية العادلة كبديل عن الاستغلال

#### تمهيد: الحكومة - الضابط والمنظم

بعد أن تحدثنا عن دور الفرد والأسرة والمجتمع، نصل إلى المستوى الأوسع: دور الحكومات. فالحكومة هي المسؤولة عن وضع الأنظمة والقوانين التي تنظم الحياة الاقتصادية والمالية في المجتمع. وهي المسؤولة عن العدالة في توزيع الثروات، وعن منع الاستغلال، وعن حماية الضعفاء من طغيان الأقوياء.

والحكومة في الإسلام ليست مجرد سلطة سياسية، بل هي راعية وحارسة للدين والدنيا، وهي المسؤولة عن إقامة العدل والأمن، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ". والغني الخفي هو الذي لا يتباهى بغناه، وهذا يحتاج إلى نظام يحقق العدالة.

وفي هذا الفصل، سنتناول دور الحكومات في مواجهة ظاهرة "عبد المال" من خلال ثلاثة محاور رئيسية: الأنظمة المالية العادلة، ومنع الاحتكار والاستغلال، وتفعيل الرقابة والمحاسبة.

### أولاً: الأنظمة المالية العادلة – أساس المجتمع العادل

الأنظمة المالية العادلة هي الضمان الأساسي لمنع تفاقم ظاهرة "عبد المال". فالمجتمع الذي تسوده أنظمة مالية عادلة، يقل فيه التعلق بالمال، لأن الناس يثقون بأن حقوقهم محفوظة، وأن الفرص متاحة للجميع.

### مبادئ النظام المالي العادل في الإسلام:

1. العدل في توزيع الثروة: قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [الحشر: 7]. فلا يجوز أن تتركز الثروة في أيدي قلة، بل يجب أن تنتشر بين الناس.
2. تحريم الربا: الربا هو أحد أكبر أسباب تفاقم الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وقد حرمه الله تحريمًا شديدًا. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 278].
3. تحريم الغش والاحتكار: الإسلام يحرم الغش في المعاملات، ويحرم احتكار السلع الأساسية. قال النبي ﷺ: "مَنْ اخْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ" رواه مسلم.
4. إلزام الزكاة: الزكاة هي أداة أساسية لإعادة توزيع الثروة، ويجب على الحكومة أن تجبها وتوزعها على مستحقيها.
5. الشفافية والمحاسبة: يجب أن تكون المعاملات المالية شفافة، وأن يخضع المتعاملون للمحاسبة.

### تطبيقات عملية:

- سن قوانين لمكافحة الاحتكار، تمنع الشركات الكبرى من احتكار السلع الأساسية.
- فرض ضرائب تصاعدية على الأغنياء، مع ضمان وصول هذه الأموال إلى الفقراء والمحتاجين.
- دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، لتوفير فرص العمل للجميع.
- إنشاء هيئات رقابية لمكافحة الفساد المالي والغش التجاري.

### ثانياً: منع الاحتكار والاستغلال – حماية الضعفاء

الاحتكار والاستغلال هما من أكبر مظاهر الظلم المالي في العصر الحديث. فبعض الأغنياء يستغلون حاجتهم للفقراء، فيفرضون عليهم شروطًا مجحفة، أو يبيعونهم السلع بأسعار مرتفعة.

والإسلام يُحرم الاحتكار والاستغلال تحريمًا شديدًا. قال النبي ﷺ: "مَنْ اخْتَكَرَ طَعَامًا أَرَادَ أَنْ يُغْلِيَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ". وقال أيضًا: "الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُخْتَكِرُ مَلْعُونٌ" رواه ابن ماجه.

### دور الحكومة في منع الاحتكار:

1. سن قوانين تحظر الاحتكار، وتُعاقب المحتكرين.
2. إنشاء هيئات رقابية لمراقبة الأسواق ومنع التلاعب بالأسعار.
3. توفير البدائل للمواطنين، حتى لا يضطروا إلى الشراء من المحتكرين.
4. دعم المنتجين الصغار، لزيادة المنافسة في الأسواق.

### ثالثاً: تفعيل الرقابة والمحاسبة – شفافية المال العام

من أهم أدوار الحكومة هو الرقابة على المال العام، وضمان عدم إهداره أو سرقة. فالفساد في المال العام هو أحد أكبر مظاهر "عبادة المال" على مستوى الحكومات، حيث يستغل بعض المسؤولين مناصبهم لجمع الثروات على حساب الشعب.

وقد أشار أحد المصادر إلى أن "عدالة التصرف بالمال العام، بوجود قواعد وتعاليم وأنظمة للتصرف بالمال العام لزيادة الضبط وتفعيل الرقابة"، هي من العوامل التي تقلل الفساد.

#### وسائل تفعيل الرقابة:

1. إنشاء هيئات رقابية مستقلة، لمتابعة إنفاق المال العام.
2. تفعيل دور القضاء في محاسبة الفاسدين.
3. إشراك المجتمع المدني في الرقابة على المال العام.
4. نشر ثقافة الشفافية، بأن تكون قرارات الإنفاق علنية.
5. استخدام التكنولوجيا في تتبع إنفاق المال العام.

### رابعاً: العدالة الضريبية – بين المصلحة والظلم

في العصر الحديث، تعتمد الحكومات على الضرائب لتمويل الخدمات العامة. ولكن هناك فرق بين الضرائب العادلة التي تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والضرائب الظالمة التي تثقل كاهل الفقراء وتُعفي الأغنياء.

#### مبادئ العدالة الضريبية في الإسلام:

1. الضرائب يجب أن تكون عادلة، بحيث يدفع الغني أكثر مما يدفع الفقير.
2. الضرائب يجب ألا تثقل كاهل الفقراء، بل يجب أن تراعي قدرتهم على الدفع.
3. الضرائب يجب أن تُنفق في مصالح الناس، لا في مصالح الحكام.
4. الضرائب يجب ألا تكون وسيلة لظلم الناس، بل وسيلة لتحقيق العدالة.

**خاتمة الفصل: الحكومة - حارسة العدل**

إن دور الحكومة في مواجهة ظاهرة "عبد المال" هو دور محوري، لأنها تملك الأدوات والسلطات التي تمكنها من وضع الأنظمة العادلة، ومنع الاحتكار والاستغلال، ومحاربة الفساد، وتحقيق العدالة الاجتماعية. فإذا قامت الحكومة بدورها على أكمل وجه، انخفض التفاوت الطبقي، وقلّ التعلق بالمال، وازداد الأمن والاستقرار، وعاش الناس في مجتمع عادل لا يعبد المال، بل يسخره في طاعة الله.

**الفصل الخامس****دور الدعوة والإعلام - بناء الوعي المجتمعي****تمهيد: الدعوة والإعلام - سلاح ذو حدين**

بعد أن تحدثنا عن دور الفرد والأسرة والمجتمع والحكومة، نصل إلى الدعوة والإعلام، وهما الأداة الأقوى في تشكيل الوعي المجتمعي. فالدعوة والإعلام هما اللذان يُشكّلان تصورات الناس عن المال، وعن النجاح، وعن السعادة. وهما سلاح ذو حدين: يمكن استخدامهما لتعزيز ثقافة المادية وعبادة المال، كما رأينا في الباب السابق. ويمكن استخدامهما أيضًا لبناء وعي صحيح، يُدرك الناس بأن المال وسيلة لا غاية، وأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

وفي هذا الفصل، سنتناول دور الدعوة والإعلام في بناء الوعي المجتمعي، من خلال عدة محاور.

**أولاً: الدعوة - إحياء القيم الروحية**

الدعوة إلى الله هي الوسيلة الأساسية لتذكير الناس بحقيقة الدنيا والآخرة، وبأن المال ليس غاية في حد ذاته. والدعاة هم ورثة الأنبياء، وهم المسؤولون عن تبليغ رسالة الإسلام، وتذكير الناس بما غفلوا عنه.

**دور الدعوة في مواجهة عبادة المال:**

1. تذكير الناس بحقيقة المال: بأنه اختبار وابتلاء، وليس كرامة من الله. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ التغابن: 15
2. تذكير الناس بفتنة المال: كما حذّر النبي ﷺ أمته، قال: " إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ " رواه الترمذي .
3. تعليم الناس كيفية التعامل مع المال: من خلال دروس الفقه والمعاملات، التي تعلّم الناس أحكام الزكاة، والبيوع، والربا، وغيرها.
4. تقديم النماذج الإيجابية: من الصحابة والعلماء الذين كانوا مالكيين للمال لا عبيدًا له، كأبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

5. التحذير من عاقبة "عبد المال": بتذكير الناس بمصير قارون، وبما جاء في سورة الهمزة، وبأحاديث النبي ﷺ في التحذير من عبودية المال.

### ثانياً: الإعلام – بناء الوعي وتصحيح المفاهيم

الإعلام هو السلاح الأقوى في العصر الحديث، لأنه يصل إلى الملايين في لحظات، ويشكل وعيهم وتصوراتهم. ولذلك، يجب أن يُستخدَم الإعلام في بناء الوعي الصحيح حول المال، وليس في تعزيز ثقافة المادية والاستهلاك.

وقد أشار أحد المصادر إلى أن "قوة تأثير الإعلام على المجتمع جعلته سلاحًا ذا حدين: قد يرفع من المستوى التنموي للمجتمع، وقد يدمره ويفسده بالكامل."

كيف يمكن للإعلام أن يبني وعيًا صحيحًا حول المال؟

1. تقديم برامج توعوية، تتحدث عن خطورة التعلق بالمال، وعن أهمية القناعة والرضا.
2. تصحيح صورة النجاح، بأن يُظهر الإعلام أن النجاح ليس مجرد ثراء، بل هو تقوى وإخلاص وعمل صالح.
3. تقديم نماذج إيجابية، من الناس الذين سخروا أموالهم في خدمة المجتمع، ولم يستعبدهم المال.
4. نقد ثقافة الاستهلاك، بأن يُظهر الإعلام الآثار السلبية للاستهلاك المفرط على الفرد والمجتمع.
5. تجنب الترويج لـ"إباحية الثراء"، أي تجنب عرض حياة الأغنياء بطريقة مثيرة تدفع الناس إلى الحسد والتعلق بالمال.
6. استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لنشر الوعي، من خلال حملات توعوية، ومقاطع فيديو قصيرة، ومنشورات تذكيرية.

### الإعلام الإسلامي – نموذج يحتذى:

يشير أحد المصادر إلى أن "دور الإعلام الإسلامي في بناء الفرد والمجتمع يتمثل في نشر الثقافة الإسلامية والأخلاق والقيم في المجتمع." فالإعلام الإسلامي يجب أن يكون له دور ريادي في تصحيح المفاهيم، ونشر القيم، وتذكير الناس بحقيقة الدنيا والآخرة.

### ثالثاً: التكامل بين الدعوة والإعلام

الدعوة والإعلام يجب أن يتكاملا، لا أن يتنافرا. فالدعوة تقدم المحتوى، والإعلام يقدم الوسيلة لنشر هذا المحتوى. والدعاة بحاجة إلى الإعلام ليصلوا إلى أكبر عدد من الناس، والإعلام بحاجة إلى الدعاة ليقدموا له المحتوى النافع.

وقد أشار أحد المصادر إلى أن "مهمة الإعلام ليست دفاعاً سلبياً بل هجوم معرفي وثقافي إيجابي يعيد الاعتبار للهوية ويصحح المفاهيم المغلوطة". وهذا الهجوم المعرفي يحتاج إلى دعم من الدعاة والعلماء.

أمثلة على التكامل:

- برامج تلفزيونية يقدمها دعاة، تتحدث عن المال في الإسلام.
- حملات على وسائل التواصل الاجتماعي، يشارك فيها دعاة ونشطاء.
- مقالات وكتب، تنشر عبر وسائل الإعلام، تتناول موضوع فتنة المال.
- مقاطع فيديو قصيرة، تقدم نصائح عملية للتعامل مع المال.

#### رابعاً: دور المؤثرين في بناء الوعي

في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح المؤثرون (Influencers) هم القادة الجدد للرأي العام. ولذلك، يجب على المؤثرين أن يتحملوا مسؤوليتهم، وأن يستخدموا نفوذهم في بناء وعي صحيح، لا في تعزيز ثقافة المادية.

وقد أشار أحد المصادر إلى أن "النشطاء يجب أن يتحلوا بالأمانة فيما يطرحون، وألا ينشروا الإشاعات التي من شأنها تزييف الوعي، وهدم كيان المجتمع".

كيف يمكن للمؤثرين أن يكونوا قدوة إيجابية؟ :

- أن يظهروا التواضع والقناعة، وليس التباهي والتفاخر.
- أن يتحدثوا عن قيمة العمل والإنتاج، وليس عن الثراء السريع.
- أن يشجعوا متابعيهم على الإنفاق في سبيل الله، وليس على الاستهلاك المفرط.
- أن يذكروا متابعيهم بأن السعادة ليست في المال، بل في القرب من الله.

#### خاتمة الفصل: الدعوة والإعلام – قاطرة التغيير

إن الدعوة والإعلام هما قاطرة التغيير في المجتمع. فإذا استُخدِمَا بشكل صحيح، يمكنهما أن يحدثا تحولاً كبيراً في وعي الناس، وأن يُخرجا المجتمع من ثقافة المادية والاستهلاك إلى ثقافة القناعة والرضا والتكافل.

فليكن دور الدعاة هو التذكير والتبصير، وليكن دور الإعلام هو النشر والتوعية، وليتكاملوا معاً لبناء مجتمع لا يعبد المال، بل يعبد الله وحده، ويجعل المال في يده لا في قلبه.

## خاتمة الباب الثامن

بهذا نكون قد استكملنا الباب الثامن من كتابنا، حيث قدّمنا خريطة طريق عملية للتعامل مع ظاهرة "عبد المال" على مستويات متعددة:

- في **الفصل الأول**، تحدثنا عن دور الفرد في تصحيح علاقته بالمال، وقدّمنا سبع خطوات عملية لعلاج حب المال، بدءًا بالتوبة، مرورًا بتصحيح النية، وتذكر الموت، والإنفاق، والقناعة، والبعد عن أسباب التعلق، والدعاء.

- في **الفصل الثاني**، تحدثنا عن دور الأسرة في تربية النشء على القيم الصحيحة تجاه المال، وأكدنا على أهمية القدوة الحسنة، والتربية العملية، والحماية من المؤثرات السلبية، وتعليم الأولاد مسؤولية المال.

- في **الفصل الثالث**، تحدثنا عن دور المجتمع والمؤسسات، من خلال محاربة الفساد المالي، وتفعيل الزكاة، ودعم المؤسسات الرقابية.

- في **الفصل الرابع**، تحدثنا عن دور الحكومات، من خلال وضع الأنظمة المالية العادلة، ومنع الاحتكار والاستغلال، وتفعيل الرقابة والمحاسبة، وتحقيق العدالة الضريبية.

- في **الفصل الخامس**، تحدثنا عن دور الدعوة والإعلام، في بناء الوعي المجتمعي، وتصحيح المفاهيم، وتقديم النماذج الإيجابية، ونشر القيم الإسلامية الصحيحة.

وهذه المستويات الخمسة – الفرد، الأسرة، المجتمع، الحكومة، الدعوة والإعلام – هي **حلقات متصلة**، لا يمكن إغفال أي منها. فالتغيير الحقيقي لا يتحقق بجهد منفرد، بل بتضافر الجهود على كل المستويات.

فمن أراد أن يكون جزءًا من الحل، فليبدأ بنفسه، ثم بأسرته، ثم بمجتمعه، وليدعم الجهود الحكومية والإعلامية في هذا المجال. وليتذكر دائمًا أن المال اختبار وابتلاء، وأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، وأن القيمة الحقيقية للإنسان ليست في ما يملك، بل في ما يقدم من خير وفي ما يتصف به من أخلاق.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

## الباب التاسع

# الخلاصة – كيف لانكون "عبيداً للمال"؟

### تمهيد الباب

بعد رحلة طويلة قطعناها معاً عبر صفحات هذا الكتاب، بدأنا بتأصيل مفهوم المال في الإسلام بين النعمة والفتنة، ثم تعرفنا على شخصية "عبد المال" بمواصفاتها النفسية والسلوكية والشرعية، وتتبعنا صورته في القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعرضنا نماذجه التاريخية في مختلف العصور، ورأينا مصيره المحتوم في الدنيا والآخرة، ثم وقفنا على تحوله إلى ظاهرة عصرية متفشية، وقدمنا خريطة طريق للتعامل معه على مستويات متعددة.

والآن، وقد أتممنا هذه الرحلة، يحين وقت الخلاصة، لنضع أيدينا على الجوهر الذي تتمحور حوله كل هذه التفاصيل: **كيف لانكون "عبيداً للمال"؟**

إن هذا الباب هو تنوير للكتاب كله، وفيه نجمع خلاصة الخلاصة، ونقدم للقارئ – بعد أن عرف الداء – وصفة الدواء. فالمعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من العمل بها، وتطبيقها في واقع الحياة. وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ النجم: 39 .

وسنقسم هذا الباب إلى خمسة فصول، تمثل الأركان الخمسة للتحرر من عبودية المال:

- **الفصل الأول:** المال في اليد لا في القلب – وصية الإسلام الخالدة، وهي القاعدة الذهبية التي تقوم عليها كل العلاقة الصحيحة مع المال.
- **الفصل الثاني:** المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف – مع توضيح معنى القوة الحقيقية التي تجعل الإنسان مالاً للمال لا عبداً له.
- **الفصل الثالث:** الوسطية في المال – لا إفراط ولا تفريط، لأن الإسلام دين الوسطية والاعتدال في كل شيء، ومنه المال.
- **الفصل الرابع:** رسالة إلى "عبد المال" – كيف تتحرر من عبوديتك؟ وهي رسالة مباشرة إلى كل من وجد في نفسه شيئاً من صفات "عبد المال".
- **الفصل الخامس:** الغنى الحقيقي – غنى النفس والقناعة، وهي الحقيقة التي يغفل عنها كثير من الناس، فيظنون أن الغنى هو كثرة المال.

نسأل الله أن يجعل هذا الباب خاتمة مباركة، وأن ينفع به قارئه، وأن يخرج من عبودية المال إلى عبودية الله وحده.

## الفصل الأول

## المال في اليد لا في القلب - وصية الإسلام الخالدة

## تمهيد: القاعدة الذهبية

إذا أردنا أن نلخص كل ما ورد في هذا الكتاب في جملة واحدة، فإننا نقول: **اجعل المال في يدك لا في قلبك**. هذه هي القاعدة الذهبية التي تقوم عليها العلاقة الصحيحة مع المال في الإسلام. فهي تجمع بين أمرين: **الإباحة** (أن يكون المال في اليد، أي أن يملكه الإنسان ويستعمله) و**التحذير** (ألا يكون في القلب، أي ألا يتعلق به تعلقاً يجعله أسيراً له).

وهذه القاعدة هي خلاصة ما قرره علماء الإسلام، وعلى رأسهم الإمام ابن القيم رحمه الله، الذي قال في "مدارج السالكين": **"فَمَتَى كَانَ الْمَالُ فِي يَدِكَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ لَمْ يَضْرِكْ وَلَوْ كَثُرَ، وَمَتَى كَانَ فِي قَلْبِكَ ضَرَكٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِكَ مِنْهُ شَيْءٌ."**

فهذه الكلمة الوجيزة من ابن القيم رحمه الله تلخص فلسفة المال في الإسلام كاملة. فالمسألة ليست في كثرة المال أو قلته، بل في مكانه من القلب. فكم من إنسان يملك الملايين وهو آمن مطمئن، لأن المال في يده لا في قلبه. وكم من إنسان لا يملك شيئاً وهو أسير للمال، لأن المال في قلبه وإن لم يكن في يده. وفي هذا الفصل، سنتوسع في شرح هذه القاعدة الذهبية، ونبين معناها، وتطبيقاتها، وكيفية تحقيقها في الواقع.

## أولاً: معنى "المال في اليد لا في القلب"

**المال في اليد**: يعني أن يملك الإنسان المال، ويتصرف فيه، وينتفع به، ويستعمله في قضاء حوائجه وحوائج أهله، وفي طاعة الله وخدمة المجتمع. فهذا المال في يده، تحت تصرفه، يسخره لخدمته، ولا يسخره هو.

**المال في القلب**: يعني أن يتعلق القلب بالمال، فيصبح هو الشاغل الأكبر للإنسان، ومصدر فرحه وحزنه، وسبب رضاه وسخطه. فالقلب يعلق بالمال، ويسير وراءه، ويطيعه، ويخاف فقده، ويتمنى المزيد منه. وهذا هو جوهر "عبودية المال".

فالفرق بين "المال في اليد" و"المال في القلب" هو الفرق بين مالك المال وعبد المال، وهو الفرق الذي تحدثنا عنه بالتفصيل في الباب الثاني من هذا الكتاب.

## ثانياً: تحقيق "المال في اليد لا في القلب" - الخطوات العملية

كيف يمكن للإنسان أن يجعل المال في يده لا في قلبه؟ هذه هي الخطوات العملية التي تساعد على تحقيق هذه القاعدة:

## الخطوة الأولى - تصحيح النية:

أن يجعل الإنسان نيته في طلب المال هي العبادة، أي أن يطلب المال ليعينه على طاعة الله، ولينفق منه في

سبيل الله، ولقضاء حوائجه وحوائج أهله، لا ليجمعها ويكدها. وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" رواه البخاري ومسلم.

#### الخطوة الثانية – تذكر أن المال اختبار وابتلاء:

أن يتذكر الإنسان أن المال ليس دليلاً على كرامته عند الله، بل هو اختبار وابتلاء. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15]. فمن استعمل المال في طاعة الله، نجا وربح. ومن استعمله في معصية الله، خسر وهلك.

#### الخطوة الثالثة – أداء حقوق الله في المال:

أداء الزكاة الواجبة، والإنفاق على الأقارب والمحتاجين، والتصدق في سبيل الله. فهذه العبادات تخرج المال من القلب، وتجعل العبد يشعر أنه مجرد مستخلف في هذا المال، وليس مالاً له على الإطلاق.

#### الخطوة الرابعة – عدم الاغترار بكثرة المال:

أن لا يظن الإنسان أن كثرة المال دليل على رضا الله عنه، أو على فضله وكرمه. فقد يعطي الله المال لمن يحب ولمن لا يحب، ابتلاءً واختباراً. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ طه: 131.

#### الخطوة الخامسة – عدم الحزن على فوات المال:

أن لا يحزن الإنسان على ما فاته من مال، ولا يأسف على ما ضاع منه، بل يرضى بقضاء الله وقدره، ويتذكر أن المال زائل، وأن ما عند الله خير وأبقى. وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: "إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه فهو زاهد."

#### الخطوة السادسة – النظر إلى من هو أقل مالا:

أن ينظر الإنسان إلى من هو أقل منه مالا، ولا ينظر إلى من هو أكثر. فقد قال النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله" رواه مسلم.

#### ثالثاً: نماذج من السلف في تحقيق هذه القاعدة

كان السلف الصالح – رضوان الله عليهم – أبرز مثال في تحقيق "المال في اليد لا في القلب". فقد كانوا يملكون المال الكثير، ولكن قلوبهم كانت معلقة بالله، لا بالمال.

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كان من أغنى أغنياء الصحابة، ولكنه كان من أزهدهم في المال. فقد كان ينفق ماله في سبيل الله، ويتصدق، ويعتق الرقاب، ويقرض الناس بلا ربا. وعندما مات، ترك ثروة طائلة، ولكنه لم يكن عبداً لها، بل كان مالاً لها.

عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان من أغنى أغنياء قريش، ولكنه أنفق ماله كله في سبيل الله. فقد جهز جيش العسرة بماله، واشترى بئر رومة للمسلمين، ووسع المسجد النبوي. وكان المال في يده، ولكن قلبه كان مع الله.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: قال عنه النبي ﷺ: " مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ " (رواه الترمذي).  
فقد كان ماله كله في خدمة الدين، ولم يتعلق قلبه به أبدًا.

وهذه النماذج تثبت أن "المال في اليد لا في القلب" ليست مجرد نظرية، بل هي حقيقة عاشها الصحابة الكرام، ويمكن لكل مسلم أن يعيشها في حياته.

### خاتمة الفصل: المال عبدٌ لا سيد

إن القاعدة الذهبية التي نريد أن نخرج بها من هذا الفصل هي: اجعل المال عبدًا لك، لا تجعله سيدًا عليك .  
فالمال خلق لخدمة الإنسان، لا لخدمته الإنسان. ومن جعل المال في يده لا في قلبه، فقد جعله عبدًا له. ومن جعله في قلبه، فقد جعله سيدًا عليه، وصار هو العبد.

فاختر لنفسك - أيها القارئ - أي المصيرين تريد: أن تكون مالًا للمال، أم أن تكون مملوكًا له؟

## الفصل الثاني

### المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

#### تمهيد: مفهوم القوة في الإسلام

في رحلة التحرر من عبودية المال، لا بد أن نقف عند مفهوم أساسي في الإسلام: القوة. فقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ. " وهذا الحديث - مع قصر ألفاظه - يحمل معاني عميقة، ويؤسس لمفهوم القوة في الإسلام، ويربطها بالإيمان والعمل. ولكن ما هو المقصود بـ"المؤمن القوي"؟ هل هو القوي في بدنه؟ أم القوي في ماله؟ أم القوي في إيمانه؟

الإجابة: المؤمن القوي هو القوي في إيمانه وفي جميع مجالات حياته. هذا ما سنوضحه في هذا الفصل، ونبين كيف أن القوة الحقيقية هي الطريق إلى التحرر من عبودية المال.

#### أولاً: معنى "المؤمن القوي" في الحديث

لقد فسر العلماء هذا الحديث بأن المراد بالقوة هي قوة الإيمان في المقام الأول، ثم تشمل القوة في سائر المجالات.

#### القول الأول - قوة الإيمان:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "المؤمن القوي: هو قوي الإيمان، الذي عنده من العلم والبصيرة والخوف من الله ما يجعله قوي الإيمان". فهو القوي في عقيدته، الثابت في إيمانه، العامل بطاعة الله، التارك لمعصيته.

#### القول الثاني - القوة تشمل البدن والعلم والعمل:

قال العلماء في شرح الحديث: "إن المؤمن القوي في إيمانه، والقوي في بدنه وعمله... خيرٌ من المؤمن

الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله، لأن المؤمن القوي ينتج ويعمل للمسلمين وينتفع المسلمون بقوته البدنية وبقوته الإيمانية، وبقوته العلمية ينتفعون من ذلك نفعًا عظيمًا."

فالقوة في الإسلام ليست قوة بدنية فقط، ولا قوة مالية فقط، بل هي قوة شاملة: قوة في الإيمان، وقوة في العلم، وقوة في البدن، وقوة في المال، وقوة في العزيمة والإرادة.

### القول الثالث - القوة في العزيمة والنفس:

قال الإمام النووي رحمه الله: "المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة." فهي قوة الإرادة والعزيمة على فعل الخير، والصبر على الطاعة، والثبات على الحق.

### ثانياً: القوة المالية في الإسلام

من المهم أن نفهم أن القوة المالية هي نوع من القوة التي يحث عليها الإسلام، ولكن بشروط:

1. أن تكون وسيلة لا غاية: المال القوي هو المال الذي يستخدم في طاعة الله، وخدمة المجتمع، ونصرة الدين. وليس المال الذي يجمع للتفاخر والتباهي.
  2. أن يكون من حلال: القوة المالية لا تكون قوة حقيقية إلا إذا كان المال من حلال. فالمال الحرام هو سبب للضعف، لا للقوة.
  3. أن يصاحبه الإيمان والقوة الروحية: المال بدون إيمان هو وبال على صاحبه، كما رأينا في قصة قارون. فالقوة الحقيقية هي اجتماع القوة المادية مع القوة الإيمانية.
- وقد قال النبي ﷺ في حديث آخر: "نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ." فالمال الصالح - أي الحلال - في يد الرجل الصالح هو نعمة وقوة.

### ثالثاً: كيف تكون من "المؤمنين الأقوياء"؟

لكي تكون من المؤمنين الأقوياء، وتحرر من عبودية المال، عليك أن تعمل على تقوية إيمانك في كل جوانب حياتك:

1. تقوية الإيمان بالله: بالإكثار من العبادات، وتلاوة القرآن، والتفكير في آيات الله، والدعاء والتضرع إليه.
2. تقوية العلم الشرعي: بتعلم أحكام الدين، وفهم مقاصد الشريعة، ومعرفة الحلال والحرام.
3. تقوية البدن: بالمحافظة على الصحة، وممارسة الرياضة، والاهتمام بالغذاء الصحي.
4. تقوية المال: بالسعي في طلب الرزق الحلال، واستثمار المال في المشاريع النافعة، والإنفاق في سبيل الله.
5. تقوية العزيمة والإرادة: بالصبر على الطاعة، والثبات على الحق، وعدم اليأس أو الاستسلام.

### رابعاً: القوة والضعف في ضوء عبودية المال

في سياق موضوعنا عن "عبد المال"، نجد أن القوة هي التي تجعل الإنسان مالاً للمال، والضعف هو الذي يجعله عبداً له.

فالمؤمن القوي - بقوة إيمانه - لا يتعلق قلبه بالمال، بل يجعله في يده، ويستخدمه في طاعة الله. أما المؤمن الضعيف - بضعف إيمانه - فيتعلق قلبه بالمال، ويصبح أسيراً له، ويطيعه في الحرام، ويخاف فقده.

وقد قال النبي ﷺ في تمة الحديث: "أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ". فهذه الوصايا الثلاث هي مفتاح القوة: الحرص على النفع، والاستعانة بالله، وعدم العجز.

### خاتمة الفصل: القوة الحقيقية هي قوة الإيمان

إن القوة الحقيقية التي تخرج الإنسان من عبودية المال هي قوة الإيمان. فبقوة الإيمان، يتحرر القلب من التعلق بالمال، ويصبح المال في اليد لا في القلب. وبدون قوة الإيمان، يبقى الإنسان أسيراً للمال، مهما كثرت أمواله.

فاسأل نفسك - أيها القارئ - هل أنا من المؤمنين الأقوياء أم من المؤمنين الضعفاء؟ وهل مالي في يدي أم في قلبي؟ وإن وجدت في نفسك ضعفاً، فاعمل على تقوية إيمانك، واستعن بالله، ولا تعجز.

## الفصل الثالث

### الوسطية في المال - لا إفراط ولا تفريط

#### تمهيد: الإسلام دين الوسطية

من أبرز سمات الإسلام أنه دين الوسطية، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143]. والوسطية تعني العدل والاعتدال، والبعد عن الإفراط والتفريط.

وهذه الوسطية تشمل كل جوانب الحياة، ومنها التعامل مع المال. فالإسلام لا يدعو إلى التبرم بالمال والزهد فيه زهداً مطلقاً، ولا يدعو إلى التعلق به والانشغال به انشغالاً تاماً، بل يأمر بالوسطية: أن يأخذ الإنسان من المال بقدر حاجته، وينفق منه في سبيل الله، ولا يبخل به، ولا يسرف فيه.

وفي هذا الفصل، سنتناول الوسطية في المال، ونبين كيف أن الإفراط والتفريط كلاهما مذموم، وأن الصراط المستقيم هو الوسط بينهما.

#### أولاً: الإفراط في المال - عبودية المال

الإفراط في المال هو التعلق المفرط به، وجعله غاية في حد ذاته، والسعي وراءه بكل السبل، والحرص على جمعه وتكديسه، والانشغال به عن طاعة الله وحقوق الناس. وهذا هو حال "عبد المال" الذي تحدثنا عنه طوال هذا الكتاب.

## آثار الإفراط في المال:

- التعلق القلبي بالمال، والخوف من فقده.
- الانشغال عن العبادات والطاعات.
- ارتكاب المحرمات في سبيل جمع المال.
- منع حقوق الله في المال من زكاة وصدقات.
- قطع الأرحام والإضرار بالآخرين.
- العذاب النفسي والقلق الدائم.

## العلاج من الإفراط:

- تذكر الموت والآخرة.
- الإنفاق والبذل في سبيل الله.
- القناعة والرضا بقضاء الله.
- تذكر أن المال اختبار وابتلاء.

## ثانياً: التفريط في المال – تضييع النعمة

التفريط في المال هو الإهمال في طلب المال، والكسل عن السعي في الرزق، وإضاعة المال في غير فائدة، أو التبرم به وعدم الاهتمام به. وهذا التفريط – وإن كان أقل شيوعاً من الإفراط – إلا أنه مذموم أيضاً.

## آثار التفريط في المال:

- التكاثر عن طلب الرزق، والالتكال على الآخرين.
- إضاعة المال في غير فائدة.
- عدم أداء الواجبات المالية تجاه الأسرة والمجتمع.
- الوقوع في الفقر والحاجة.

## العلاج من التفريط:

- السعي في طلب الرزق الحلال، مع التوكل على الله.
- تنظيم المال، وعدم إضاعته.
- الاهتمام بالإنفاق على الأسرة والمجتمع.

- تذكر أن المال نعمة من الله يجب شكرها.

### ثالثاً: الوسطية - الصراط المستقيم

الوسطية في المال هي الاعتدال بين الإفراط والتفريط: أن يطلب الإنسان المال، ولكن لا يجعله غاية في حد ذاته. وأن ينفق منه، ولكن لا يسرف فيه. وأن يدخره، ولكن لا يمنع حق الله فيه.

#### مظاهر الوسطية في المال:

1. في طلب المال: أن يسعى الإنسان في طلب الرزق الحلال، ولا يتكاسل عنه، ولا يغلو فيه فينسى الله والآخرة.
2. في الإنفاق: أن ينفق الإنسان على نفسه وأهله بالمعروف، ولا يبخل، ولا يسرف. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: 67].
3. في الادخار: أن يدخر الإنسان ما يكفيه لحوائجه المستقبلية، ولا يكنز المال فيمنع حق الله فيه.
4. في العلاقة مع المال: أن يكون المال في يده لا في قلبه، كما بينا في الفصل الأول.

#### نماذج من الوسطية في السلف:

كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أبرز مثال في الوسطية. كانوا يطلبون المال، ويعملون، ويتاجرون، ولكن قلوبهم كانت معلقة بالله، لا بالمال. وكانوا ينفقون في سبيل الله، ولا يبخلون، ولا يسرفون. وقد قال الإمام أحمد رحمه الله في تعريف الزهد: "الزهد أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك". فالزهد ليس ترك المال، بل هو عدم التعلق به.

#### رابعاً: الوسطية في ضوء عبودية المال

في سياق موضوعنا عن "عبد المال"، نجد أن الوسطية هي الطريق إلى التحرر من عبودية المال. فمن كان وسطياً في تعامله مع المال، لم يغله فيجعله إلهاً، ولم يفرط فيه فيضيعه.

#### فالمؤمن الوسطي:

- يطلب المال، ولا يجعله همه الأكبر.
- ينفق المال، ولا يسرف فيه.
- يدخر المال، ولا يمنع حق الله فيه.
- يملك المال، ولا يملكه المال.

**خاتمة الفصل: بين الإفراط والتفريط**

إن الوسطية في المال هي صراط الله المستقيم، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط. فمن أراد السلامة من عبودية المال، فليتوسط في تعامله معه: لا يغلو في حبه فيصبح عبداً له، ولا يفرط فيه فيضيعه. وليتذكر دائماً أن المال نعمة من الله، يجب شكرها واستعمالها في طاعته، لا في معصيته.

**الفصل الرابع****رسالة إلى "عبد المال" - كيف تتحرر من عبوديتك؟****تمهيد: خطاب مباشر**

هذا الفصل هو رسالة مباشرة إلى كل من وجد في نفسه شيئاً من صفات "عبد المال" التي تحدثنا عنها في هذا الكتاب. فربما قرأت هذا الكتاب، ووجدت نفسك في بعض النماذج التي عرضناها، أو شعرت أن وصف "عبد المال" ينطبق عليك في جوانب من حياتك.

هذه الرسالة ليست للتوبيخ أو التقريع، بل هي رسالة حب ونصح، من أخ في الله إلى أخيه، يريد له الخير والنجاة. فالجميع يخطئون، ولكن خير الخطائين التوابون. وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

فإذا كنت - أيها القارئ - تشعر أنك من "عبيد المال"، فاعلم أن باب التوبة مفتوح، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً. ولكن التوبة تحتاج إلى خطوات عملية، وهذا ما سنقدمه لك في هذه الرسالة.

**أولاً: اعترف بحقيقة حالتك**

الخطوة الأولى في طريق التحرر هي الاعتراف بأنك تعاني من عبودية المال. فكثير من الناس يعيشون في هذه الحالة، ولكنهم لا يدركونها، أو يرفضون الاعتراف بها.

اسأل نفسك أسئلة صادقة:

- هل المال هو أكبر همي في الحياة؟
- هل رضاي وسخطي مرتبطان بالعطاء المادي؟
- هل أقدم المال على ديني وأخلاقي؟
- هل أمنع حقوق الله في مالي؟
- هل أقطع الأرحام من أجل المال؟
- هل أعيش في قلق دائم على مالي؟

إذا كانت إجابتك "نعم" على بعض هذه الأسئلة، فاعترف أنك بحاجة إلى تغيير. فالاعتراف هو بداية الطريق.

### ثانياً: تب إلى الله توبة نصوحاً

الخطوة الثانية هي التوبة إلى الله مما مضى. والتوبة النصوح لها ثلاثة شروط:

1. الإقلاع عن الذنب - أن تترك ما كنت تفعله من تعلق مفرط بالمال، ومن معاصي في سبيل جمعه.
2. الندم على ما فات - أن تندم على ما ضيَّعت من عمر في جمع المال، وما فرطت فيه من حقوق الله وحقوق الناس.
3. العزم على عدم العودة - أن تعزم عزيمة صادقة على ألا تعود إلى هذه العبودية للمال.

وإذا كان لك مظالم عند الناس، فارددها إليهم، أو استحلهم منها. قال النبي ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ" (رواه البخاري).

### ثالثاً: غيّر علاقتك بالمال

الخطوة الثالثة هي تغيير علاقتك بالمال من علاقة عبودية إلى علاقة تسخير. وهذا يتطلب:

1. تصحيح النية: أن تجعل نيتك في طلب المال هي العبادة، لا الجمع والتكديس.
2. جعل المال في يدك لا في قلبك: أن تتعامل مع المال كأداة، لا كغاية. قال ابن القيم رحمه الله: "فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثير."
3. الإكثار من الإنفاق: أن تتصدق، وتنفق في سبيل الله، وتؤدي الزكاة الواجبة. فالإنفاق يطهر النفس من الشح، ويخرج المال من القلب.
4. القناعة والرضا: أن تقنع بما قسمه الله لك، وترضى بقضائه، وتتذكر أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

### رابعاً: غيّر محيطك

الخطوة الرابعة هي تغيير محيطك، والبعد عن الأسباب التي تزيد تعلقك بالمال:

1. تجنب النظر إلى حياة الأغنياء، خاصة على وسائل التواصل الاجتماعي.
2. تجنب مجالس المفاخرة والتفاخر.
3. تجنب الإعلانات التجارية التي تخلق رغبات مصطنعة.
4. اختار صحبة صالحة تذكرك بالله والآخرة، ولا تلهيك بالدنيا.

**خامساً: استمر في الرحلة**

التحرر من عبودية المال ليس عملية لحظية، بل هو رحلة مستمرة تحتاج إلى صبر ومثابرة. قد تتعثر في بعض الأحيان، ولكن المهم أن تستمر، وأن تتوب كلما أخطأت، وأن تستعين بالله في كل خطوة.

وقد قال النبي ﷺ: "أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ . " فهذه وصية لكل من يريد التحرر من أي عبودية، ومنها عبودية المال.

**خاتمة الفصل: أنت أقوى من المال**

أيها القارئ العزيز، أنت أقوى من المال، ولكنك نسيت قوتك. فالله قد منحك العقل والإرادة والإيمان، وهذه هي أدواتك للتحرر. فاستخدمها، واعلم أن المال ليس سيِّداً عليك، بل هو عبدٌ لك، خلقه الله لخدمتك، لا لتخدمه.

فانهض الآن، واتخذ قرار التغيير. وابدأ رحلة التحرر من عبودية المال، إلى عبودية الله وحده. فهي رحلة تستحق العناء، لأنها تؤدي إلى الحرية الحقيقية: حرية القلب من التعلق بغير الله.

**الفصل الخامس****الغنى الحقيقي – غنى النفس والقناعة****تمهيد: مفهوم الغنى في الإسلام**

في خاتمة هذا الكتاب، نأتي إلى الحقيقة الكبرى التي يغفل عنها كثير من الناس: أن الغنى ليس كثرة المال، بل هو غنى النفس. وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . "

فهذه الكلمة النبوية الوجيزة تضع حدًا فاصلاً بين مفهومين للغنى:

• الغنى المادي: وهو كثرة المال والممتلكات.

• الغنى الحقيقي: وهو غنى النفس، أي القناعة والرضا والاستغناء بالله.

وكثير من الناس يظنون أن الغنى هو كثرة المال، فيسعون وراءه طوال حياتهم، ويظلون في تعب وشقاء، ولا يصلون إلى السعادة أبداً. بينما الغنى الحقيقي – غنى النفس – هو الذي يمنح الإنسان الطمأنينة والراحة والسعادة، حتى ولو كان ماله قليلاً.

وفي هذا الفصل الأخير، سنتناول مفهوم غنى النفس، ونبين كيف أن القناعة هي مفتاح هذا الغنى، وكيف أن من ملك غنى النفس فقد ملك كل شيء.

**أولاً: معنى "غنى النفس"**

غنى النفس هو الاستغناء عن الناس والاكتماء بالله، والرضا بما قسمه الله، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين. وهو غنى قلبي وروحي، وليس غنى ماديًا.

وقد فسر العلماء "غنى النفس" بأنه:

- القناعة بما قسمه الله.
- الرضا بقضاء الله وقدره.
- الاستغناء عن الناس، وعدم التذلل لهم لأجل المال.
- عدم التعلق بالدنيا وزينتها.
- الطمأنينة والراحة النفسية.

فالغني حقًا هو من استغنى عن الناس بالله، وقنع بما رزقه، ولم يتطلع إلى ما في أيدي الآخرين. هذا هو الغنى الذي لا يفنى، وهذا هو الكنز الذي لا ينفد.

### ثانيًا: القناعة – مفتاح غنى النفس

القناعة هي المفتاح الذي يفتح باب غنى النفس. فمن قنع بما قسمه الله له، عاش سعيدًا مطمئنًا. ومن لم يقنع، ظل في تعب وهم لا ينتهي.

وقد قال النبي ﷺ: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ" رواه مسلم. (فمن أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه، فقد أفلح وفاز).

### مظاهر القناعة:

1. الرضا بالقليل، وعدم التطلع إلى الكثير.
2. الشكر على النعم، مهما كانت صغيرة.
3. عدم الحسد على ما في أيدي الآخرين.
4. الاستغناء عن الناس، وعدم السؤال إلا عند الضرورة.
5. الطمأنينة والراحة النفسية.

## ثالثاً: الفرق بين الغنى المادي وغنى النفس

لنقارن بين الغنى المادي وغنى النفس، لنرى أيهما الغنى الحقيقي:

المجال	الغنى المادي	غنى النفس
المصدر	كثرة المال والممتلكات	القناعة والرضا والاستغناء بالله
النتيجة	القلق والتوتر الدائم	الطمأنينة والراحة النفسية
الاستمرارية	زائل، يذهب بالموت	دائم، لا يفنى
التأثير على العلاقات	قد يسبب البخل والقطيعة	يسبب الكرم والتواصل
التأثير على الدين	قد يلهي عن طاعة الله	يقرب إلى الله

فالغنى المادي - وحده - لا يجلب السعادة، بل قد يكون سبباً للشقاء. أما غنى النفس فهو السعادة الحقيقية، لأنه يجمع بين راحة القلب ورضا الرب.

## رابعاً: كيف نكتسب غنى النفس؟

غنى النفس ليس أمراً يولد مع الإنسان، بل هو صفة مكتسبة، يمكن للإنسان أن يكتسبها بالتدريب والممارسة:

1. الإيمان بالقضاء والقدر: أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. وهذا الإيمان يمنحك الرضا والطمأنينة.
2. النظر إلى من هو أقل منك: أن تنظر إلى من هو أقل منك مالاً، ولا تنظر إلى من هو أكثر. قال النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم" (رواه مسلم).
3. شكر النعم: أن تشكر الله على نعمه، مهما كانت صغيرة. فالشكر يزيد النعم، ويجلب الرضا.
4. تذكر نعم الله الأخرى: أن تتذكر نعم الله عليك في الصحة والأمن والأهل، فهي نعم لا تقدر بمال.
5. الدعاء: أن تدعو الله أن يرزقك القناعة والرضا، وأن يجعلك من الذين استغنوا به عن الناس.

## خامساً: غنى النفس وعبودية المال

في سياق موضوعنا عن "عبد المال"، نجد أن غنى النفس هو العلاج النهائي لهذه العبودية. فمن ملك غنى النفس، لم يعد بحاجة إلى المال ليشعر بالسعادة. بل أصبح المال عنده وسيلة، لا غاية.

فالمؤمن الذي ملك غنى النفس:

- لا يتعلق قلبه بالمال، بل يجعله في يده.
- لا يخاف الفقر، لأنه يعلم أن الرزق بيد الله.
- لا يحسد الأغنياء، لأنه راضٍ بما قسمه الله له.
- ينفق في سبيل الله، ولا يبخل، ولا يسرف.
- يعيش في طمأنينة وراحة، حتى ولو كان ماله قليلاً.

**خاتمة الفصل: الغنى الحقيقي**

إن الغنى الحقيقي – أيها القارئ – ليس في البنوك ولا في الخزائن، بل هو في قلبك. فإذا امتلأ قلبك بالقناعة والرضا والاستغناء بالله، فقد ملكت الغنى الحقيقي الذي لا يفنى.

وقد قال النبي ﷺ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ". فهذه الكلمة هي خلاصة كل ما ورد في هذا الكتاب. فمن ملك غنى النفس، فقد ملك كل شيء. ومن فقد غنى النفس، فقد خسر كل شيء، حتى ولو ملك الدنيا بأسرها.

فاسأل الله – أيها القارئ – أن يرزقك غنى النفس، وأن يجعلك من القانعين الراضين، وأن يخرجك من عبودية المال إلى عبوديته وحده.

**خاتمة الباب التاسع – وخاتمة الكتاب**

بهذا نكون قد استكملنا الباب التاسع والأخير من هذا الكتاب، حيث جمعنا فيه خلاصة الخلاصة، وقدمنا خارطة طريق للتحرر من عبودية المال:

- في الفصل الأول، وقفنا عند القاعدة الذهبية: المال في اليد لا في القلب، وبيننا أن هذه هي وصية الإسلام الخالدة، وأنها المفتاح لكل علاقة صحيحة مع المال.
  - في الفصل الثاني، تحدثنا عن المؤمن القوي، وبيننا أن القوة الحقيقية هي قوة الإيمان، وأنها هي التي تجعل الإنسان مالكا للمال لا عبداً له.
  - في الفصل الثالث، تحدثنا عن الوسطية في المال، وبيننا أن الإسلام دين الوسطية، وأن الإفراط والتفريط كلاهما مذموم، وأن الصراط المستقيم هو الوسط بينهما.
  - في الفصل الرابع، وجهنا رسالة إلى "عبد المال"، ودعونا إلى التحرر من عبوديته، وقدمنا له خطوات عملية للخروج من هذه الحالة.
  - في الفصل الخامس، ختمنا بالحديث عن الغنى الحقيقي، وهو غنى النفس والقناعة، وبيننا أن هذا هو الغنى الذي لا يفنى، وأنه هو العلاج النهائي لعبودية المال.
- وهذه الفصول الخمسة تمثل الأركان الخمسة للتحرر من عبودية المال. فمن جمعها، فقد جمع كل خير، وخرج من عبودية المال إلى عبودية الله وحده.

## خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذا كتاب "عبد المال - المال بين النعمة والفتنة"، الذي حاولنا فيه أن نقدم رؤية إسلامية متكاملة لواحدة من أخطر الظواهر التي تواجه مجتمعاتنا في عصرنا: ظاهرة التعلق المفرط بالمال، واستعباده للقلوب، وتحوله من وسيلة للحياة إلى غاية تُسفك من أجلها الدماء، وتُقطع فيها الأرحام، وتُستباح فيها الحرمات.

لقد انطلقنا في هذا الكتاب من قاعدة راسخة: أن المال في الإسلام **نعمة عظيمة**، به تقوم مصالح العباد، وتُسد حاجاتهم، وتُعمر الأرض. ولكن هذه النعمة - كغيرها من نعم الله - تتحول إلى **نقمة وفتنة** متى فقد العبد ضوابط الشرع في تعامله معها، فتعلق قلبه بها، وجعلها أكبر همه، وقدمها على دينه وأخلاقه، ومنع حقوق الله فيها، واكتسبها من الحرام، وصرفها في المعاصي.

وقد تتبعنا في صفحات هذا الكتاب شخصية "عبد المال" التي رسمها النبي ﷺ بقوله: "تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ" ...، فرأيناها شخصية تجمع بين التعلق القلبي الزائد، والحرص الذي لا يشبع، وارتباط الرضا والسخط بالعطاء المادي، وعدم التمييز بين الحلال والحرام، ومنع حقوق الله في المال، والتضحية بالعلاقات الأسرية والاجتماعية، والعيش في قلق دائم وخوف مستمر.

واستعرضنا صورتها في القرآن الكريم، من خلال سورة الهمة التي رسمت ملامحها وصولاً إلى مصيرها في الحطمة، وقصة قارون الذي تحول من عابد لله إلى عبد للمال، وسورة التكاثر التي حذرت من التلهي بالتكاثر في الأموال والأولاد، وآيات الكنز التي توعدت من يمنع حق الله في ماله.

وتتبعنا صورتها في السنة النبوية، من خلال حديث "تعس عبد الدينار" الذي يُعدّ الحديث الأم في هذا الباب، وأحاديث التحذير من فتنة المال، وصفات عبید المال التي رسمها النبي ﷺ، ودعائه عليهم بالتعس والانتكاس.

ثم انتقلنا إلى التاريخ، فرأينا قارون أستاذ عبّاد المال، وشعراء الجاهلية الذين ألتهم أموالهم فباعوا كلماتهم ومواهبهم في سوق المال، والتاجر البخيل الذي قتله بخله كما روى ابن الجوزي في "صيد الخاطر" - قصصاً وعبراً تُذكّرنا بأن عاقبة عبودية المال هي الخسارة في الدنيا قبل الآخرة.

وتتبعنا مصير "عبد المال" في مراحل الأربع: تعاسته في الدنيا، وحسرتة عند الموت، وعذابه في البرزخ، ومصيره المحتوم في الآخرة في الحطمة ونار الله الموقدة.

ثم وقفنا عند تحول هذه الظاهرة إلى ظاهرة عصرية، فرأينا كيف تحولت عبادة الأصنام إلى عبادة المال، وكيف أصبح الإعلام معبداً جديداً يُقدّس فيه المال ويُروّج لثقافة المادية، وكيف يُغدّي التفاوت الطبقي والفقير هذه الظاهرة، وكيف أن الشرق والغرب - رغم اختلافاتهما - يشتركان في هذه العبودية الخفية.

وقدّمنا خريطة طريق للتعامل مع هذه الظاهرة على مستويات متعددة: دور الفرد في تصحيح علاقته بالمال، ودور الأسرة في تربية النشء على القيم الصحيحة، ودور المجتمع في محاربة الفساد وتفعيل الزكاة، ودور الحكومات في إقامة الأنظمة المالية العادلة، ودور الدعوة والإعلام في بناء الوعي المجتمعي.

وختمنا الكتاب بتأكيد الخلاصة التي تتمحور حولها كل هذه التفاصيل: أن المال يجب أن يكون في اليد لا في القلب، وأن القوة الحقيقية هي قوة الإيمان، وأن الوسطية في المال هي الصراط المستقيم، وأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس والقناعة.

### وقفه مع النفس

وأخيرًا، وبعد هذه الرحلة الطويلة، لا بد لكل قارئ لهذا الكتاب أن يقف مع نفسه وقفه صدق، ويسألها:

- هل أنا من "عبيد المال"؟ هل تعلق قلبي بالمال حتى صار شغلي الشاغل، وسبب فرجي وحزني، وميزان رضاي وسخطي؟
- هل أقدم المال على ديني؟ هل أترك أوامر الله من أجل المال؟ هل أتجاوز حدوده في الكسب أو الإنفاق؟
- هل أؤدي حقوق الله في مالي؟ هل أخرج زكاتي؟ هل أنفق على أهلي وأقاربي؟ هل أتصدق على المحتاجين؟
- هل أقطع الأرحام وأظلم الناس من أجل المال؟ هل يمنعي مالي من صلة رحمي، أو من حقوق جيراني، أو من معاونة إخواني؟
- هل أعيش في قلق دائم على مالي؟ هل يمنعي الخوف على مالي من التمتع بالحياة، ومن الطمأنينة والراحة؟

فإن كانت الإجابة "نعم" على بعض هذه الأسئلة، فاعلم أنك - مع الأسف - من "عبيد المال"، وأنت بحاجة ماسة إلى التوبة والرجوع إلى الله، وتصحيح علاقتك بالمال، قبل فوات الأوان.

وتذكّر دائمًا أن المال ليس لك، بل هو لله، وأنت مستخلف فيه، وسوف تُسأل عنه يوم القيامة: من أين اكتسبته، وفيم أنفقته؟ فتذكّر هذا السؤال في كل دينار تكسبه، وفي كل درهم تنفقه.

وتذكّر أن الموت آتٍ لا محالة، وأنه سيفارقك مالك وأهلك، ولا يبقى معك إلا عملك. فتذكّر هذا في كل لحظة تغفل فيها عن ذكر الله، وتنشغل فيها بجمع المال.

وتذكّر أن الغنى الحقيقي ليس كثرة المال، بل هو غنى النفس والقناعة. كما قال النبي ﷺ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ". فاسأل الله أن يرزقك غنى النفس، وأن يجعلك من القانعين الراضين، وأن يخرجك من عبودية المال إلى عبوديته وحده.

## التوصيات

انطلاقاً من كل ما ورد في هذا الكتاب، وبعد التشخيص الدقيق لظاهرة "عبد المال" وأسبابها ومظاهرها وعواقبها، نُقدّم سلسلة من التوصيات العملية التي نرجو أن تُسهم في علاج هذه الآفة على المستويات المختلفة:

## أولاً: التوصيات المتعلقة بالفرد

1. **تصحيح النية:** أن يجعل الفرد نيته في طلب المال هي العبادة والإنفاق في سبيل الله، لا الجمع والتكديس والتفاخر. قال النبي ﷺ: " **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** ".
2. **تطهير القلب من حب المال الزائد:** بأن يُدكّر نفسه باستمرار أن المال وسيلة لا غاية، وأنه اختبار وابتلاء من الله، لا دليل على الكرامة أو الهوان.
3. **الالتزام بالكسب الحلال:** أن يجتنب الفرد جميع طرق الكسب الحرام، من ربا، وريشاً، وغش، وسرقة، واحتكار، وغيرها. وأن يتذكر أن المال الحرام لا بركة فيه، وأن عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة.
4. **أداء حقوق الله في المال:** إخراج الزكاة المفروضة، والإنفاق على الأقارب والمحتاجين، والتصدق بالنوافل. وأن يتذكر أن المال الذي لا تؤدى زكاته فهو كز يعذب صاحبه يوم القيامة.
5. **ممارسة الإنفاق والبذل:** جعل الإنفاق في سبيل الله عادة يومية، ولو بالقليل، لأنه يطهر النفس من الشح، ويخرج المال من القلب.
6. **التحلي بالقناعة والرضا:** النظر إلى من هو أقل مالاً، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين، وتذكر نعم الله الأخرى التي لا تعد ولا تحصى.
7. **الإكثار من ذكر الموت والآخرة:** تذكر أن المال سيزول، وأن الإنسان سيُسأل عنه يوم القيامة، وأن العمل الصالح هو ما يبقى.
8. **البعد عن أسباب التعلق بالمال:** تجنب الإعلانات التجارية، ومشاهدة حياة الأغنياء على وسائل التواصل الاجتماعي، ومجالس المفاخرة والتفاخر.
9. **الدعاء والتضرع إلى الله:** أن يدعو الفرد الله أن يعيذه من فتنة المال، وأن يرزقه القناعة والرضا، وأن يجعل المال في يده لا في قلبه.

## ثانياً: التوصيات المتعلقة بالأسرة

1. **غرس القيم المالية الصحيحة في الأبناء منذ الصغر:** تعليمهم أن المال وسيلة لا غاية، وأنه نعمة من الله يجب شكرها، وأن من حقوقه الزكاة والصدقة.
2. **التربية العملية:** تدريب الأبناء على إدارة المال من خلال إعطائهم مصروفًا منتظمًا، وتعليمهم الادخار والإنفاق والتصدق.

3. القدوة الحسنة: أن يكون الوالدان قدوة في التعامل مع المال، بالكسب الحلال، والإنفاق المعتدل، والبعد عن البخل والإسراف.
4. الحماية من المؤثرات السلبية: مراقبة ما يشاهده الأبناء من محتويات إعلامية، وتوجيههم نحو المحتويات النافعة، وتعليمهم النقد الإعلامي.
5. تعليم الأولاد مسؤولية المال: تذكيرهم بأن المال أمانة عندهم، وأنهم مسؤولون عنه أمام الله، وأنهم سيُسألون عنه يوم القيامة.

### ثالثاً: التوصيات المتعلقة بالمجتمع والمؤسسات

1. محاربة الفساد المالي: تفعيل دور الرقابة المجتمعية في كشف الفساد، ونبذ ثقافة التغاضي عنه، ودعم المؤسسات الرقابية.
2. تفعيل الزكاة: إنشاء هيئات رسمية لجمع الزكاة وتوزيعها، وتوعية الناس بأحكامها وأهميتها في تحقيق التكافل الاجتماعي.
3. دعم المؤسسات الخيرية: تشجيع الأفراد والشركات على التبرع للجمعيات الخيرية الموثوقة، التي تعمل على خدمة الفقراء والمحتاجين.
4. إحياء سنة التكافل الاجتماعي: تشجيع الناس على التعاون والتضامن، وإقامة المشاريع التي تخدم المجتمع، كصناديق الإقراض الحسن، والجمعيات التعاونية.
5. دور المساجد: تكثيف الخطب والدروس التي تتحدث عن فتنة المال، وعن أخلاقيات التعامل معه، وعن خطورة التعلق به.

### رابعاً: التوصيات المتعلقة بالحكومات

1. إقامة الأنظمة المالية العادلة: سن قوانين تضمن العدالة في توزيع الثروة، وتمنع الاحتكار والاستغلال، وتحمي حقوق الضعفاء.
2. مكافحة الفساد المالي: تشديد العقوبات على الفاسدين، وتفعيل دور الأجهزة الرقابية، ونشر ثقافة الشفافية والمحاسبة.
3. تفعيل دور الزكاة: جباية الزكاة وتوزيعها على مستحقيها عبر هيئات رسمية، وضمان وصولها إلى مستحقيها.
4. دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة: توفير التمويل والدعم للشباب لإنشاء مشاريعهم، لتوفير فرص العمل، وتقليل البطالة والفقير.

5. العدالة الضريبية: فرض ضرائب عادلة، تراعي قدرة الفقير، وتُحمّل الغني نصيبه الأكبر، مع ضمان أن تُنفق هذه الأموال في مصالح الناس.
6. مراقبة الأسواق: منع الاحتكار والتلاعب بالأسعار، وضمن توفير السلع الأساسية بأسعار معقولة.

### خامساً: التوصيات المتعلقة بالدعوة والإعلام

1. تكثيف الوعظ والتذكير: أن يقوم الدعاة بتكثيف الخطب والمحاضرات التي تحذر من فتنة المال، وتُذكّر بحقيقة الدنيا والآخرة.
2. تقديم النماذج الإيجابية: تسليط الضوء على الأغنياء الذين سخروا أموالهم في طاعة الله وخدمة المجتمع، ليكونوا قدوة حسنة.
3. تصحيح صورة النجاح: أن يُظهر الإعلام أن النجاح ليس مجرد ثراء، بل هو تقوى وإخلاص وعمل صالح.
4. نقد ثقافة الاستهلاك: إبراز الآثار السلبية للاستهلاك المفرط على الفرد والمجتمع، والتحذير من التبذير والإسراف.
5. تجنب الترويج لـ"إباحية الثراء": عدم عرض حياة الأغنياء بطريقة مثيرة تدفع الناس إلى الحسد والتعلق بالمال.
6. استخدام وسائل التواصل الاجتماعي: إطلاق حملات توعوية تذكّر الناس بفتنة المال، وتُقدّم نصائح عملية للتعامل معه.
7. إنتاج محتوى إعلامي هادف: إنتاج برامج وأفلام ومسلسلات تُعالج قضية التعلق بالمال، وتُقدّم حلولاً عملية للخلاص منه.

### كلمة أخيرة

أيها القارئ الكريم، لقد انتهينا من هذه الرحلة الطويلة معاً، ولكن الرحلة الحقيقية لم تبدأ بعد. فالمعرفة وحدها لا تكفي، ولا بد من العمل بها، وتطبيقها في واقع الحياة. فما نفع علم لم يُعمل به، وما فائدة كتاب لم يُقرأ بتدبر، ولم يُترجم إلى سلوك.

فاجعل هذا الكتاب دليلاً لك في رحلتك مع المال، وتذكّر دائماً قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: 18].

وتذكّر أن الحياة الدنيا ليست دار قرار، وأن المال ليس لك، وأنك ستُسأل عنه. فتزود من مالك لما ينفحك يوم القيامة، واجعل المال في يدك لا في قلبك، واجعل الآخرة أكبر همك، وتذكّر أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس والقناعة.

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده، حاجزاً بيننا وبين أن نكون من عبید المال، وأن يرزقنا القوة في الإيمان، والغنى في النفس، والثبات على الحق حتى نلقاه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المراجع والمصادر

القسم الأول: المصادر والمراجع التي رُجِع إليها في الكتاب

أولاً: كتب التفسير

المصدر	المؤلف	المواضع المستشهد بها في الكتاب
تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)	تفسير سورة الهمزة، تفسير سورة القصص (قصة قارون)، تفسير سورة التكاثر، تفسير آيات الكنز في سورة التوبة
الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)	تفسير سورة الهمزة، تفسير آيات المال والكنز، أقوال السلف في معاني الهمزة واللمزة
جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)	محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)	تفسير سورة الهمزة، تفسير قصة قارون، تفسير آيات الكنز
تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن)	عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ)	تفسير آيات المال والفتنة، تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾
تفسير البغوي (معالم التنزيل)	أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ)	تفسير سورة الهمزة، تفسير آيات المال والكنز

ثانياً: كتب الحديث وشروحه

المصدر	المؤلف	المواضع المستشهد بها في الكتاب
صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)	حديث "تعس عبد الدينار"، حديث "يتبع الميت ثلاثة"، حديث "لو كان لابن آدم واديان"، حديث "قمت على باب الجنة"
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)	حديث "تعس عبد الدينار"، حديث "إن هذا المال خضرة حلوة"، حديث "لو كان لابن آدم واديان"، حديث "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله"
سنن الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ)	حديث "إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال"، حديث "ما ذئبان جائعان"، حديث "من كانت الدنيا همه"

سنن ابن ماجة	محمد بن يزيد ابن ماجة (ت 273هـ)	حديث "من كانت الدنيا همه"، حديث "الجالب مرزوق والمحتكر ملعون"
مسند أحمد	أحمد بن حنبل (ت 241هـ)	أحاديث التحذير من فتنة المال، حديث "نعم المال الصالح للرجل الصالح"
فتح الباري شرح صحيح البخاري	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)	شرح حديث "تعس عبد الدينار"، شرح أحاديث فتنة المال
شرح النووي على صحيح مسلم	أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)	شرح حديث "المؤمن القوي"، شرح أحاديث الزهد والرفائق
عمدة القاري شرح صحيح البخاري	بدر الدين العيني (ت 855هـ)	شرح حديث "تعس عبد الدينار" وبيان المجاز في وصف "عبد المال"

## ثالثاً: كتب العقيدة والرفائق والزهد

المصدر	المؤلف	المواضع المستشهد بها في الكتاب
مدارج السالكين	ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)	القاعدة الذهبية: "متى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو أكثر..."
الفوائد	ابن قيم الجوزية	أقواله في حب المال وعلاقة القلب به
إغاثة اللهفان	ابن قيم الجوزية	الحديث عن إيثار الدنيا على الآخرة كأعظم الفتن
العبودية	تقي الدين ابن تيمية (ت 728هـ)	الحديث عن عبودية المال وعلاقتها بكمال الإيمان
مجموع الفتاوى	ابن تيمية	أحكام المال والفتنة به، الفرق بين المال في اليد والمال في القلب
صيد الخاطر	جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت 597هـ)	قصص البخلاء، ومنها قصة التاجر البخيل الذي قتله بخله

## رابعاً: مصادر أخرى

المصدر	المؤلف	المواضع المستشهد بها في الكتاب
الزواج عن اقتراف الكبائر	ابن حجر الهيتمي	علامات فتنة المال
التفسير الميسر	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف	تفسير سورة الهمزة، تفسير آيات المال
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين الشنقيطي	تفسير آيات المال والكنز
التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور	تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾

## القسم الثاني: كتب للاستزادة في الموضوع

## أولاً: في تفسير آيات المال والفتنة

1. "تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (دار طيبة للنشر والتوزيع)

- يركز على تفسير سورة الهمزة، سورة التكاثر، وقصة قارون في سورة القصص.

2. "الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (دار الكتب المصرية)
- يضم أقوال السلف في معاني الهمزة واللمزة، وأحكام المال والزكاة.
3. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي (مؤسسة الرسالة)
- تفسير ميسر مع تركيز على الجوانب التربوية والإيمانية في آيات المال.

### ثانياً: في الحديث النبوي وشرحه

4. "فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني (دار المعرفة)
- شرح وافٍ لأحاديث الزهد والرقائق، وحديث "تعس عبد الدينار."
5. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - النووي (دار إحياء التراث العربي)
- شرح أحاديث الزهد والرقائق، وبيان معنى "المؤمن القوي."
6. "تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي - المباركفوري (دار الكتب العلمية)
- شرح حديث "إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال."

### ثالثاً: في التزكية والرقائق

7. "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ابن قيم الجوزية (دار الكتاب العربي)
- من أهم الكتب في تزكية النفس، وفيه فصول عن الزهد والقناعة وعلاقة القلب بالمال.
8. "الفوائد - ابن قيم الجوزية (دار الكتب العلمية)
- مجموعة من الخواطر والمواعظ، وفيه أقوال مأثورة عن المال والدنيا.
9. "صيد الخاطر - ابن الجوزي (دار القلم - دمشق)
- كتاب بديع في المواعظ والرقائق، وفيه باب "البخلاء" وقصص مؤثرة عن عبادة المال.
10. "الزهد والرقائق - عبد الله بن المبارك (دار الكتب العلمية)
- مجموعة من الآثار والأقوال عن الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة.
11. "تهذيب مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية (اختصار وتحقيق)
- مختصر مفيد لمن يريد الإلمام بجوهر الكتاب.

## رابعاً: في الاقتصاد الإسلامي والمال

12. "فقه المعاملات المالية المعاصرة –" مجموعة من الباحثين (دار النفائس)
- يوضح أحكام المال في الإسلام، والفرق بين الحلال والحرام في الكسب.
13. "الزكاة وأثرها في حل المشكلات الاقتصادية –" يوسف القرضاوي (مؤسسة الرسالة)
- دراسة عن دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي ومحاربة الفقر.
14. "دور المال في حياة المسلم –" محمد الغزالي (نهضة مصر)
- رؤية تربوية ودعوية للتعامل مع المال في ضوء الإسلام.
15. "فقه الزهد –" سلمان العودة (دار البيان)
- دراسة عن مفهوم الزهد الإسلامي المتوازن بين الدنيا والآخرة.

## خامساً: في الظواهر الاجتماعية المعاصرة

16. "ثقافة الاستهلاك –" مجموعة من الباحثين (دار الفكر)
- دراسة نقدية لثقافة المادية والاستهلاك في المجتمعات المعاصرة.
17. "الإعلام وقيم المجتمع –" محمد عمارة (دار الشروق)
- عن دور الإعلام في تشكيل الوعي المجتمعي، وتأثيره على القيم المادية.
18. "التفاوت الطبقي في المجتمعات العربية –" مركز دراسات الوحدة العربية
- دراسة تحليلية لأسباب التفاوت الطبقي وآثاره الاجتماعية والنفسية.

## تنبيه مهم

- كتب التفسير رُجع إليها من خلال النسخ الإلكترونية المتوفرة على مواقع مثل: القرآن الكريم - تفسير ابن كثير، تفسير القرطبي، تفسير الطبري.
- كتب الحديث رُجع إليها من خلال النسخ الإلكترونية المتوفرة على موقع الإسلام ويب، وموقع شبكة مشكاة الإسلامية، وموقع الدرر السنية.
- "صيد الخاطر" لابن الجوزي رُجع إليه من خلال النسخة المحققة بتحقيق حسن المساحي سويدان، والنسخة الإلكترونية المتوفرة على موقع وقفية.
- "مدارج السالكين" و"الفوائد" لابن القيم رُجع إليهما من خلال النسخ المتوفرة على موقع المكتبة الشاملة. ([shamela.ws](http://shamela.ws))

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

## عن المؤلف وكتبه

## ♦ التعريف بالمؤلف:

الدكتور سعد جبر، أكاديمي مصري واستشاري التدريب الإعلامي، ومن علماء الأزهر الشريف، عمل عميداً لكلية الإعلام بجامعة باشن العالمية، ويشغل حالياً منصب وكيل الكلية.

قام بتدريس مواد الإذاعة في أكاديمية الأمير أحمد بن سلمان للإعلام التطبيقي بالمملكة العربية السعودية، وأسهم في تدريب عدد كبير من الإعلاميين العرب في مجالات الصحافة والعلاقات العامة والإذاعة والتلفزيون والفضائيات، كما قام بالتدريس لطلاب وأساتذة الجامعات والمدارس بعدة دول، كما قام بالتدريب على الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في التعليم والتدريب.

كما يشرف على بعض المنصات التعليمية، ويعمل استشاري في عدة مراكز إعلامية، ومستشار لعدد من المؤسسات غير الربحية، له رصيد علمي وإبداعي يربو على 100 كتاب في مجالات متنوعة تشمل الإعلام، الفكر، التربية، والسياسة والاقتصاد، والأسر المنتجة والمشاريع الصغيرة والمتوسطة والتفسير والعلوم الإسلامية والابتكار، يؤمن بأن الأسرة هي أساس المجتمع المترابط ومحضن الفرد المتوازن، وأن بناء المجتمع يبدأ ببناء الإنسان أولاً، كما يركز على رعاية الموهوبين، وبناء الحاضنات الإعلامية للمؤسسات وأكبر أهدافه مساعدة الجميع على النجاح.

## مؤلفات الدكتور سعد جبر :

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
1.	أحاديث الحب النبوية	2.	انستجرام الإمام ابن القيم
3.	أحاديث الخيرية من كلام خير البرية	4.	حفلة تفكيرية
5.	خواطر مسجدية من "السيرة"	6.	30 يوم حاسمة في عمر المشاريع الناشئة
7.	خواطر مسجدية من "التفسير"	8.	حوار مفتوح مع "جيل زد"
9.	مختصر كتاب "أحاديث الأدب النبوي"	10.	مصحفي .. ورحلة العودة إليه
11.	شرح الأربعين العلمية للشنقيطي	12.	زواج بنات النبي ﷺ
13.	هل يحل القرآن مشكلتي؟	14.	البوصلة
15.	من أجل أن تزهو الروح	16.	سبع عجاف
17.	السبعة الكبار	18.	بوصلة القلوب
19.	الأربعين النبوية	20.	رحلة المتوكلين
21.	30 خاطرة للتراويح	22.	الإطار القيمي للأسرة
23.	خمسون رسالة للإمام	24.	ملخص خمس كتب إدارية عالمية
25.	لطائف وفرائد قرآنية	26.	الجامعة وصناعة الوعي المجتمعي
27.	الإعلام المفقود في التعليم	28.	كود التأثير
29.	الذكاء الروحي	30.	الذكاء الاصطناعي وأطفالنا
31.	الصبر الإداري	32.	دبلوم التدريب السياسي
33.	الأسر المنتجة تمكين وإبداع	34.	وعن الرضا قالوا
35.	حرب المخدرات	36.	الكرب والدعاء
37.	المدرّب الجديد وإذابة الجليد	38.	مسرحية دمي
39.	تسويق المشاريع غير الربحية	40.	أعشاب الجهاز الهضمي
41.	وداعاً للبطالة	42.	لماذا ننشغل بالسياسة؟
43.	دليلك إلى الدخل القليل الدائم	44.	الذكاء التسويقي
45.	مصانع الإنسان	46.	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة

اسم الكتاب	م	اسم الكتاب	م
النقد أولاً	.48	25 صفحة ستغير حياتك	.47
الدعاة وفضائح إبستين	.50	ديون "قوافل" شعر	.49
ببساطة كيف تصنع الثروات ؟	.52	أسرار الكتابة الدرامية	.51
في بيتنا سؤال؟	.54	هل تريد أن تؤلف كتاباً؟	.53
حكاية القائد البطيء	.56	كيف تمطر سحابة فكرك؟	.55
القيادة التحويلية	.58	التمكين والشراكة بأفريقيا	.57
حظيرة الخنازير الغربية	.60	مش قد الشيلة ؟	.59
هل تعريف كيف تصلي عليه ؟	.62	حبات من سنبله الفجر مجموعة قصصية	.61
إعداد التقارير الإدارية باحترافية	.64	الرد على الشيخ الددو	.63
شحاذا الإشارة	.66	حكايات مؤثرة	.65
حين يسجد الكون ..	.68	بروتوكول المبادرات المجتمعية	.67
سر السعادة الإحسان إلى الخلق	.70	توني بلير - المندوب السامي الجديد	.69
تحديات خاصة لشباب الإسلام	.72	الخرس الأسري	.71
فن الفشل الجميل	.74	الجزائر وحزام السافانا	.73
كسر الجليد طبعة تميز - طبعة مزيدة ومنقحة	.76	دليلك لاستثمار عقاري ناجح	.75
كيف تكون نجما على اليوتيوب؟	.78	أزمة ثقة بين الممولين والمشاريع	.77
عوامل نجاح وفشل مشاريع التعليم الإلكتروني	.80	الرجل النعجة	.79
دبلوم القيادة الميدانية بالمنظمات غير الربحية	.82	ست ستات من غير رجل	.81
مشكلات وحلول من حياة الرسول ﷺ	.84	فنون الهدنة النفسية	.83
خمسين خطبة جمعة منتقاة	.86	الهجرة فقه جديد	.85
<b>عبد المال</b>	.88	المقام الإنساني بين أربعة عوالم	.87
الأسباب الحقيقية للفقر والغنى	.90	أكذوبة القاعدة	.89
الجور والفجور	.92	الاعتنام والاستغنام	.91
معجزات العصر في أفغانستان	.94	الحملات الإعلامية الاحترافية	.93
كارثة أبناء المهاجرين	.96	علو ودنو الهمة	.95
تشابهت قلوبهم "بكاتبات اليهود والشيعية	.98	ملخصات 23 كتاب لرجال الأعمال	.97
اثبت أحد	.100	مستويات الحب	.99
فلسفة الهدوووووو	.102	الحقوق الكبرى	.101
فخ الخوف	.104	المرأة .. السردية الكاملة	.103
مذكرات مطلق بالثلاثة	.106	الإنسان الرقمي	.105
أيزو رجل	.108	الهجرة فقه جديد	.107
الخلاص الكبير	.110	أيزو امرأة	.109
كيف تكافيء نفسك؟	.112	الزواج .. المتاهة الإنسانية الحتمية	.111
الطفولة الدافئة	.114	أسوأ أيام التاريخ	.113
مي وجبران بين الأدب والإنسانية	.116	الأسرة العربية تحت المطر الرقمي	.115
فردوسيات	.118	مالا يسع الجحش جهله	.117
المواسم الدينية الإسلامية	.120	المبشرات في زمن الظلام	.119

للتواصل وطلب أي كتاب من د. سعد جبر - الجزائر: 00213673956106 - saadjabr@gmail.com

